شعر الرصافي الرفاء البلنسي
دراسة موضوعية - فنية

رسالة تقدم بها

خالد شكر محمود صالح الفراجي

الى مجلس كلية التربية – ابن رشد / جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير آداب في اللغة العربية / ادب

بأشراف الدكتور

عبد الرحمن كريم عذاب اللامي

١٤٢٤هـ ٢٠٠٣ م

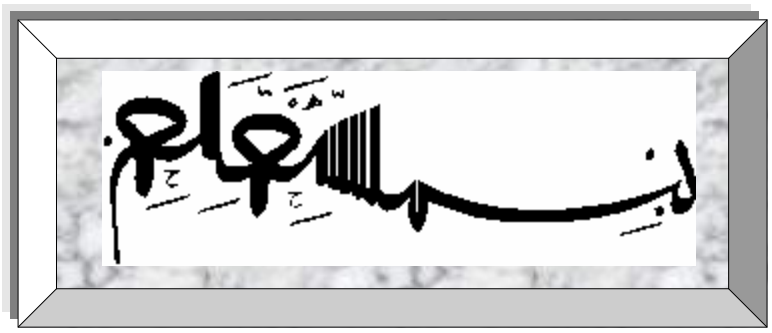

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

المجادلة: الآية ١١

الإهداء

الى والدي : الذي تحمل من اجلنا اعباء الحياة ومرارتها .....

الى والدتي :التي غمرتنا بفيض حبها ورعايتها .....

﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

الى اخـــــــــوتي واخـــــــــــواتي

الى زوجـــــــتي واطفالـــــــــي

حبـــــاً ووفاءٍ وتقدير اقـــدم

هـذا الجهد الجهيـــــد

الباحث

شكر و امتنان

يسرني وانا انهي بحثي المتواضع ان اذكر ببالغ الفخر والاعتزاز فضل استاذي المشرف الدكتور عبد الرحمن كريم اللامي ضارباً به المثل في خلقه وتواضعه وعلمه وما ابداه من حرص على امانة البحث وتفوق الباحث .

ومن الذين احمد صنيعهم واقوم باسداء الشكر لهم استاذي الدكتور حسين نصر والدكتورة هدى شوكت و الدكتور عباس مصطفى الصالحي والدكتورة سوسن المعاضيدي والاستاذة حذام الالوسي وجميع اساتذة قسم اللغة العربية في كلية التربية الاولى .

كذلك وددت ان ابعث عبارات الامتنان الى الاساتذة الاجلاء اخص بالذكر منهم الاستاذ احمد علي روضان و علي حمود كناص و علي جاسم حمود حامد حسين داود و ثائر علوان وعبد علاوي .

وشكري الى العاملين في المكتبة المركزية ومكتبة قسم اللغة العربية في كلية التربية الاولى ومكتبة كلية الاداب والمكتبة الوطنية والمكتبة الرفاعية في سامراء .

وجميع من تفضل علي بالدعاء والمساندة سائلاً المولى عز وجل ان يحشرنا جميعاً في زمرة الحبيب المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ انه على ذلك قدير .

الباحث

تصويبات

ت	الصفحة	الخطأ	الصواب	الملاحظات
١.	١	تاشقين	تاشفين	
٢.	٣	سنين	سني	
٣.	٤	لفنت	لقنت	
٤.	٦	المعرب	المطرب	
٥.	١٤	غومي	غومس	
٦.	٣٤	من	عن	
٧.	٣٦	بيتين	ثلاثة ابيات	
٨.	٦١	غزيك	غزيل	
٩.	٦٦	الاعتداد	الاعتذار	
١٠.	٧٨	المعطر	المطر	
١١.	٧٩	قيس	قس	
١٢.	٨٠	الحاسدون	الحاسدين	
١٣.	٩٢	ابلس	ابليس	
١٤.	٩٣	ثلاثي	ثلاثة	
١٥.	٩٤	حفار	صفار	
١٦.	٩٩	لعلق	يعلق	
١٧.	١٠٦	اثراً	اثرٌ	
١٨.	١٠٧	في	قد	
١٩.	١١٣	هذلك	هزلك	
٢٠.	١١٧	عبد القادر	عبد القاهر	

٢١.	١٢١	لحرف	بحرف	
٢٢.	١٢٢	البعد	البعيد	
٢٣.	١٢٢	فأين	فأبن	
٢٤.	١٤٥	المحب	المجد	
٢٥.	١٤٩	السمات	الفنون	
٢٦.	١٥٢	نوعين	نوعان	
٢٧.	١٦٣	الضوير	الغوير	
٢٨.	١٦٦	الصبا	السقيا	
٢٩.	١٧٣	يتحول	يتجول	
٣٠.	١٨٤	عقبي	عقي	

المحتويات

ت	المادة	الصفحة
١.	المقدمة	أ – ب
٢.	التمهيد	١ – ١٠
٣.	الفصل الاول ، المبحث الاول ، سيرته	١٢ - ٢٨
٤.	اسمه ، لقبه ، كنيته	١٢ – ١٣
٥.	ولادته ، نشأته	١٣ – ١٤
٦.	شخصيته ، اخلاقه	١٤ – ١٥
٧.	هجرته	١٥ – ١٦
٨.	وفاته	١٦ – ١٧
٩.	ديوان شعره	١٧ – ١٨
١٠.	المبحث الثاني ، آراء العلماء والمؤرخين في ادبه ...	١٩ – ٢١
١١.	المبحث الثالث ، مصادر ثقافته	٢٢ - ٢٨
١٢.	القرآن الكريم	٢٣ – ٢٥
١٣.	اللغة العربية	٢٥ – ٢٦
١٤.	كتب التراث	٢٦ – ٢٨
١٥.	الفصل الثاني ، موضوعات واغراض شعره	٣٠ – ٩٢
١٦.	موضوعات واغراض الشعر في عصر الموحدين ...	٣٠ - ٣١
١٧.	المبحث الاول ، المديح	٣٢ – ٤٨
١٨.	موقفه من التكسب	٣٤ – ٣٦
١٩.	قصائده المدحية	٣٦ – ٤٨
٢٠.	المبحث الثاني ، الوصف	٤٩ – ٦٣
٢١.	وصف الطبيعة	٥٠ – ٥٩
٢٢.	وصف المهن وما يتعلق بها	٥٩ – ٦٢
٢٣.	صفات اخرى	٦٢ – ٦٣
٢٤.	المبحث الثالث ، الاخوانيات	٦٤ – ٧٤
٢٥.	المبحث الرابع ، اغراض اخرى	٧٥ – ٩٢
٢٦.	الرثاء	٧٥ – ٨٢
٢٧.	الغزل	٨٣ – ٨٧

٢٨. الحنين الى المعاهد والاحباب ..... ٨٧ – ٩١
٢٩. الهجاء ..... ٩١ – ٩٢
٣٠. الفصل الثالث ، الدراسة الفنية ..... ٩٣ – ١٩١
٣١. المبحث الاول ، بناء النص الشعري ..... ٩٣ – ١٠٠
٣٢. اللغة ..... ١٠٠ – ١٠٤
٣٣. المعجم الشعري ..... ١٠٥ – ١١١
٣٤. الاسلوب ..... ١١٢ – ١٣٣
٣٥. المبحث الثاني ، الصورة الشعرية ،وسائل تشكيلها... ١٣٤ – ١٦٣
٣٦. التشبيه ..... ١٣٥ – ١٤١
٣٧. الاستعارة ..... ١٤١ – ١٤٦
٣٨. الكناية..... ١٤٦ – ١٤٨
٣٩. الطباق والمقابلة ..... ١٤٩ – ١٥٣
٤٠. الاقتباس والتضمين ..... ١٥٤ – ١٦٣
٤١. المبحث الثالث ، الموسيقى والاوزان ..... ١٦٤ – ١٩١
٤٢. الموسيقى الخارجية ..... ١٦٤ – ١٧٣
٤٣. حروف الروي ..... ١٧٣ - ١٧٥
٤٤. القافية ..... ١٧٥ - ١٧٨
٤٥. الموسيقى الداخلية ..... ١٧٩ – ١٩١
٤٦. الجناس ..... ١٧٩ – ١٨٣
٤٧. التكرار ..... ١٨٣ – ١٨٦
٤٨. رد الاعجاز على الصدور ..... ١٨٦ – ١٨٨
٤٩. الترصيع ..... ١٨٨ – ١٩٠
٥٠. التدوير ..... ١٩٠ – ١٩١
٥١. الخاتمة ..... ١٩٢ – ١٩٥
٥٢. المصادر والمراجع ..... ١٩٦ – ٢٠٥
٥٣. الخلاصة باللغة الانكليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، واصلي وأسلم على من ارسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وعلى من اقتفى اثرهم الى يوم الدين.

وبعد...

تناولت الدراسة شاعراً بارزاً من شعراء العربية، ظل بعيداً عن متناول البحث والدراسة على الرغم من كونه اسماً لامعاً في عالم الشعر العربي في عصر الموحدين وبدافع الرغبة والحماس للخوض في دراسة تعنى بجانب من تراثنا الحافل بالامجاد والمآثر، وقع اختياري على موضوع (شعر الرصافي الرفاء البلنسي – دراسة موضوعية – فنية) .

فهذا الشاعر على اهميته، وجودة شعره، ونتاجه الادبي الغزير - لم يحظ بالدراسة الكافية الوافية من قبل على حد علمنا واستقصائنا... فعمدت الى دراسته دراسة جادة غير مسبوقة تعتمد تحليل النصوص ودراسة الاغراض وتكشف كوامن الابداع في أدبه،وتلقي الضوء على القدرات الفنية لواحد من اشهر شعراء الاندلس في القرن السادس الهجري.منقبين عن نفائس المعاني مبرزين الالفاظ المتخيرة ، وقد طابق بينها بحنكة جعلت شعره يتسم بنغمات موسيقية اخاذة تصل الى القلب بلا استئذان،نابعا عن موهبة فطرية خالية من التكلف مع جمال التركيب وسلامته من التعقيد.

وبعد التوكل على الله عزمت على التطواف في رحاب علم من اعلام الشعر والادب التي زخرت بها الاندلس ، والتي تأكد لي حقاً ما قاله العارفون فيه، الا انني – وللأمانة – وقد واجهتني صعوبات ومشاكل اهمها قلة المصادر التي تناولت شاعرنا هذا، اذ لم اجد في هذه المصادر ما يشفي الغليل وهي ضنينة باخباره، وما جاء فيها لا يعدو شذرات مقتضية لا تعطي صورة واضحة لأبعاد شخصيته الادبية، لذا اعتمدت في دراستي على تحليل شعره بالدرجة الاولى ثم العصر الذي عاش فيه ، فأخذت اطيل النظر

في مؤلفات المؤرخين كأبن الأبار ولسان الدين بن الخطيب، وابن صاحب الصلاة، وابن خلكان وغيرهم والتمس ما اريد عن بعض المعاصرين واستفدت من المراجع القليلة التي تناولت ادب ذلك العصر ولعل اهمها (الادب الاندلسي موضـــوعاته وفنونـــه) للـــدكتور مصطفى الشكعة و (الشعر الاندلسي بحث في تطوره وخصائصه) للمستشرق الاســباني غرسيه غومس و (تاريخ الفكر الاندلسي) لبالينثيا، لذا كانت دراستي للرصافي البلنسي في ثلاثة فصول مهدت لها بحديث عن الحياة السياسية والاجتماعية والادبية والعلمية.

الفصل الاول: خصصته لدراسة سيرة الشاعر، اذ تضمن ثلاثة مباحـــث، تحـــدث فـــي المبحث الاول عن اسمه ولقبه وكنيته ومولده ونشأته وهجرته ووفاته.والمبحـــث الثـــاني تضمن آراء العلماء والمؤرخين في ادبه، والمبحث الثالث تحدثت فيه عن مصادر ثقافتـــه وهي القرآن الكريم واللغة العربية وكتب التراث.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن موضوعات شعره وضم اربعة مباحث : خصصت الاول للحديث عن غرض المدح وموقف الشاعر من قضية التكسب بالشعر. والمبحـــث الثـــاني شمل غرض الوصف، والمبحث الثالث شمل الاخوانيات ، والمبحـــث الاخيـــر تـــضمن اغراض اخرى.

اما الفصل الثالث: فقد عني بالدراسة الفنية وضم ثلاثة مباحث، ضم المبحث الاول بناء النص الشعري واللغة والاسلوب، والمبحث الثاني تضمن الصورة الشعرية ووســـائل تشكيلها، والمبحث الثالث تحدثت فيه عن الموسيقى والاوزان .

وانهيت البحث بخاتمة لخصت فيها النتائج التي توصل اليها الباحث.

ولست ازعم بذلك انني اوفيت الشاعر حقه ، او بلغت ما ترضاه نفسي ، ولكنـــي استطيع ان اجزم انني انفقت في ذلك جهدا مضنياً اعيا الجسم وارهـــق الفكـــر والقلـــب واضعف البصر، وكانت غايتي في ذلك الوصول الى الحقيقة، فان وفقت وذلك مبتغاي ، وان اخطأت فتلك صفة الانسان، واشهد الله انني لم ادخر جهداً في سبيل اتمام هذا العمل وما انا الا مبتدىء حاولت ان اكشف الظلام عن شاعر طالما غاب لفتـــرة طويلـــة عـــن البحث والاستقصاء.

والله الموفق الى سواء السبيل.

التمهيــد :

نظرة عامة في الظروف السياسية في القرن السادس الهجري في الاندلس

اضطربت الاوضاع السياسية في نهاية عصر المرابطين بـــسبب الخلافـــات الحادة على السلطة بين امراء المرابطين ومنهم خروج ابن ابي بكر بن يوسف بـــن تاشقين على طاعة عمه علي بن يوسف بن تاشقين مما زاد الامر سوءا [١]، وظهور مرحلة ثانية من حكام الطوائف في الاندلس ، وبذلك اصبحت البلاد تعيش في دوامة وعدم استقرار، لذا وجد الموحدون الفرصة مواتية لاعلان حركتهم الدينيـــة التـــي اتخذت من التوحيد شعارا لها، وكان داعية الحركة هو محمد بن عبد الله بن تومرت الذي اعلن الثورة على المرابطين سنة ٥١٤هـــ بدعوى انهم جسموا الخالق وذهـــب الى اكثر من ذلك حين عدهم كفرة خارجين على الدين الاسلامي، يقول (واعلمـــوا وفقكم الله ان جهادكم فرض على الاعيان على كل من فيـــه طاقـــة علـــى القتـــال واجتهدوا في جهاد الكفرة الملثمين فجاهدهم اعظم من جهاد الروم وســـائر الكفـــرة بأضعاف كثيرة، لأنهم جسموا الخالق سبحانه وانكروا التوحيد وعاندوا الحـــق)) [٢]، ويبدو ان محمد بن تومرت اراد من خلال الصاق تلك التهم بـــالمرابطين ان يجمـــع الناس حوله ويوحد صفوفهم متناسيا الدور الذي لعبه المرابطون في سبيل الدفاع عن المدن الاندلسية وجهادهم في سبيل اعلاء كلمة الدين مع انهم كما يقول ابن الخطيب ((قل ان راوا إيالة انفع او اجرأ في قتال العدو من لمتونة))[٣]، لكن المقام لـــم يـــدم طويلا لابن تومرت فوافاه الاجل سنة ٥٢٤هـــ فآل امـــر الموحـــدين الـــى اقـــرب

---

(١) **الاستقصا لاخبار المغرب ، تأليف احمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤،٢ : ٥٥**

(٢) **اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، لابي بكر الصنهاجي، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة بولس لنتر الكيتي ببرايز ١٩٢٨ : ٩ .**

(٣) **اعمال الاعلام: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق ل. بروفنسال، بيروت، ١٩٥٦ : ٢٦٥.**

المقربين للمهدي وهو عبد المؤمن بن علي، والذي عده بعض المؤرخين المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين [١] ، واولى الاعمال التي قام بها هي توطيد سلطته في المغرب والقضاء على آخر معاقل المرابطين في مراكش سنة ٥٤١ هـ، فبعد ان استتب الامن والنظام في المغرب بدأت آماله تتجه صوب الاندلس وفي هذه الفترة كانت قد توحدت أغلب مدن الاندلس، فوزع الولاة على المدن الاندلسية [٢] .

واراد عبدالمؤمن ان يسير الامور بنفسه ويطمئن على مستقبل دولته الفتية في الاندلس، فتحرك بجموع غفيرة قاصدا اليها سنة (٥٥٥هـ) [٣] وكان يوما عظيما من ايام الدولة الموحدية وقبل ان يصل الى جبل طارق باشهر امر ببناء مدينة فيه، وقد سمى هذا الجبل ((بجبل الفتح)) [٤]، ووفد الى هذا المكان شعراء من كل البلاد ، والقوا القصائد في حضرته وكان من بينهم شاعرنا الرصافي الذي لم يتجاوز العشرين من العمر عندما القى قصيدته التي مدح فيها عبدالمؤمن [٥]، ومن هناك وزع الولاة على المدن الاندلسية، تولى ابنه يوسف اعمال اشبيلية، وولى ابا حفص عمر قرطبة، وولى ابا سعيد غرناطة وبذلك ملك اغلب مدن الاندلس. لكنه اصيب بمرض عضال توفي على اثره سنة (٥٥٨ هـ) وقد عد بعض المؤرخين خلافة عبد المؤمن ((اعظم خلافة قامت بالغرب الاسلامي))[٦] وهو (من اعظم خلفاء الغرب الاسلامي) [٧]

---

(١) المغرب: حسن محمد جوهر وصلاح العرب، دار المعارف – مصر ١٩٦٤ : ١٠٣ . وينظر عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، د. عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٤ : ٣٠٩

(٢) ينظر البيان المقرب، لابن غذارى، تحقيق محمد بن تاوت واميردس هوسي ممرانده، دار كريماديس للطباعة – تطوان، ١٩٦٠م : ٣١،٣٤.

(٣) ينظر الاستقصا لأخبار المغرب والاندلس ٢ :١٢٥ ، وينظر كذلك الانيس المطرب لأبن ابي زرع، طبعة فاس، ١٨٨٥ : ٢ : ٤٢١ ؛ النجوم الزاهرة ٥ : ٣٦٥، وينظر كذلك عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، محمد عبدالله عنان : ٣٨٢.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الاستقصا لأخبار المغرب والاندلس: ٢ : ١٣١.

(٦) وفيات الاعيان لابن خلكان ، تحيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت : ٤٩٣ .

(٧) عصر المرابطين والموحدين في الاندلس : ٣٩٧ .

فتولى ابنه يوسف الملقب (بأبي يعقوب) مقاليد الامور فبايعه الناس وانقضت اليه كلمة الموحدين [١] لقد واجه الخليفة الجديد صعوبات كبيرة في بداية حكمه تمثلت بامتناع اخويه السيد محمد بن عبد المؤمن والى اشبيلية ، والسيد عبدالله والي قرطبة عن اعطائه البيعة التي اوصى بها عبدالمؤمن قبل موته الا بعد فترة من الزمن، وقد مال الناس اليه وايدوه لما رأوا فيه من تخفيف اعباء الحرب عنهم، وتسريح الجيوش الضخمة، واكثر من العطاء للجند، ورفع عنهم الضرائب الباهضة [٢]، وعلى الرغم من صغر سنه عندما تولى الخلافة، الا انه اظهر براعة فائقة في معالجته للامور بفطنته [٣]، وقد حدثت في سني حكمه العديد من المعارك ، كان اولها سنة ٥٦٠هـ عندما حشد امير بلنسية زعماء الاندلس لقتال الموحدين، والتقى الجمعان بالقرب من مرسيه، ودارت معركة شديدة حقق فيها الموحدون نصرا عظيما، كان لها ابلغ الاثر في انضمام بعض زعماء الاندلس الى حكم الموحدين ومن بينهم ، ابو جعفر الوقشي [٤]والي جيان مرسيه السابق وكان عالماً وشاعراً، ومقاتلاً شجاعاً [٥].

بعد ان سحق ابو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن الثورات المناهضة لحكمه في المغرب والاندلس تاقت نفسه الى العبور الى بلاد الاندلس بقصد اصلاح حالها وجهاد العدو فيها وتم له ذلك سنة (٥٦٧ هـ) [٦] فتوجه الى اشبيلية عاصمة الاندلس في ذلك العصر واستقبله الولاة والقضاة والفقهاء من كل المدن والجهات ،

---

(١) وفيات الاعيان : ٤ : ٤٩٣ .

(٢) ينظر: تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين، يوسف اشباخ، ترجمة عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، شركة مؤسسة الخانجي، القاهرة:١١٥.

(٣) المصدر نفسه: ٣١٥ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) الاستقصا لاخبار المغرب و الاندلس ، ٢ : ١٣٨ .

الخاضعة له وكان عليه اولا ان يقضي على قوة ابن مردنيش التي استفحلت في شرقي الاندلس، فعين اخاه ابا سعيد قائدا للجيش الذي ارسله للاستيلاء على مرسيه، فخرج اليه ابن مردنيش بزيه الرومي مع جنده فالتقى الجمعان في معركة ((الجلاب)) [١]فانهزم ابن مرديتش وجنده ومات على اثر هذه المعركة سنة (٥٦٧) [٢] .

وبذلك استولى الموحدون على هذه المدينة الهامة والتي كانت فاتحة لانهيار ملك ابن مردنيش في شرق الاندلس واستسلام ابناؤه وميلهم الى الصلح مع الموحدين والتي تنازلوا بموجبها عن جميع الاراضي التي كانت بحوزتهم ومنها : بلنسيه ، ومرسيه، مربيطر، وشاطبه، ودانيه، ولفنت، وشقر، ولورقه وغيرها، وان يعوضهم عن ذلك بمناصب يتقلدونها، وان يقطع لهم ارض في مملكته. فتزوج ابو يعقوب ابنة سعيد بن مرديتش ، وخلط اهله بنفسه واورثهم ملك البلاد الشرقية زمنا غير يسير [٣] ثم عاد الى المغرب سنة (٥٧١ هـ) لاصلاح حالها وبقي فيها الى سنة (٥٧٧ هـ) عندما وفدت اليه جماعة من الاندلس لزيارته ودعوته للعودة الها وبسبب الغارات التي بدأت تشن على اطراف المدن الاندلسية الخاضعة لدولة الموحدين فعزم على الرحيل للمرة الثانية سنة (٥٨٠ هـ) بنفس تواقة للجهاد في سبيل الله واخذ يقود الجيش بنفسه في كل المعارك دون كلل او ملل حتى اصيب .بطعنة نافذة سقط على اثرها مضرجاً بدماءه في السنة نفسها ، فحمل الى تينملل في المغرب فدفن هناك بجوار ابيه وابن تومرت .

كل هذه الاحداث السياسية كان لها ابلغ الاثر في حياة شاعرنا الرصافي البلنسي والتي ظهرت جلية في شعره، فقد وجد هذا الشاعر في حكام الموحدين الرمز المنقذ لهذه الامة من الضياع والفرقة التي كانت تعصف بالاندلس بسبب غياب القيادة الحازمة الواعية المؤمنة بدينها وامتها، لذلك مال الى مدحهم بصدق ووفاء لهم لعظم الدور الذي لعبه هؤلاء الحكام في المحافظة على نشر الدين الاسلامي وجهادهم الاعداء الكفرة الذين يريدون اطفاء نور الله بكل الطرق والوسائل((ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون)) . وعلى الرغم من انه لم يوص بولاية العهد من بعده الا ان ابنه يعقوب الذي تلقب (بالمنصور) قد خلف اباه في الحكم واتبع سياسة الاصلاح، فانفق مبالغ طائلة على الفقراء والمساكين، و أطلق

---

(١) ينظر الانيس المطرب لابن ابي زرع (طبعة فاس ١٨٨٥م) ٢ : ٤٢٠ .

(٢) ينظر اعمال الاعلام: ٢٧٠، وينظر عصر تاريخ المرابطين والموحدين: ٣١٩.

(٣) نفسه.

سراح المسجونين الذين اعتقلوا لذنوب ثانوية، وتعويض الذين ظلموا في زمن وفي عهده وقع اهم حدث في تاريخ الدولة الا وهو موقعة ((الأرك)) تلك المعركة التي هزت عرش الافرنج ، فعلى الرغم من مرض المنصور ابى الا ان يخوض المعركة بنفسه ويبدو السبب في ذلك غيرته على الاسلام والمسلمين وعطرسة ملوك النصارى ولهجتهم المتعالية هي التي دفعته للجهاد في سبيل الله [١]، فبعد ان عدّ العدة عبر بقواته الى الاندلس سنة (٥٩١هـ) مخترقا السهول والجبال والهضاب دون توقف وصل الى مكان المعركة وقسم الجيش ورسم الخطة وكان كثير الاعتماد على مبدأ الشورى الذي ربما كان سببا في انتصاره في هذه المعركة، فالتقى الجيشان في ((الارك)) وانتهت بهزيمة النصارى شرّ هزيمة بعد ان قتل منهم اكثر من ثلاثين الف قتيل [٢]وبلغ السلطان الموحدي اوج عظمته بعد هذه المعركة، ثم عين ابنه ابو عبدالله محمد الناصر وليا للعهد، واخذ يشاركه في تسيير دفة الحكم، وذكر اسمه في خطبة الجمعة الى جانب اسم امير المؤمنين [٣] ، ويبدو الدافع الى ذلك هو الاحساس بدنو الأجل وانه سيفارق هذه الدنيا بعد ان ((ملأها حروبا وعركت عوده وعجمته فكان لها خير مسعر)) [٤]، فقد توفي في قصره بمراكش في الثاني والعشرين من ربيع الاول (سنة ٥٩٥هـ) فخلفه ولي عهده ((الناصر)) وحدثت في عهده اهم المعارك في تاريخ الاندلس وهي معركة ((العقاب)) سنة (٦٠٩هـ) والتي هزم فيها الناصر هزيمة منكرة كان لها ابلغ الاثر في انهيار الوجود العربي في الاندلس وبالتالي انهيار دولة الموحدين [٥]وبهذا تطوى صفحة ناصعة من صفحات التاريخ العربي الاسلامي المجيد .

---

(١) تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف اشياح: ٣٣٢.

(٢) نفسه : ٣٣٧.

(٣) نفسه : ٣٤٠ .

(٤) مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس، د. عبدالكريم التواني، نشر وتوزيع مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، ط١، ١٩٦٧ : ٣٨٠. وينظر تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين : ٣٤٠ .

(٥) ينظر الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحدي، د. عباس الجراري، دار الثقافة، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٧٩م : ١٧ .

الحياة الاجتماعية في عصر الموحدين

لقد انعكس عدم الاستقرار في هذا العصر على نفسية الانسان الاندلسي مما ادى الى خلق جو من الاستياء لدى عامة الناس، لكن هذا الوضع املته الظروف السياسية التي تحيط بالمجتمع الاندلسي ، فالخطر الدائم حولهم من كل حدب وصوب متمثلا بالنصارى الذين يتحينون الفرص للانقضاض على المجتمع الاندلسي الذي اصبح مجتمعا اسلاميا تسوده الحرية والعدالة والتسامح، وهذا لا يعني ان المجتمع الاندلسي لم ينعم بالأمن والاستقرار في ظل حكم الموحدين ، فقد برزت فترات طويلة نعمت فيها الاندلس بالأمن والاستقرار لاسيما في خلافة يوسف بن عبدالمؤمن الذي عمّ بعهده الرخاء وساد الامن وانتشر السلام، يقول صاحب الانيس المعرب ((ملك من مدينة تطيلة قاصية بلاد شرق الاندلس الى مدينة شترين من بلاد غرب الاندلس، يجبى اليه خراج ذلك كله دون لكس ولا جور فكثرت الاموال في ايامه وتمهدت البلاد، وتأمنت الطرقات وضبطت الثغور وصلح امر الناس في البادية والحاضرة وذلك لحسن سيرته الجميلة وعدله الشامل لرعيته وتفقده لأحوال بلاده القريبة والبعيدة ومباشرته امور مملكته بنفسه حتى لا يغيب عليه شيء ولا يدخله فتور عن النظر في اموره ولا يوكلها الى غيره)) [١].

لقد حظيت المرأة الاندلسية في هذا المجال بنصيب وافر من الحرية في هذا العصر والدليل على ذلك احترام الساسة والمفكرين ، فابن رشد (ت٥٩٤هـ) الفيلسوف الاندلسي لا يرى فرقا بين الرجل والمرأة ولكن المرأة اضعف من الرجل في القدرات الجسمية وطالب بايجاد العمل المناسب الذي يوافق قدرات المرأة البدنية والعقلية ، وقد هاجم اهل المشرق لمنعهم المرأة من العمل وخدمة المجتمع حسب قدراتها العقلية والانسانية ((وكأنها لم تخلق الا للانجاب والارضاع)) [٢].

---

(١) لأنيس المطرب ابن ابي زرع : ٢ : ٤٢٤ . وينظر كذلك تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ، تحقيق عبدالهادي التازي، بيروت، ١٩٦٤ : ١٤٠-١٤١.

(٢) ينظر: ظهر الاسلام، احمد امين، مكتبة النهضة المصرية- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٥٩، ح٣ : ٢٥٧.

ومما يوضح مدى التقدم والنضوج الفكري في هذا العصر وينم عن مقدار التحرر في الفكر الاسلامي في نظرته الى المرأة ودعوته لفسح المجال امامها للعمل البناء والمثمر فلي بناء المجتمع هذه النظرة المتسامحة هي التي دفعت العديد من الشعراء في رثاء زوجاتهم ومنهم ابو عامر بن الحمارة [١] . وكذلك كثرة النساء الشواعر في هذا العصر ومنهن الشاعرة حفصة الركنونية صاحبة جعفر بن سعيد وشواعر اخريات يعلن غزلا صريحا ونرى من خلال هذه الاشعار الصراحة في العلاقات مع الرجال دون وازع من خوف او محاسبة من أي جهة مما يدل على سعة الحرية المعطاة للمرأة [٢].

اما الموقف من اليهود والنصارى فقد خيرهم عبدالمؤمن بن علي بين ثلاث فاما ان يدخلوا الاسلام، او يلتحقوا بدار الحرب، او تخرب ديارهم فاسلمت طائفة منهم ولحق بدار الحرب طائفة اخرى [٣]، وتدل هذه السياسة على التعصب البعيد عن تعاليم الدين الاسلامي ولكنها في فترات اخرى امتازت بنوع من التسامح والاعتدال في معاملة اليهود والنصارى ، فبقيت الكنائس والاديرة الى جانب الجوامع تقام فيها طقوسهم وتراتيلهم وشعائرهم الدينية ، وهذا دليل على عدم التعصب والانفتاح والتسامح الديني .

---

(١) هو الاديب والفيلسوف ابو عامر بن الحمارة تلميذ ابن باجة توفي سنة ٥٧٠هـ . ينظر تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ، ٥ : ٤١٦.

(٢) انظر الذيل والتكملة ، عبدالملك المراكشي، تحقيق د. احسان عباس، بيروت، ١٩٦٤، ٥ : ٦٠٨.

(٣) ينظر النجوم الزاهرة لابن تغري ، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ٥ : ٢٨١ .

الحياة الادبية والعلمية

بالرغم من الاحداث التي استنفدت جهدا كبيرا من دولة الموحدين نلاحظ هناك حياة علمية تستحق الفخر والاعجاب ، وقد اتسمت هذه الحياة بالقوة والازدهار على العكس من الحياة السياسية التي اتسمت – كما قلنا سابقا – بالفتن والاضطرابات الداخلية والحروب والمنازعات الخارجية .

ولكن هذه الفتن والنزاعات لم تؤثر على الحياة الادبية والعلمية تأثيرا سلبيا، بل ربما كان لها اثر ايجابي في تقدم الآداب والعلوم، ففي مجال الأدب والشعر ظهر الكثير من الشعراء والادباء واول مناسبة جمعت هؤلاء الشعراء دعوة عبدالمؤمن ابن علي خليفة الموحدين حين عبر الى الاندلس ونزوله في جبل طارق والذي سمي بعد ذلك بجبل الفتح، ومنهم محمد بن حبوس الفاسي (ت٥٧٠هـ) والاصم المرواني (ت ٥٦١هـ) وابو بكر بن المنخل الشلبي (ت ٥٨٠هـ) وابن صاحب الصلاة (ت٦١٤هـ) وابو جعفر بن سعيد (ت٥٥٩هـ) وابو العباس الحراوي (ت) ، كما ظهر شعراء آخرين وهم عبدالرحمن السهيلي (ت٦٤٩هـ) وابو الحسن محمد بن جبير وابو البقاء الرندي (ت ٦٨٤هـ) وغيرهم ، وهؤلاء الشعراء كانت لهم منزلة عظيمة في الشعر الاندلسي، ونبغ في التاريخ ابن الأبار (ت٦٥٨هـ) وابن صاحب الصلاة (ت٥٧٧هـ) ، وفي المغازي والسير ابو بكر الطرطوشي (ت٥٢٠هـ) وكتابه (سراج الملوك) وفي الجغرافية ابن جبير وكتابه (الرحلة) وفي الطب ابو بكر محمد بن زهر (ت٥٩٦هـ) وفي علم النبات برع ابن البيطار (ت٦٤٦هـ) وابو جعفر محمد بن احمد الغافقي (ت٥٦١هـ) وفي الشريعة ابن الاقليش (ت) وفي اللغة والنحو ابو علي الشلوبين (ت) وابن السيد البطليوسي (ت) وفي الفلك البطروجي (ت) ، اما الفلسفة فقد حضيت باهتمام كبير من قبل الاندلسيين في هذه الفترة وظهر فيها مذهبان الاول آرسطي ومثله ابن باجه (ت٥٣٣هـ) وابو بكر بن طفيل (ت٥٨١هـ) وابو الوليد بن رشد (ت٥٩٤هـ) .

والثاني إفلاطوني ومثله محي الدين ابن عربي (ت٦٣٨هـ) المتصوف الحائر الجوال ، الذي ترك اثراً وضحاً في العالم الاسلامي والاوربي ، وهو صاحب كتاب نصوص الحكم والديوان والفتحات المكية [١] .

ان هذا الازدهار العلمي كانت له اسبابه التي كان في مقدمتها التشجيع الواسع من حكام الاندلس الذين كانوا خلال هذه الفترة اما من العلماء او من المحبين لهم، فلقد كان ((سراج الموحدين)) [٢]عبدالمؤمن بن علي يؤثر اهل العلم ويحبهم ويحسن اليهم، فيستدعيهم من انحاء البلاد للسكنى عنده والجوار بحضرته، ويعطيهم الارزاق الواسعة ويظهر لهم الاجلال والمودة [٣]، وليس ذلك بغريب عنه. فقد كان ((فقيها عالما بالاصول والجدل والحديث مشاركا في كثير من الامور الدينية والدنيوية)) [٤]، اضافة الى ذلك كان عبدالمؤمن كاتبا بليغا واديبا فصيحا عذب المنطق واماما في النحو واللغة، حافظا للتاريخ اماماً للناس وشاعرا ينظم الشعر الجيد)) [٥] كما كانت له مطارحات شعرية مع وزيره ابن عطيه) [٦] .

كذلك فعل ابو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (٥٥٨هـ- ٥٨٠هـ) ، فقد وفدت اليه الشعراء من الاندلس والمغرب وطالت اقامتهم عنده لمدة خمسة وعشرين يوما ثم خلفه ابنه يعقوب بن عبدالمؤمن الملقب بالمنصور (٥٨٠ هـ-٥٩٥هـ)الذي عرف بولعه بالادب والعلم يقول محمد رشيد ملين ((كان اديبا ينظم الشعر وينقد القصيدة وكان كاتبا خفيف الروح)) [٧] لذلك ازدهرت الثقافة في عصر هذا الملك العظيم ففتح ابواب قصره للمجالس العلمية فكان يخصص يوما للادباء ويوما للفقهاء

---

(١) **ينظر تاريخ الفكر الاندلسي – بالنثيا- ترجمة حسين مونس، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٥ : ٢٣-٢٤.**

(٢) **ينظر الاسلام في المغرب والاندلس، ليفي بروفنسال، ترجمة السيد محمود عبدالعزيزو محمد صلاح الدين، مكتبة النهضة، مصر د.ت : ٢٣٧ .**

(٣) **المعجب ، الكتاب الثالث : ٢٩٣ .**

(٤) **الاستقصا لاخبار المغرب، ح٢ : ١٣٠ .**

(٥) **ينظر العبر في أخبار من غبر – للذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٣، ح٤ : ١٣١.**

(٦) **تاريخ المن بالامامة : ٢٥٤ .**

(٧) عصر المنصور الموحدي ، مطبعة الشمال الافريقي : ١٦٣ .

ويوما للاطباء [1]. من كل ما تقدم يمكننا القول بأن العصر الموحدي من العصور التي بزغت فيها شمس الحضارة لتنير امام شعوب اوربا التي كانت تعيش عصر التخلف والانحطاك والظلم – وتخرجها الى عالم النور والعلم النافع عالم الحرية الاسلامية والعدل والمساواة .

[1] عصر المنصور الموحدي، محمد رشيد ملين، مطبعة الشمال الافريقي (د-ت):١٦٣.

سيرته

الفصل الأول
سيرته

المبحث الأول
حياته

اسمه – كنيته - لقبه

هو أبو عبدالله محمد بن غالب الرصافي، الرّقاء البلنسي [١]، الاندلـــسي [٢]، الوزير الكاتب [٣]، والشاعر المشهور ، وهو واحد من اعلام الادب في الاندلس ، له حسه الفني الذي انفرد به عن بقية شعراء وقته صاحب العاطفة الفياضـــة ، التـــي نبعت عن ايمان مطلق بما يقول ، ولد شاعرنا في رصافة بلنسية واليها نسب. وقـــد حضيت هذه البقعة من ارض الاندلس بنصيب وافر من الجمال والتي بهرت الكتاب والمؤرخين والادباء فوصفوها بأدق وصف من ذلك ما جاء في المسهب للحجـــاري ((مطيب الاندلس ، ومطمع الاعين والانفس ، وقد خصها الله بأحسن مكان، وحفهـــا با لانهار والجنان، فلا ترى الا مياهً تتفرع، ولا تسمع الا اطياراً تسجع، ولا تستنشق تنفح ، وما اجلت لحظا بها في شيء الا قلت هذا املح، ولها البحيرة التي تزيد مـــن ضوء بلنسية صحو الشمس عليها. ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضـــوء بـــلاد الاندلس، وجوها صقيل لا ترى فيها ما يكدر خاطرا ولا بصرا)) [٤]، اذن في هـــذه

---

(١) التكملة : لأبن الابار ، ترجمة رقم (٧٧٢)، الاحاطة لسان الدين الخطيب، المجلد الثاني : ٢٨٦، ادباء مالقه. لأبن خميس المالقي: ٦٨ ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٤ : ٢٤٢، المقتضب لابن الابار: ٥٦ ، رايات المبرزين لابن سعيد : ٨٤ ، مسالك الابصار س٣٧ : ١٣٠ ، الاعلام للزركلي ٦ : ، تاريخ الاندلس لابن الكرديوس : ٨٦ .

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي ٤ : ٣٠٩، وفيات الاعيان لابن خلكان ٤ : ٤٣٢.

(٣) المعجب ، عبدالواحد المراكشي : ٢٨٦ .

(٤) المغرب لابن سعيد ٢ : ٢٩٧ .

البيئة الساحرة ولد الرصافي البلنسي فلا غرابة ان تنفجر فيه كوامن الابداع وتتعمق في نفسه الرقة ورهافة الحس والتي استطاع بتأثير هذه البيئة ان يرسم لنـــا صـــورا زاهية بالحيوية والتجدد نال بها الخلود والشهرة على الرغم من ابتعاده فـــي اكثـــر الاحيان عن المظاهر البراقة والجري وراء مغريات الحياة الزائلة. وبذلك نال الخلود في سجل الشعراء المتعففين.

ولادته ونشأته

لم تحدد المصادر التي ترجمت للرصافي الرفاء تحديدا دقيقا زمن ولادتـــه ، ولكن يمكن الاستدلال على ذلك من خلال الاشارة التي وردت في المعجب ومفادها ان الرصافي حين القى قصيدته في حضرة عبد المؤمن خليفة الموحدين فـــي جبـــل الفتح عندما عبر الى الاندلس والتي مطلعها: [١]

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور

((لم تكمل له عشرون سنة)) [٢]من هذه الإشارة استنتج الدكتور إحسان عباس بـــان سنة ولادته قد تكون في حدود سنة (٥٣٦هـــ) [٣]وهـــذا هـــو اقـــرب الآراء إلـــى الصواب لانه لا يوجد بين أيدينا دليل يوافق او ينقض هذا الرأي .

اما مكان ولادته فقد أشارت المصادر انه ولد في رصافة بلنـــسية [٤] وهـــي عبارة عن بساتين وحدائق زاهية كان يتوسطها على ما يبدو – قصر وتتخللها المياه الجارية وهي من ابدع متفرجات بلنسية ، انشأها الأمير عبد الله بن عبـــد الـــرحمن

---

(١) **الديوان : ٧٠ .**

(٢) **المعجب ، عبد الواحد المراكشي : ٢٩٠ .**

(٣) **مقدمة الديوان : ١٣ .**

(٤) **المقتضب في تحفة القادم ٥٦، الحلة السيراء ٢ : ٢٦٤، صفة جزيرة الاندلس للحميري، عني بنشرها ليفي بروفنسال، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٧.**

الداخل الملقب بالبلنسي [١] سنة ٢٠٨هـ وتقع الى الجنوب الشرقي من بلنسية بينها وبين البحر [٢].

في هذه البيئة الجميلة نما وترعرع شاعرنا فمنذ الطفولة تفتحت عيناه برؤية الجمال ترجمها بقصائد رائعة تفيض عذوبة وحيوية وتنم عن احساس مرهف وتذوق لمواطن جمال الطبيعة الساحرة . ولكنه لسبب ما فارق مهد الطفولة برفقة والده الى مكان آخر يقول ابن الابار : ((خرج من وطنه صغيرا فكان يكثر الحنين اليه ويقصر اكثر منظومه عليه))[٣]وظل يذكر اماكن اللهو في عهد الطفولة كالرصافة وجسر معان والبحيرة والنهر والمناظر الطبيعية الاخرى فيقف على الديار على طريقة الجاهليين فيقول:[٤]

قفا عبر مأمورين ولتصدا	على ثقة للغبث فاستسقيا القطرا
بجسر معان و الرصافة انه	على القطر ان يسقى الرصافة والجسرا
بلادي التي ريشت قويديمتي بها	فريخا وآوتني قرارتها وكرا
مباديء لين العيش في ريق الصبا	ابى الله ان لا نسى لها ابدا ذكرا

اما تفاصيل حياته الخاصة والاجتماعية فقد سكتت المصادر عن الاشارة اليها لا من قريب ولا من بعيد سوى انه عاش ((صرورة لم يتزوج)) [٥].

شخصيته واخلاقه

تحدثت المصادر القديمة باسهاب عن شخصية الرصافي واخلاقه، وقد قال عنه صاحب ادباء مالقة ((وحدثني الفقيه ابو عمرو بن سالم رحمه الله ومن خطه

---

(١) ينظر رايات المبرزين ابن سعيد، تحقيق غرسيه غومي، ط١، مدريد(د-ت) : ٨٤، المغرب تحقيق د. شوقي ضيف – مصر-١٩٥٥ ، ٢ : ٣٤٢، نفح الطيب للمقري ، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨ ، ٣ : ٢٢١.

(٢) تاريخ الاندلس ٨٦ (نص ابن الكرديوس) .

(٣) التكملة : ٥٢٠ ، نفح الطيب ٤ : ٩ .

(٤) الديوان : ٦٨ .

(٥) الحلة السيراء لابن الابار ١٢ : ٢٦٤ .

نقلت، قال حدثني الوزير الحسيب ابو الحسين شاكر بن الفقيه الاديب ابي عبدالله ابن الفخار المالقي رحمه الله قال : ما رأيت من عمري رجلا احسن سمتا واطول صمتا من ابي عبدالله الرصافي من اعقل الناس))[١] وقال ايضا ((كان الفقيه ابـو عبـدالله الرصافي من اعقل الناس وكان رفاءً فما سمع له احد من جيرانه كلمه في احد))[٢]، وقال عنه في موضع آخر ((وكان من اعقل الناس واحسنهم خُلقا وخلقاً))[٣]، وقـال عنه صاحب كتاب الصلة ((كان عفيفاً، ساكناً، وقوراً، ذا سمت وعقـل))[٤]، وقـال عنه ايضا عبدالملك المراكشي كان ((كاتباً بليغاً، ديناً، وقوراً، عفيفاً، متفقهاً))[٥]. لقد اورد لسان الدين الخطيب قصة تدل على حلمه وعقله يقول فيها ((وكان بازائه ابـو جعفر البلنسي)). وكان متوقد الخاطر، فربما تكلم مع احد التجار، فكان منه هفـوة، فيقول له جلسائه شتان والله بينك وبين ابي عبيدالله في العقل والصمت، فربما طالبه بأشياء ليجاوبه عليها، فما يزيد على القسم)) ثم قال ((فلما كان احـد الايـام جـاء البلنسي ليفتح دكانه، فتعمد القاء الغلق من يده فوقع على رأس ابي عبـدالله، وهـو مقبل على شغله فسال دمه ، ثم ربط رأسه، وعاد الى شغله. فلما رأى ذلك منه ابو جعفر ترامى عليه وجعل يقبل يديه ويقول: واله ما سمعت برجل اصـبر منـك ولا اعقل))[٦].

ومن خلال ما تقدم يتضح ان الشاعر كان متدينا من ذوي الفضل معدودا في اهل الخير متواضعا وكان ممن يحسن الـصلة بالنـاس علـى اخـتلاف طبقـاتهم واجناسهم.

هجرته

لقد كان المكان الذي هاجر اليه الرصافي هو مدينة ((مالقه)) واتخـذها دارا لاقامته الى ان توفي بها رحمه الله والسبب في هجرته الى مالقـه هـو اضـطراب

---

(١) ادباء مالقة ٦٨-٦٩ ، المقتضب في تحفة القادم لابن الابار : ٥٦.

(٢) المصدر نفسه:٦٩.

(٣) المصدر نفسه :٦٩.

(٤) صلة الصلة لابن الزبير ، تحقيق لافي بروفنسال، الرباط ١٩٣٧م، ٢ : ١٥٠.

(٥) الذيل والتكملة ، عبدالواحد المراكشي ٥ : ٦٠٩.

(٦) الاحاطة لسان الدين الخطيب ٢ : ٥٠٦ .

الاحوال السياسية في بلنسية والسعي في طلب الرزق ، وقد رفض الدكتور احسان عباس السبب الاول بقوله ((من السهل ان نفترض ان اضطراب الاحوال السياسية في بلنسية هو الذي حكم على والده بالرحيل عنها، ولكن هذا الفرض لا يثبت للمناقشة اذا عرفنا ان سائر البلاد الشرقية لم تكن احسن حالا من بلنسية في هذا الصدد، ويمكن ان يقال ان غالبا – الوالد- انما هاجر من بلنسية سعيا وراء الرزق بعد ان ضاقت به الحال في بلده))[١] ، وهذا الرأي هو الاقرب الى الواقع لانه كان في مالقه سوق كبير للرفائين يستطيع والده العمل في هذا السوق ليحصل على رزقه ويبدو ان الرصافي قد ورث هذه المهنة من ابيه التي جعلها مهنته الاساسية على الرغم من قلة المال المتأتِ من هذه المهنة وابى ان يمدح تكسبا ثم ارتحل بعد ذلك الى غرناطة ومدح الوالي عبدالملك بن سعيد قائلا : [٢]

ايداً تفيض وخاطرا متوقدا دعها تبت قبساً على علم الندى

ثم قيض الله ان يعير بحر الزقاق وقد وصف تلك الرحلة قائلا : [٣]

ركبت لها بحر الزقاق تعمدا وللفلك بين العدوتين تبارى

و سافر الى المغرب وزار مكناسة الزيتون ووصفها قائلا[٤] :

ولا كمكناسة الزيتون من وطن احسن بمنظرها المربي على العجب

وفاتــه

حددت المصادر التي ترجمت للشاعر على انه توفي في مالقة في التاسع عشر من رمضان سنة (٥٧٢هـ)[٥] الا ابن خميس ((ت ٦٣٩ هـ)) فقد ذكر ان وفاته كانت سنة ((٥٧٣ هـ)) و ارجح الرأي الثاني والسبب في ذلك يعود الى ان

---

(١) مقدمة الديوان : ١١.

(٢) الديوان : ٥٤ .

(٣) نفسه : ٨٦ .

٤) نفسه : ٤٧ .

(٥) الاحاطة :٢ : ٥١٥، الحلة السيراء ٢ : ٢٦٤، المقتضب : ٥٩ .

الذي ذكر ذلك كان في زمنه اقرب الى الشاعر ، لقد ترك الرصافي البلنسي ما يخلد اسمه بأحرف من نور وهي تلك الاشعار التي وصلنا جزءا منها وفقد اكثرها وخلقه المتواضع الذي روته لنا المصادر مما حدى ببعض اصدقائه الـــى رثائـــه بـــبعض الابيات التي كتبت على قبره ، قال ابو عمر: وقفت معه، يعني الشريف [١] ، ومعنا صاحبنا ابو الحسن ابن الحكيم على قبر الفقيه ابي عبد الله الرصافي، فتراحمنا عليه، وذكرنا اخباره، وارتجل ابو الحسن الشريف هذه الابيات وذلك يوم الجمعة الخامس من رمضان من سنة (٥٩٧هـــ) بجانب مالقة حرسها الله تعالى)) .

سقى قبر من اضحى لدينا به الفخر وكان لنا منه النباهة والقدر
صوائب مزن ينثني النبت حوله فيبصر فيه النور قد زف والزهر
معيك ايا قبر الرصافة والحجا وشتى المعالي الغر والنظم والنثر
بكي الرصافي الذي كان ذكره يطيب به في كل اونة نشر
عيون الاحباب اقاموا بقبره رمالهم الا التأسف والذكر
وقد غشيتهم للتذكر روعة فألوانهم صفر وادمعهم حمر
عليك – ابا عبدالاله- تحية مروجة حتى يجمعنا الحشر[٢]

ديوان شعره

يعد الرصافي شاعرا واديبا [٣] من شعراء الاندلس المشهورين [٤]، له ديوان ذكرته المصادر القديمة وقد حمله ابو عبدالله الحجاري وابو الحسن بن جبير وعلي بن كسرى [٥]المالقي واذاعوه بين الناس لكنه لم يصل الينا ، ويبدو انه فقد مع ما فقد

---

(١) **هو ابو الحسن علي بن عبدالله العلوي، كان من ادباء مالقة ذوي الحسب والمعرفة اللذين عاصروا الرصافي البلنسي وصاحبوه . ينظر ادباء مالقة ١٦٧-١٦٨.**

(٢) **ادباء مالقة : ١٦٨ .**

(٣) **بغية الملتمس – الظبي : مطبعة روخس المسيحية : ١٨٨١ م : ١٠٩ ، وينظر ادباء مالقة : ٦٨ .**

(٤) **نفح الطيب ٤ : ٣٧، ٤٠٢.**

(٥) **ادباء مالقة : ٧٠ .**

من نفائس التراث الاندلسي، ولقد قام الدكتور احسان عباس بجمع شعره من المضان المتيسرة وقد طبعه مرتين الاولى سنة ١٩٦٠ وتظم هذه الطبعة تسعة وخمسين قصيدة ومقطوعة ، والثانية سنة (١٩٨٣م)وتظم سبعة وسبعين قصيدة ومقطوعة.

والحقيقة ان الرصافي الرفاء من ابرز شعراء القرن السادس الهجري، وقد كان لفقدان ديوانه اثر كبير في اهمال دراسته،ولقد عاصر شاعرنا ادباء وشعراء كثيرين كان من ابرزهم الاديب الكاتب ابو جعفر احمد بن عطية (ت ٥٥٣هـ)وزير عبدالمؤمن [١]ونذكر منهم ايضا ابن قزمان (ت٥٥٥هـ) ((امام اهل الزجل المنظوم))[٢]، ولقد ظهر لنا من خلال مجموعه الشعري بانه شاعر كبير متمكن يقف في مصاف شعراء العربية الكبار وشعره مرآة ناصعة انعكست عليه صورة العصر السياسية وخصائصه الفكرية والثقافية ، لقد نظم الرصافي في مختلف اغراض الشعر المعروفة كالمدح ، والرثاء ، والغزل، والتهنئة ، والمراجعات الاخوانية ، والحنين الى الديار ، والوصف وغيرها، وله قطعة نثرية في وصف قلما تمتاز بقصر العبارة وتنميقها بالسجع ووضوح الفكرة موظفا فيها جانبا كبيرا من ثقافته التي عرف بها في شعره .

---

(١) **الحلة السيراء لابن الابار : ٢٦٤ .**

(٢) **المغرب ١ : ١٠٠، ١ : ١٦٧ ، تحفة القادم (ترجمة ٢٥)، الاحاطة في اخبار غرناطة ٢ : ٢٩٤، الوافي ٤ : ٣٠٠.**

المبحث الثاني
آراء العلماء و المؤرخين في أدبه

لقد نال الرصافي الرفاء ثناءً منقطع النظير من الباحثين القدامى والمحـدثين وسنتحدث اولا عن آراء القدامى فقد اعجبوا بأدبه اعجابا شديدا، يقول عنه صاحب ادباء مالقة ((فحل الشعراء ورئيس الادباء))[١] وقـال عنـه المـؤرخ عبدالواحـد المراكشي (ت٦٤٧هـ) ((وهو من مجيدي شعراء عصره، لاسـيما فـي المقـاطع كالخمسة أبيات مما دونها))[٢] ويقول عنه المؤرخ و الناقد ابن الابار (ت٦٥٨هـ) ((شاعر وقته المعترف له بالاجادة وكان من الرقة سلاسة الطبع وتنقيح القـريض وتجويده على طريقة متحدة))[٣]، ويقول عنه في المقتضب ((وكان فـي قـصائده كثيرا ما يذكر شوقه الى معاهده ويأتي بما يعجب ويعجز))[٤] ،اما المؤرخ محمد بن عبـد الملـك المراكـشي فيقـول ((كان شاعرا مجيدا رقيق الغزل سلس الطبع بارع التشبهات بديع الاستعارات نبيل المقاصد والاغراض))[٥]، وقال عنه صاحب كتاب صلة الصلة (ت ٧٠٨هـ) ((كان فحلاً من فحول الشعراء))[٦]، كما ذكره العمري فقال ((شاعر سـلب المـدام نشوتها وحكى في الظلام حلوتها وجاء من الادب بما تخف بـه رجاجاتـه، ويلـج المسامع حاجاته))[٧]، وكذلك ذكره الصفدي فقال : ((كان شاعر زمانه شعره مدون ينافس فيه))[٨]، وقال عنه المؤرخ والاديب ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ) ((وشعره لا

---

(١) ادباء مالقة لابن خميس المالقي : ٦٨.

(٢) المعجب في تلخيص اخبار المغرب ٣ : ٢٩٠.

(٣) التكملة لابن الابار ٢ : ٥٢٠.

(٤) المقتضب من تحفة القادم لابن الابار : ٥٦.

(٥) الذيل والتكملة ، ابن عبد الملك : ٢٥٠ .

(٦) صلة الصلة لابن الزبير:٢:١٠٧.

(٧) مسالك الابصار ، اصدار فؤاد سزكين مع علاء الدين جوفاشا، معهد تاريخ العلوم العربية الاسلامية في جامعة فرنكفورت، طبع بالتصوير عن مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ، ١٩٨٨، ٣ : ١٣٠ .

(٨) الوافي بالوفيات، الصفدي ٤ : ٣٠٩.

نهاية فوقه رونقا ومائية ، حلاوة وطلاوة، ورقة وديباجـــة، وتمكـــن الفـــاظ، وتأصـــل معنى))[١]، ويقول عنه صاحب أعمال الأعلام ت (٧٧٦ هـــ) ((شاعر الانـــدلس فـــي وقته))[٢] كما سماه الاديب والمؤرخ احمد المقري ت (٩٨٦ هـــ) ((ابن رومي الاندلس))[٣]لأن شعره يمثل محاولات لتوليد المعاني الجديدة وحسن التعليـــل وابـــراز الـــصورة المبتكرة، ، وقال عنه مؤلف وفيات الاعيان لابن خلكان ت ( ) ((له اشعار ظريفة ومقاصد في النظم لطيفة وشعره سائر بالآفاق))[٤]. ولقد برزت قدرتـــه كـــشاعر كبيـــر ومبدع في اكثر من مناسبة ولعل من اهمها المناسبة التي جمعته مـــع الـــشعراء الـــذين استدعاهم الخليفة عبد المؤمن بن علي عندما نزل جبل الفتح ولم يكن يستدعيهم قبل ذلـــك وانمـــــــــــا كـــــــــــانوا يـــــــــــستأذنون فيـــــــــــؤذن لهم [٥]. ومن اهم هؤلاء الشعراء اضافة الى الرصافي محمد بن حبوس الفاسي، والاصم المرواني وابن سيد الملقب بـــ (اللص) [٦] وابو بكر بن المنخل الشلبي وابن صـــاحب الصلاة وابو جعفر بن سعيد وابو العباس الجراوي ، وقد نال هؤلاء الشعراء الجوائز من الخليفة كما نالوا البركة مع الناس ثلاث مرات. ولقد طالت الاقامة بهم عشرين يوما [٧]. اذن دعوة الشاعر الى هذا الحفل الكبير يحمل في طياته معاني عديدة منها ذيوع صـــيته وشهرته بين الناس ، هذه الشهرة التي وضعته جنبا الى جنب مع الشعراء البارزين فـــي الاندلس ، وبهذا يكون الشاعر قد تجاوز عهد التجارب الاولى ومـــن التقـــدير لقريحتـــه الصافية ذات المنهل العذب ان يقال انه لم يكن يومئذ قد اكمل العشرين من عمره .

اما الادباء والنقاد المحدثون فقد كشفوا الستار عن اعماله الرائعة التي تـــدل على عبقرية متأصلة في فكر الشاعر، يقول الاديب والناقد الدكتور مصطفى الشكعة

---

(١) **الإحاطة في اخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب، المجلد الثاني : ٥٠٧ .**

(٢) **أعمال الأعلام، لسان الدين ابن الخطيب : ٢٤٦.**

(٣) **نفح الطيب ٥ : ١٥٨ .**

(٤) **وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٤٣٢.**

(٥) **المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة : ١٤٢-١٦٧.**

(٦) **اللص : هو ابن سيد ،من شعراء الدولة الموحدية وسمي باللص لاغارته على اشعار الناس ينظر :**

(٧) **المصدر نفسه : ١٦٧ .**

((ان الرصافي الرفاء يتأنق تأنقا بالغا في وصفه للنهر ويوفق توفيقا معجبا فما خلع عليه من تشبيه وبما اسبغ عليه من الوان))[١] ، ثم اسبغ عليه الاستاذ الدكتور عبد الله الجبوري صفة الشاعر ((الفذ))[٢]، وقال عنه الاديب الاستاذ الدكتور احسان عباس ((ان الرصافي يقف في مصاف البارعين من شعراء الاندلس))[٣]. لقد اتسمت اعماله بالابداع والاصالة ، يقول عنه الدكتور محمد مجيد السعيد ((وقد ابدع في ابياته التي يصف فيها دولاب ، والتي كانت محتذى للكثرين من بعده تأثروا بها واستغلوا معانيها))[٤]. لقد عده بعض الادباء من الشعراء المعدودين في بلنسه ، يقول الدكتور عدنان صالح مصطفى ((ومن شعراء بلنسية المعدودين، شاعرها الذي لها ان تفخر به يملىء فيها، ابن غالب ابو عبدالله الرصافي)) [٥]، اما المستشرق الاسباني غرسيه غومس بانه حامل علم الطريقة المشرقية قال ((وجعلت نواحي الدولة برؤساء او شعراء ممن اجادوا قول الشعر وبرعوا فيه. وقد رفع علم الطريقة المشرقية ابو عبدالله محمد بن غالب البلنسي المعروف بالرصافي))[٦]، اما المؤرخ الدكتور محمد عبد الله عنان فيقول في مقدمة كتاب الاحاطة ((ويضم طائفة من اكابر الكتاب والادباء والشعراء.... ومنهم ابن غالب الرصافي))[٧] ويقول الدكتور محمد رضوان الداية ((والرصافي يذكر عادة في مدرسة ابن خفاجة:المحافظين على رونق الشعر الجزل، وتقوم طريقته الشعرية على التنقيح والتجويد)) [٨]، وقد عده د. الواركلي من مرموقي شعراء الاندلس في القرن السادس الهجري [٩] .

---

(١) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، دار العلم لملايين – بيروت ١٩٧٤ : ٣١٦.

(٢) اشعار ابي الشيص الخزاعي، عبداله الجبوري، وزارة التربية ١٩٦٧ : ١٢٦ .

(٣) مقدمة الديوان: ٢٧ .

(٤) الشعر في عهد المرابطين والموحدين :١٤٣.

(٥) في الشعر الاندلسي : عدنان صالح، دار الثقافة – الدوحة ، ط ٢ : ٩٥ .

(٦) الشعر الاندلسي: غومس ،ترجمة حسين مونس ، مكتبة النهضة- القاهرة ١٩٥٢.

(٧) الاحاطة ٢ : ٧ .

(٨) في الادب الاندلسي، محمد رضوان الداية، دار الفكر ، دمشق، سورية ، ط١ : ٦٧

(٩) المستدرك على ديوان الرصافي البلنسي، د. عبدالكريم الواركلي ، مجلة دراسات اندلسية ، العدد العاشر ١٩٩٣: ٩.

المبحث الثالث
مصادر ثقافته

لم تتحدث المصادر التي تناولت حياة الشاعر عن بـــدايات حياتـــه العلميـــة والادبية ، فلم نعرف شيئا عن المصادر التي استقى الشاعر ثقافته منهـــا، فـــنحن لا نستطيع ان نجزم من خلال المعلومات المتوفرة بين ايدينا باسماء الشيوخ والمؤدبين الذين تتلمذ الشاعر على ايديهم، ولكن يبدو ان الشاعر قد نال ثقافته الاولية في مدينة بلنسية، يقول [١]

بلادي التي ربشت قويدمتي فريخا وآونتي قرارتها وكرا
مبادىء لين العيش في ريق الصبى ابى الله ان انسى لها ابدا ذكرا

واذا عرفنا جانبا من نظم التعلم السائدة في الاندلس قد نهتدي الى الكيفية التي تلقى بها الشاعر العلم في بدايات حياته، لقد ذكر لنا العلامة ابن خلدون كلاما عـــن الطرق التي اتبعها الاندلسيون في تعليم اولادهم فقال: ((واما اهل الاندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم. الا انه لمـــا كان القرآن اصل ذلك دراسة ومتبع الدين والعلوم جعلوه اصلا فـــي التعلـــيم. فـــلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالـــب واخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب.))[٢]. يفهم من كـــلام ابـــن خلدون غير المرتبط بزمان ان الاندلسيين كانوا يرسلون اولادهم الى اماكن تـــسمى المكاتب لغرض تعليمهم القراءة والكتابة والخط، وكان القرآن الكريم مادة تعلمهم من حيث كونه ((نصوصاً)) تؤدي مهمة تعليم القراءة والخط للغة كلها الى جانب ترسيخ بعض معاني الاسلام في قلوب الاولاد، ولم يقتصر التعلم على اقرار القرآن الكريم كمنهج اساسي، بل كانوا يختارون نصوصاً من الشعر لينشأ الطالب فصيحا عـــذب اللسان. ويبدو ان شاعرنا الرصافي الرفاء قد نال حظه الوافر من التعلم ونهل العلم

---

(١) **الديوان** : ٦٨.

(٢) **مقدمة ابن خلدون – تحقيق الدكتور علي عبدالواحد وافي، القاهرة، ١٩٦٢ : ٤ : ١٢٤٠-١.**

من منهله العذب والذي ظهر لنا جليا في شعره ، ويمكننا تتبع المصادر الاساسية لثقافته الواسعة من خلال :

١-القرآن الكريم

٢-اللغة العربية

٣-كتب التراث

اولاً : القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم الرافد الاساسي الأول بل يمكن القول انه اهم روافد ثقافة الرصافي البلنسي، فهو الذروة التي وصلت اليها اللغة العربية، ولأنه كلام الله المعجز فقد نهل الشاعر من هذا المنهل العذب وعكف على دراسته دراسة مستفيضة حتى وصف ((بالفقيه))[١]، وقد افاد الشاعر من ثقافته القرآنية ووظفها خير توظيف في شعره مما يدلل على سعة اطلاعه على اسرار الكتاب الرباني المعجز، ولم يقتصر تأثره على الالفاظ والمعاني، بل شملت الصورة والاسلوب، لذلك لم نجد قصيدة من قصائد الشاعر في مختلف الاغراض الشعرية ، من دون ان نلتمس الاثر الواضح لثقافتها الإيمانية، لذا كان لزاماً علينا التطرق الى بعض نماذج هذا التأثر ليكتسب البحث نوعا من الجدة والرصانة، وسنتحدث عن هذا الموضوع بصورة مفصلة في موضوع الدراسة الفنية انشاء الله، ولكن هذا لا يمنع ان نذكر بعض الامثلة ، منها قوله في الاخوانيات :[٢]

حتى اذا ما قضوا من كأسها وطرا وضاحكوها الى حد من الطرب

وهي اشارة جلية الى القرآن الكريم، فالشاعر يستحضر قصة ابطال عادة التبني في قوله تعالى : ((وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى

---

(١) ادباء مالقه: ٦٩ .ولفظ الفقيه في المغرب والاندلس تطلق على الرجل المثقف بصورة عامة. ينظر : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى، محمد عبدالرحيم غنيمة، تطوان:١٩٥٣م :٢٣٣.

(٢) الديوان : ٤٦ .

زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً) [١]واستخدمها الشاعر في موضوع الاخوانيات والحنين الى اصدقائه الذين فارقوا الحياة .

وقوله : [٢]

تزاحم انفاس الرياح بزهرها رجوما فلا شيطان يقربها ذعرا

فيها اشارة واضحة الى قوله تعالى: ((وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ)[٣]، فأزهار مدينته في تمايلها تحت تأثير الرياح تشبه تساقط الشهب على الشياطين فلا يستطيع هؤلاء الاقتراب منها.

لهذا كان القرآن الكريم بالنسبة لشاعرنا الرصافي البلنسي نبراسا يستقي من فيض اقباسه النورانية ويجعلها اساسا في بناء اشعاره ايمانا منه بما تحدثه هذه الالفاظ القرآنية من تأثير واضح في نفسية الانسان الاندلسي المسلم. ومن صور التأثير بالقرآن الكريم استحضار القصص القرآني في شعره لاسيما قصة موسى عليه السلام ، فقد كان لهذه القصة صدى واسعا في شعره، ويرى الباحث ان هذا الاعجاب متأت من خيال الشاعر في التشابه بين المكان الذي نزل عليه موسى عليه السلام وهو جبل الطور ، والمكان الذي نزل عليه عبد المؤمن بن علي حينما فتح الاندلس يقول: [٤]

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور

اما الألفاظ والمصطلحات القرآنية فهي كثيرة في شعره نحو (أحمد، محمد، موسى، النجم قبس، الطور، ينقد، هيهات، الرعد، اللغوب، الزاد، مداد...الخ)، نلمس من ذلك ان القرآن العظيم وما اشتمل عليه من الآيات والقصص والمواعظ والحكم

---

(١) سورة الاحزاب، الاية ٣٧.

(٢) الديوان : ٧٠.

(٣) سورة الملك، الاية:٥.

(٤) الديوان : ٨٧.

والاشارات كان المعين الذي لا ينضب امام الشاعر يستقي منه ما يشاء لتقوية معاني شعره، ولم يكن هذا الشاعر مسلما فقط بل كان عربي الروح ممجدا كل قيم العروبة والاسلام من كرم وشجاعة وفروسية وتضحية وما الى ذلك من القيم الاصيلة، ولقد ظهر لنا من خلال سيرته تمسكه الشديد بالدين الاسلامي وتعاليمه الـسامية بـسبب خطورة الاوضاع السياسية، والصراع الدامي بين المسلمين في الاندلس والنصارى الذين كانوا يتحينون الفرص للقضاء على هذا الدين الذي بسببه تحرر الانسان فـي شتى بقاع الارض التي كانت تعج بالظلم والطغيان .

ثانيا- اللغة العربية:

يمكننا القول ان اللغة العربية هي الرافد الاساسي الثاني الذي ساهم في بنـاء ثقافة الشاعر اللغوية، وربما يقال ان كل الشعراء او اغلبهم يملكون موهبة الاحساس باللغة، وهم يختلفون في درجة الاحساس بهذه اللغة، اما شاعرنا فدرجـة احـساسه باللغة العربية عالية جدا وواضحة ، لنتأمل وصفه لمدينة بلنـسية تلـك الاوصـاف الرائعة التي تدل على غوصه في اعماق الغة بحثا عن المعاني الطريفة، يقول: [1]

بلنسية تلك الزبرجدة التـــــي تسيل عليها كل لؤلؤة نهـــــرا
كأن عروسا ابدع الله حسنهـــــا فصير من شرخ الشباب لها عمرا
هي الدرة البيضاء من حيث جئتها اضاءت ومن للدر يشبه البـــدرا

فقد احس الشاعر بجمالية هذه اللغة وآسره هذا الجمال مما دفعه الى التنقيب في تراثها وتوظيفه في شعره يقول: [2]

قالوا وقد اكثروا في حبه عذلي لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو ان امري في الصبابة لي لاخترت ذاك، ولكن ليس ذلك لي

---

(١) الديوان : ٧٠.
(٢) نفسه : ٣٣.

وينتقي الشاعر من هذه اللغة الالفاظ ، الرقيقة ، الموحية لكي يجعـل هـذه الكلمات قريبة الى القلوب ترضي الاذواق المترفة في الاندلس يقول : [١]

ومهفهف كالغصن الا انه سلب التثني النوم عن اثنائه

ويمكننا ملاحظة صفاء لغته ومتانتها في قوله: [٢]

و مهدل الشطين تحتسب انه متسيل من درة لـصفائـــه

فاءت عليه مع الهجيرة سرحة صدئت لفيئتها صحيفة مائه

كيف لا يبدع الشاعر في تعبيره عن خلجات نفسه بهذه اللغة التي شرفها الله لتكون لغة القرآن الكريم .

لقد كانت اللغة العربية ساحرة بجمالها لشاعرنا الرصافي البلنسي نظرا لمـا تتميز به من روعة الفاظها وصورها وقدرتها على التعبير عن ما يجول في خـاطر كل انسان يمتلك قدرا من الشاعرية ورهافة الحس، فاستطاع هذا الشاعر بما يحملـه من ذوق ادبي رفيع وحس مرهفة وخيال واسع ان يترجمها الـى قـصائد شـعرية تفيض رقة وعذوبة .

ثالثاً - كتب التراث:

ويدخل ضمن كتب التراث دواوين الشعر الجـاهلي والاسـلامي والامـوي والعباسي ودواوين الشعر الاندلسي والحوادث والاخبار والتاريخ والانساب، وبما ان أي شاعر لابد ان يتأثر بالشعراء السابقين ، فقد تأثر الرصافي البلنـسي بـشعراء العرب في الجاهلية ومن صور ذلك التأثر ما نراه في شـعره مـن ذكـر الطلـل والوقوف على الديار، من ذلك قوله: [٣]

خليلي ان اصدر اليها فانها هي الوطن المحبوب اوكلته الصدرا

---

(١) **الديوان** : ٣٣.

(٢) **نفسه** : ٣٢ .

(٣) **نفسه** : ٧١ .

ويقف على الديار كعادة الجاهليين:[١]

قفا غير مأمورين ولتصديا بها على ثقة للغيث فاستسقيا القطرا

اما الشعر الاندلسي فقد كان حاضرا في مخيلته على الدوام من ذلك قوله: [٢]

محنكُ حلب الايام اشطرها وساقها سوق حادي العير للعير

فالشاعر قد تأثر بابن خفاجة في وصفه للجبل[٣].

اما الحوادث والاخبار فتعد دليلا على سعة اطلاعه وثقافته العريضة، من ذلك ذكر اسماء الامكنة التي ارتبطت بحوادث معينة ومنها ذكر مدينة (بابل)التي ارتبط اسمها بالسحر، يقول:

هل درت بابل انا فنة تجعل السحر من السحر رقى

اما الجمل والعبارات التاريخية التي تقف وراءها احداث تاريخية كشخصية طارق بن زياد الذي فتح الاندلس الذي نرى ذكره في ثنايا قصائده المدحية يقول: [٤]

نعم اليد البيضاء آنس طارق نار الذكاء على مكارمها هدى

ومن الشخصيات الاخرى شخصية النبي موسى وسليمان والحكيم لقمان ، ويميل الشاعر الى استخدام هذه الشخصيات في شعره لغرض تعميق الدلالة في شعره ومحاولة بث الجو الديني في هذه القصائد، يقول: [٥]

سقطت ولم تملك يمينك ردها فوددت يا موسى لو انك يوشع

يقول عن سليمان عليه السلام : [٦]

استغفر الله الا قصة سلفت قد كان فهمها يوما سليمان

وعن الحكيم لقمان يقول : [١]

---

(١) نفسه : ٦٨ .

(٢) الديوان : ٩٣.

(٣) ينظر : ديوان ابن خفاجة : تحقيق د . مصطفى غازي ، القاهرة ، ١٩٧٤ : ٥٠ .

(٤) الديوان :١١٢.

(٥) نفسه:١٠٦.

(٦) نفسه : ١٢٩.

كأنما يتعاطى فضل منطقه عند التكلم لقمان و سحبان

وكذلك اشار في بعض قصائده الفاظ ((كقيس، إياد، عنسي)) التي تدل علـــى معرفته بالانساب ، يقول: [٢]

فتى من قيس عيلان تلاقى على سيمائه كرم ونور

---

(١) **نفسه: ١٢٨.**

(٢) **نفسه: ٨٣.**

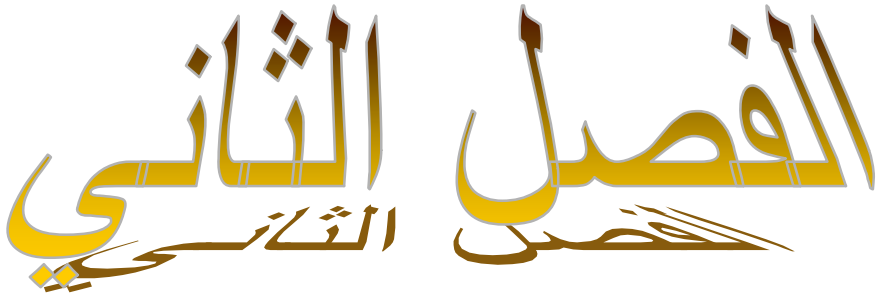

موضوعات الشعر في عصر الموحدين

(موضوعات واغراض شعره)

الفصل الثاني

موضوعات الشعر في عصر الموحدين

تمهيد

لم تتغير الموضوعات الشعرية في القرن السادس الهجري كثير في الاندلس عما كانت عليه في العصور السابقة، فـالظروف العـصيبة والاحـداث الداخليـة والخارجية كان لها اثراً كبيراً في حركة الشعر في ذلك الوقت، ولا ننسى ما حـدث في ذلك العصر من غزوات وحروب وصراعات مستمرة مع الممالك الاسبانية قـد اثر تأثيرا واضحا في سمات وملامح الشعر الاندلسي في تلك الحقبة مـن الـزمن والتي طبع بطابعها العام الذي ميزها من غيرها من عصور الادب الاندلسي ، فنظم الشعراء في هذه الفترة في جميع اغراض الشعر العربي، وزادوا عليها في بعـض فنون الشعر تبعا لظروف بيئتهم واوضاع المجتمع في هذه الحقبـة مـن الـزمن. وقسمت فنون الشعر في الاندلس بصورة عامة الى ثلاثة اقسام:

القسم الاول: مجموعة الفنون التقليدية وسار اصحاب هذه المجموعة علـى نهـج شعراء المشرق في النظم وان اختلفت في طريقة التعبير وتشتمل هذه الفنون الغزل والمدح والرثاء والحكمة والزهد والاستعطاف والهجاء والمجون.

القسم الثا ني: مجموعة الفنون التي توسعوا فيها وهي لا تخرج عن دائرة الفنـون التقليدية كالحنين الى الوطن وشعر الطبيعة ورثاء المدن والممالك الضائعة والـشعر التعليمي.

القسم الثا لث: مجموعة الفنون الشعرية المستحدثة والتي ابتدعوها لحاجتهم اليهـا وقد سجل لهم السبق في ذلك ومنها الموشحات والازجال، وشعر الاستغاثة او طلب النجدة التي اطلقها الشعراء لانقاذ الوجود العربي الاسلامي من الانهيار [1].

---

(١) الادب العربي في الاندلس، د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية – بيروت ١٩٧٥: ١٦٨.

واتسم الشعر في هذه الفترة بميزات عديدة منها غلبة الوصف والاستغراق في الخيال والافراط في استخدام الاساليب البيانية والبديعية، وشاعرنا الرصافي البلنسي هو ابن بيئة تأثر بهذه الحياة، فكانت موضوعات شعره مرآة ناصعة لذلك العـــصر وما فيه من احداث جسيمة، وقد طرق فيها اغلب فنون الشعر التقليديـــة والموســـعة كالمديح والوصف والاخوانيات والرثاء والحنين والغزل والهجاء والتهنئـــة، وعنـــد دراستنا لما احتوى عليه ديوان شعره وجدنا انه يتكون من سبعمائة وثلاثة واربعين بيتا موزعة على الاغراض الشعرية التي نظم فيها.

المبحـث الأول
المديح

١- نظرة عامة في المديح :

المديح فن من فنون الشعر القديمة والعريقة عراقة الشعر العربي، ولم يغـب هذا اللون من الشعر في يوم من الايام من ذاكرة الشعر العربي، فهو قد رافق مسيرة الشعر في رحلته الطويلة منذ ان عرف الانسان معنى الحياة الى يومنا هـذا، فهـو يمثل إحساس داخلي واعجاب بما لدى الآخرين من فضائل تميـزهم عـن غيـرهم ((والمديح تعداد لجميل المزايا، ووصف الشمائل الكريمة، واظهار للتقدير العظـيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا وعرفوا بمثل هاتيك الشمائل))[١].

ولقد عدّ بعض الادباء فن المديح هو الاصل من بين الأغـراض الـشعرية وسائر الأغراض الاخرى فروع ثانوية [٢]، مما حدى بالشعراء الى الاقبـال نحـوه ينهلون منه دون كلل او ملل ويصرفون جل اهتمامهم للعناية بـه وكـأنهم خلقـوا ليكونوا مداحين ، ((وكأن الشعر قبل كل شـيء مهنـة لحمتهـا المـديح وسـداها الغزل))[٣] ، ولم يكن في بال المداح قديماً نيل العطاء والكسب المادي وانما لـشدة اعجابهم بخصال الممدوحين الرفيعة مما دفعهم الى التغني بهذه الخـصال الراقيـة كالكرم والشجاعة، والصدق، والوفاء، والورع والتقوى والايمـان بـالله ورسـوله والجهاد في سبيله ونصرة المظلوم...الخ [٤] .

والاصل في المدح ان يصدر عن رغبة جامحة واعجاب حقيقي من الـشاعر في تثمين فضائل الممدوح وأعماله وصفاته[٥] والصفات التي يمتدح بها الانسان عند العرب اربع قال ابن رشيق ((لما كانت فضائل الناس من حيث هم نـاس ، لا مـن

---

(١) فن المديح وتطوره في الشعر العربي، احمد ابو حاقه، دار الشروق الجديد - بيروت ١٩٦٢ : ١٤.

(٢) نفسه : ١٤.

(٣) عيار الشعر لابن طباطبا، ت. عباس عبدالساتر، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان١٩٨٢ : ١٨،١٩.

(٤) ينظر نفسه.

(٥) ينظر فن المديح:١٥.

طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات، على ما عليه اهـل الالبـاب مـن الاتفاق في ذلك : العقل والعفة والعدل والشجاعة)) [١].

وبما ان الشعر الاندلسي احد بذور الحضارة العربية في الاندلس، فقد اجـاد الشعراء في جميع الوانه ولاسيما المدح فنهجوا السبيل الذي سـار عليـه اسـلافهم المشارقة ((فحافظوا على الاسلوب القديم وعنوا بالاستهلال وحسن التخلص واحكام البناء وشد اسره، والتزموا الغزل في محاريب مدائحهم وربمـا جعلـوا صـدورها وصفا للخمرة او للطبيعة))[٢]، وظهرت هذه السمات جلية واضـحة فـي عـصر الموحدين ولا نبتعد كثيرا عن الحقيقة اذا قلنا بأن هذا العصر هو عصر ازدهار فن المديح في الشعر الاندلسي والسبب في ذلك هو تشجيع خلفاء الموحدين الذين عرفوا بثقافتهم الواسعة في مجالات الحياة المختلفة ودعمهم اللامحدود لهؤلاء الشعراء [٣]، فعبدالمؤمن بن علي كان عالما في اللغة والادب وكان متـذوقا للـشعر واسـتدعى الشعراء للاقامة عند عبوره الى الاندلس ونزوله في ((جبل الفتح)) [٤]، وكان مـن بين هؤلاء الشعراء ابو عبدالله محمد بن غالب الرصافي الذي انشده القصيدة الرائية التي مطلعها:[٥]

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ونور

وانشده كثير من الشعراء في هذه المناسبة، والملاحظ على امداح الشعراء في عصر الموحدين غلبت روح المبالغة والمغالات التي تجعل من الممدوح فوق مرتبة البشر وتجعله شيئا آخر مقدسا منزها مشبهاً بالانبياء والمرسلين يـسير الاقـدار ويـتحكم بالقضاء)) [٦] يقول: [٧]

فلو لحقتم زمان الوحي نزل في تلك الصفات مكان الشعر قرآن

---

(١) العمدة لابن رشيق القيرواني،ت.محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط١٩٥٥ م، ٢ : ١٣١.

(٢) ادباء العرب في الاندلس في عصر الانبعاث، بطرس البستاني، دار المكشوف ودار الثقافة د.ت : ٤٠-٤١.

(٣) ينظر الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس: محمد مجيد السعيد : ١٠٩.

(٤) تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة .

(٥) الديوان : ٨٧.

(٦) الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الاندلس: محمد حميد السعيد :١٠٩.

(٧) الديوان : ١٣٠.

موقفه من التكسب بالشعر :

اشرنا في كلام سابق بأن الرصافي الرفاء تربى تربية خلقية جعلته يبتعد عن زخارف الدنيا وملذاتها وينصرف الى العمل الصالح الـذي يرضـي الله سـبحانه، يضاف الى ذلك النفس الابية التي تأبى التذلل للملوك والامراء ومحاولة بذل كرامته رخيصة من اجل الحصول على العطاء المادي من خلال المـدح، وبمـا ان شـعر المدح يأتي اعجابا بالفضيلة وثناء على صاحبها، وان غاية المدح خلقية تتمثل فـي سعي الانسان الى حياة حرة كريمة ومحاولة رسم هذه الحياة بأفضل مما عليه فـي الواقع [١]، لذلك رأى شاعرنا من الواجب الادبي ان يمدح خلفاء الموحـدين لأنهـم ذادوا عن حمى الاسلام ووحدوا الاندلس والمغرب تحت رايـة اسـلامية واحـدة وجاهدوا اعداء الله والوطن بلا هوادة او فتور، وبذلك حاول الاقتراب من الاعمـال العظيمة التي قام بها هؤلاء الملوك والامراء. والا بماذا يفسر مدحه للملوك والامراء وهو يصرح في شعر بأن لا يتخذ الشعر سبيلا للتعيش يقول: [٢]

على انني لا ارتضي الشعر خطة ولو صيرت خضرا مسارحي الغبرا

والسبب عنده كما يبدو ان الشعر لا يجلب له نفعا ولا ضرا. يقول: [٣]

كفى ضعة بالشعر ان لست جالبا الي به نفعا ولا رافعا ضرا

لكنه بالرغم من ذلك كله فقد مدح الملوك والامراء بدرر لامعه ظلت محتذى لكثير من الشعراء بعده. وهذا المديح ليس للكسب الرخيص المادي وانما لغاية خلقية كما اسلفنا وسبب ابتعاده من التكسب :

١ -**القناعة** : وتعني الرضا بما قدره الله سبحانه وتعالى للانسان من رزق[٤].

قنعت وامتد مالي فالسماء يدي ونجمها درهمي والشمس ديناري

---

(١) **فن المديح وتطوره في الشعر العربي : ٣٦.**

(٢) **الديوان : ٧٧.**

(٣) **المصدر نفسه.**

(٤) **المصدر نفسه :٩٩.**

٢-**حفظ ماء الوجه** : فهو يرفض ان يسخر قريحته من اجل الحصول على لقمـــة العيش بذلة لأن الرزق مقسوم ومقدر :

صون الفتى وجهه ابقى لهمته والرزق جار على حد ومقدار[١]

٣-**الكرامة** : وهي الابتعاد بالنفس الانسانية عن الذل والمهانة والتي عبر عنها بـــــ (غيرة جاهلية) يقول: [٢]

ومن دون هذا غيرة جاهلية وان هي لم تلتزم فقد تلزم الحرا

فتقديرا لهذه القريحة المتفتحة التي تتفجر منها ينابيع الابداع فقد اجزل الملوك العطاء له دون ان يرحل اليهم ودون ان يقف على عتبات ابواب الممدوحين للسؤال. يقول في مدح الوزير الوقشي:

نعماء جدت بها وان لم نلتق فيمن يدندن حولها ويحوم[٣]

ويرى الرصافي البلنسي انه صاحب فضل على الممدوحين لان عطاءهم ينفد ومدحه يبقى خالدا في ذاكرة الاجيال وهو وحده يستطيع ان يحرم هؤلاء الملوك من المجد والرفعة:

متى ارسلت ايدي الملوك هباتها ولم يوصلوا جاها ولم يجزلوا ذخرا

فقد سرني اني حرمت علاهم حلى محكمات تخجل الانجم الزهرا[٤]

وخلاصة القول في موقف الرصافي الرفاء من التكسب بالشعر ينطوي على معنى اخلاقي يابى بذل موهبته الالهية رخيصة ذميمة في الحصول على المكـــسب المادي المدنس بالذل والمهانة وذهاب ماء الوجه في ظروف كانت مقاييس المجتمع تعصف بها – في اكثر الاحيان – اهواء مختلفة ورغبات مشبوبة، وكـــان عليـــه ان يتقن لغة التملق والنفاق من اجل الحصول على لقمة العيش، وهذا مما لا يتفق مـــع

---

(١) **الديوان**: ٧٧.

(٢) **نفسه**:٧٧.

(٣) **نفسه**:١٢١.

(٤) **نفسه** : ٧٧.

نفسية شاعرنا ولا يتماشى مع تربيته واخلاقه، فسما صوت الصدق والعفة والنزاهة متمثلا بصدق بالرصافي الرفاء البلنسي الشاعر الرافض المتاجرة بالقريض .

قصائده المدحية :

قبل الخوض في دراسة قصائد المديح رأيت من المناسب ان اشير الى الفرق بين القصيدة والمقطوعة في شعر الرصافي البلنسي ومن ثم ملاحظة نسب توزيع هذه القصائد والمقطعات في الديوان ، فالفصل بين القصيدة والمقطوعة قديم في الشعر العربي ، فقد عرف ابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ) كلا من القصيدة والمقطوعة بقوله ((اذا بلغت الابيات سبعة فهي قصيدة... ومن الناس من لا يعد القصيدة الا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو بيت واحد))[١]، فالقصيدة ما تألفت من سبعة ابيات فأكثر والمقطوعة ما تألفت من بيتين الى سبعة ، هذا من ناحية العدد اما من ناحية الافكار فان شاعرنا قد سار على المنهج الذي اختاره ابن الزقاق ، فالقصيدة على هذا المنهج بناء متكامل يختار فيه صاحبه سياقا من الجزالة ويدرج فيه الصور بين الحين والحين))[٢]، والمقطوعة ((فانها لتقارب اجزاءها تقوم على طلب الصور وتهدف الى ايجاد التعليل))[٣]، وفي ضوء هذا التقسيم غلبت المقطعات على القصائد في الديوان.

اما نسب توزيع القصائد والمقطعات في الديوان فنراها في المخطط الآتي :

ت	الغرض الشعري	عدد القصائد	عدد المقطعات
١	المديح	٦	٢
٢	المراجعات الاخوانية	٧	٢
٣	الوصف	٣	٢٦
٤	الرثاء	٢	٥
٥	الحنين الى المعاهد	٢	٣

(١) العمدة لابن رشيق القيرواني/١ : ١٨٨،١٨٩.

(٢) مقدمة الديوان : ٢٢.

(٣) نفسه .

٦	الغزل	٢	٧
٧	الهجاء	-	٣
٨	التهنئة	١	-

وشاعرنا الرصافي الرفاء بما اوتي من ابداع في الصورة وجمال الوصـــف ورقة العبارة كان قد تصدر قائمة الشعراء الذين حضوا باهتمام حكام الموحدين، وله العديد من القصائد المدحية التي يمدح بها اولئك الحكام، ولتسهيل دراسة هذه القصائد ارتأيت تقسيمها الى قسمين :

القسم الاول : (المديح السياسي)

القسم الثاني : (المديح الاجتماعي)

اولا - المديح السياسي (مدح الخلفاء والولاة والوزراء) :

كان لخلفاء الموحدين اثراً بارزاً في دفع خطر الممالك الأسبانية النـــصرانية عن الدولة العربية الاسلامية، وكان لهذا وقعه الكبير في نفوس المـــسلمين عامـــة، والشعراء منهم خاصة ، و شاعرنا الرصافي البلنسي خصص جزءا كبيرا من شعره لمدح خلفاء الموحدين، فخص عبد المؤمن بن علي بقصيدتين ، فالاولى حاول فيهـــا الشاعر ان يجسد المعاني التي اوردها القدامى الى جانب التأثر بالبيئـــة، فالممـــدوح عند الشاعر يجمع كل الصفات التي اعجب بها الشاعر العربي قديما، من شـــجاعة وكرم وعدل وعفة واباء وغيرها من الصفات .

فالشجاعة تكاد تكون السمة الواضحة التي اكد عليها في قصيدته الاولى، فهذا الخليفة جبار يذيب حتى الحديد، وكأنه يرى في عبد المؤمن ذلك البطـــل الـــذي لا يستطيع احد الوقوف امامه مهما كانت قوته وسطوته، يقول: [١]

---

[١] الديوان : ٩٠.

من السيوف التي ذابت لسطوته وقد رمى نار هيجاها بتسعير

بل هو السيف اللامع الذي شهر في بلاد المغرب العربي على الاعداء ليكون جنبا الى جنب مع السيوف المشهورة في التاريخ العربي ونلمح الاشارة هنـا الـى سيف الله المسلول خالد بن الوليد، يقول: [١]

لبارق من حسام سله قدر بالغرب من افق البيض المشاهير

وشجاعة الممدوح تصل به مرتبة عالية من المجد حتى اصبح فـي نظـرهم عظيما لا ينظر الى الصغائر من الامور، لان لديه امور عظام يجب عليه تحقيقهـا، يقول:[٢]

ملك اتى عظما فوق الزمان فما يمر فيه بشيء غير محقود

ويغدق الشاعر صفة التقوى على ممدوحه، فهو الذي يغـذي نـار الهـدى بالتوهج من اجل هداية البشرية الى دين التوحيد ، وهذه التقوى لم تأت مـن فـراغ وانما جاءت نتيجة لكثرة الصوم في الرمضاء وقيام الليل المظلم بالعبادة، مما كـان سببا في ظهور هذا النور الى الوجود بعد ان كان مستورا تحت رماد الكفر ومجيء المهدي ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن الذي ينتسب الى العروبة وبالذات الى قيس عيلان، يقول:[٣]

ما زال يقضمهما التقوى بموقدها حوام هاجرة قوام ديجدور

حتى اضاءت من الايمان عن قبس قد كان تحت رماد الكفر، مكفور[٤]

نور طوى الله زند الكون منه على سقط الى زمن المهدي مذخور

وآية كايات[٥]الشمس بين يدي غزو على الملك القيسي[٦] منذور

---

(١) الديوان: ٩٠.
(٢) نفسه : ٩٥.
(٣) نفسه : ٨٨.
(٤) مكفور: محجوب مستور.
(٥) اياة الشمس: نورها الساطع وضوؤها.
(٦) الملك القيسي: هو عبدالمؤمن بن علي لانسابه في قيس عيلان، وكـان يقـول اذا ذكـرت (كوميـة قبيلـة عبدالمؤمن) التي نسبه الناس اليها:لست منهم وانما نحن لقيس عيلان ولكوميه علينا حـق الـولادة بيـنهم والمنشأ فيهم ، المعجب:١٢٧.

ويبدو ان اعجاب الشاعر بهذا الممدوح ليس له نهاية ، فهذا الرجل هو الذي يحمل لواء التقوى والنسك والزهد وكأن روحه تعيش في عالم الغيب، يقول: [١]

وحيث قامت قناة الدين ترفل في لواء نصر على البرين منشور

في كف منشمر البردين[٢] ذي ورع على التقى وصفاء النفس مفطور

يلقاك في حال غيب من سريرته بعالم القدس مشهور ومحضور

ويصل الشاعر الى المبالغة في اعطاء الممدوح الهيمنة والسيطرة على ما يحيط به، فلا يوجد شيء في هذه الدنيا ممنوع عنه، فاذا اراده اتى اليه صاغرا دون عذر او مماطلة، وان أمانيه متحققة لا ريب ، لان سهامه تهتدي الى الهدف ولا تخطئه، وكأن له قوة خفية يستطيع بها السيطرة على امور الدنيا وتسخيرها لامره، يقول:[٣]

ما عن[٤] في الدين والدنيا له إرب[٥] الا تأتى له من غير تعذير

ولا رمى من امانيه الى غرض الا هدى سهمه نجح المقادير

حتى كأن له في كل آونة سلطان رق على الدنيا وتسخير

واختطت القصيدة الثانية سبيلا مغايرا لما عهدناه من الشاعر في قصيدته السابقة وركز في مطلع هذه القصيدة على الاشارة بفضل الممدوح على الورى فتارة هو سهل لا تضيق منه الصدور وتارة اخرى هو صحة تجلب الحياة التي عاشت بها المنابر من خلال قطع الخطبة للموحدين وحماية الثغور من السقوط بأيدي الاعداء يقول: [٦]

اذا كان الذي يعدو مهما فأيسر ما تضيق به الصدور

---

(١) الديوان : ٨٩.

(٢) منشمر البردين : صفة من صفات النساك: ٩٥

(٣) الديوان :٨٩ .

(٤) عن : عرض.

(٥) ارب : حاجة .

(٦) الديوان : ٨٠.

فيالك صحة جلبت حياة تعيش بها المنابر والثغور

ويظهر الشعور النفسي بالامن والطمأنينة في ظل حكم الممدوح جليا عند الشاعر بقوله: [١]

تخلصنا بها من كل هم كأن الليل في يده اسير
وبتنا في ذراها كيف شئنا فجفن نائم وحشا قرير

ويجعل الشاعر مرتبة الممدوح فوق مرتبة البشر، وان الأعين في نظرها اليه تكون خاشعة ذليلة والسبب في ذلك هو الإجلال والمهابة التي سيطرت على نفسية الشاعر، يقول: [٢]

رفعنا نحو مراكم عيونا لهن دوينكم نظر كسير
فكاد يصدنا عن مجتلاه رقيب من مهابتكم غيور

وتتصاعد وتيرة المدح عنده فيعترف بأحقية الممدوح في زعامة الأمور واقرار الجميع بالطاعة والسيادة له لانه معروف بالحزم وحسن التدبير وسداد الرأي، فضلا عن الاقدام في الحرب والسرعة الخاطفة في الانقضاض على الأعداء بواسطة الخيل التي تدرك ما تريد بدون ان يكون هناك مانع يمنعها، الا هذا الخليفة فهو وحده يتحكم بها، يقول: [٣]

وجذم[٤] في الحلافة مستقر تمر على اصالته الدهور
وحكم تحته امر مطاع يحط به عن الجيش الامير
وتدبير يبيت على التمادي من الرأي المصيب له سمير
وهيجاء تخطفتم ذويها كما تتخطف الحجل[٥] الصقور
بخيل مدركات ما ارادت اذا اشتدت[٦] فليس لها فتور

---

(١) الديوان: ٨١.
(٢) نفسه: ٨١.
(٣) نفسه : ٨٢.
(٤) جذم : الاصل.
(٥) الحجل : طائر في حجم الحمام ، احمر المنقار وهو يعيش في الصرود العالية .
(٦) اشتدت: اسرعت.

مصرفة بحكمكم فطورا تخب[1] بكم وآونة تطير

ويطنب الشاعر في ذكر الصفات التي يتميز بها الممدوح ومجد في شخـــصه الاصل العربي والسخاء في البذل والعطاء بل وذهب الى اكثر من ذلك حين لم يجد في هذه الدنيا ما يشبهه من الملوك فهو أعجوبة اتى بها الزمان ونادرة لم تشفع الدنيا بمثلها في ذلك الوقت ، يقول: [2]

فتى من قيس عيلان تلاقى على سيمائه كرم ونور
تضيء به البلاد اذا تجلى وتغرق في مكارمه البحور
تعرف من منازله المعالي كما عرفت من القمر الشهور
تشبهت الملوك به وحاشا وذلك منهم غي وزور
فدى لك منهم اعلاق صدق فانك انت واحدها الخطير

وفي نهاية القصيدة نلمس حب الشاعر لهذا الملك عندما حياه بالسلام المحمل بالشوق والذي تفوح منه رائحة المحبة وانه مدين لهذا الملك بالنعمى والطاعة لـــه كأنه مملوك بهذين الشيئين يقول: [3]

وبعد، فرار حضرتكم سلام ولكن مثل ما نفح العبير
سلام تحته شوق وحب يخصكم به عبد شكور
مملك طاعة لكم ونعمى هما في الجيد طوق أو جرير

٢- **مدح الوزراء والامراء**: ويتضمن هذا القسم اربعة قصائد اولها قيلت في مدح محمد بن عبد الملك بن سعيد[4] صاحب اعمال غرناطة واشبيلية وسلا وولج في غرض المديح مباشرة مستهلا مطلع القصيدة بإثبات فضيلة الكرم والسخاء

---

(١) تخب :يقال ، خب الفرس في عدوه ، أي : راوح بين يديه ورجليه ، أي : قام على احدهما مرة وعلى الاخرى مرة

(٢) الديوان : ٨٣.

(٣) نفسه : ٨٤.

(٤) هو محمد بن عبدالملك بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر (رضي الله عنه)، ولد سنة ٥١٤هـــ بغرناطة وهو صاحب اعمال غرناطة واشـــبيلية وســـلا، توفي سنة ٥٨٩هـــ . ينظر: الاعلام عن اصل مراكش واغمات في الأعلام، تـــأليف عبـــاس بـــن ابـــراهيم المراكشي، المطبعة الجديدة بطالعة فاس، ط١، ١٩٦٠ : ٣ : ٤٠. وينظر : نفح الطيب ٣ : ١٠٠.

والخاطر المتوقد والذي يشبه النار التي يهتدي اليها أصحاب الحاجات مستفيدا من قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم موظفا ألفاظها ، يقول: [١]

ابدا تفيض وخاطرا متوقدا دعها تبت قبسا على علم الندى

نعم اليد البيضاء انس طارق نار الذكاء على مكارمها هدى

ويجسد الشاعر في هذا الممدوح خصالا حميدة أخرى، منها الحزم والشهامة والمجد التليد اللامع والحنكة والبصيرة النافذة التي تجعل من المستقبل مشهودا أمام الانظار التي مكنته من ادارة شؤون البلاد بنجاح باهر، يقول: [٢]

رجل الزمان حزامة وشهامة وسريه حسبا اغر ومحتدا[٣]

شهم على رأس الدهاء محلق[٤] لو شاء افرد من اخيه الفرقدا

يستهدف المستقبلات بظنه فيكاد يصمي[٥] اليوم ما يرمي غدا

ويؤكد الشاعر على الاصل العربي لهذا الممدوح، والذي قد ورث هذا المجد من اجداده العظام المعروفون بالشرف والعز ، ويكفيه فخراً بأنـــه منتـــسب الـــيهم يقول: [٦]

واذا ذكرت قبيلة عنسا[٧] فخذ ما شئت من شرف وغز سرمدا

مات الجدود الاقدمون وغادروا ارث السناء على البنين مؤبدا

وكفاك منه اليوم أي بـــــقية كرموا لها أصلاً وطابوا مولدا

---

(١) الديوان : ٥٤.

(٢) نفسه : ٥٤،٥٥.

(٣) محتدا :الاصل .

(٤) محلق : يقال : جلق النجم اذا ارتفع .

(٥) يصمي : ينفذ الرمية .

(٦) الديوان : ٥٥.

(٧) قبيلة عنس : هي احد قبائل العرب ينسب اليها الممدوح.

لقد سما هذا الممدوح عند الشاعر كثير لما تميز به من خلال حميدة جعلته يتفرد عن الاخرين بها، فلا احد يدانيه في الكرم في هذه البلاد. يقول: [١]

قسموا المعالي بالسواء وفضلوا فيها عمادهم الكبير محمدا

يا واحد الدنيا وسوف اعيدها مثنى وان اغنى نداؤك موحدا

اما وقد طفنا البلاد فلم نجد لك ثانيا فكن الكريم الاوحدا

اما القصيدة الثانية والتي جاءت في مدح ابو سعيد وربما كان المعنـــي بهـــذا المدح عثمان بن عبد المؤمن [٢] الذي تولى اعمال غرناطة في زمن أبيه ، والـــدليل على ذلك هو نعته بالفاظ الرئاسة والقيادة وهي نونية من بحر (البسيط) وتقـــع فـــي ثلاثين بيتا والتي بدا فيها صوت الشاعر مدويا هادرا يهز النفوس المؤمنة ويبعثهـــا من مرقدها فيدخل الى غرضه دون مقدمات : [٣]

من عاند الحق لم يعضده برهان وللهدى حجة تعلو وسلطان

ما يظهر اله من آياته فـــــعلى اتم حال وصـــنع الله اتقان

من لم ير الشمس لم يحصل لناظره بين النهار وبين الليل فرقان

ويبدو لنا جليا ان الممدوح يمتاز بالعقل الثاقب والسيرة الحسنة التي مكنته من قيادة ولايته في جميع امورها، يقول: [٤]

عقل وثابت حسن يقضيان معا للأمر ان سراج الأمر عثمان

ويصرح الشاعر بعلو منزلة الممدوح في اذهان الناس وقلوبهم:[٥]

السيد المتعالي كنه ســـــــــؤدده عما تأول ا لبابُ واذهـــــــــان

---

(١) الديوان : ٥٦.

(٢) عثمان بن عبدالمؤمن بن علي ولي ابوه غرناطة وظل واليا عليها في زمن اخيه ابي يعقوب وهو الذي هزم ابن مرديتش في معركة الجلاب والتي دخل بعدها بنو مرديتش في طاعة الموحدين . ينظر الاعلام في اصل مراكش ٣: ١٥٠.

(٣) الديوان : ١٢٧.

(٤) نفسه : ١٢٨.

(٥) نفسه .

من رأى حضرته العليا رأى عجبا الملك في الارض والايوان كيوان

واما خلقه فقويم يسير وفق نهج الشريعة الاسلامية لما فيها من دعـوة الـى ترك الغضب، والعفو عند المقدرة، يقول: [١]

يقضي عن الذنب عفوا وهو مقتدر ويترك البطش حلما وهو غضبان

ويمضي الشاعر في تعداد فضائل الممدوح ويركـز علـى امتهانـه الادب كامتهانه الفروسية، فهو فارس في ميدان الادب والشعر مثلما هو بطل صنديد فـي ميدان الحرب، يقول: [٢]

ممن له حد سيف او شبا قلم شرارة في الوغى والفهم نيران

وفي هذا يعد شاعرنا من أولئك الشعراء الذين يوازنون بلطافة بين الـسيف والقلم.

والصفة الاخيرة التي وردت في مدح هذا الوالي هي العدل الذي ملأ الـدنيا فهو خليفة الله في ارضه ينشر العدل، يقول: [٣]

عدلا ملأت به الدنيا فانت بها بين العباد وبين الله ميزان

وهكذا يكون الرصافي البلنسي قد استوفى صور المدح وهي الكرم والشجاعة وسداد الرأي والحزم والدهاء ...الخ، ولذلك جاءت مدائحه موافقة لما اراده نقادنـا القدامى في هذا اللون من المدح ((ويطمح في الأوصاف الى حيث يلتقي بمناصبهم، وما انتهت اليه ممالكهم حتى تكون رتبة العظماء منهم ثانية علـى رتبـة الخلفـاء وتتدرج مراتبهم في ذلك الى ادنى ما يتميز به الملك عن السوقة))[٤] .

---

(١) الديوان: ١٢٩

(٢) نفسه ١٣٠.

(٣) نفسه : ١٣٠.

(٤) منهاج البلغاء – حازم القرطاجني، تحقيق ابن خوجه، دار الكتب الشرقية، تونس،١٩٦٦ : ١٧.

وتأتي بعد ذلك القصيدتين اللتين قالهما الشاعر في مدح الوزير الوقشي [١] ، فالقصيدة الاولى تقع في ستة واربعين بيتًا من بحر (الكامل) والتي ابتدأت بمقدمة غزلية يتحدث فيها عن الام الهوى والغرام وذكره ايام صباه والتي اصبحت ذكريات جميلة بعد ان تقدم به العمر، يقول[٢] :

فلقد تجدد لي الغرام وان بلي الهوى وتقادم العهد

واذا خلوت بها تمثل لي ذاك الزمان وعيشه الرغد

ثم يشرع بعد ذلك بتعداد مآثر الممدوح وخصاله، ومنه عراقة الاصل، يقول:[٣]

مستأنفين قديم مجدهم يبني الحفيد كما بنى الجد

والشجاعة والكرم سمتان ترافقان الممدوح، فهو جبل شامخ يجد فيه الخائف الامن والطمأنينة، فهو في مآثره لا يمكن لأحد ان يسبقه فيها، لان هذه المآثر لا نهاية لها أي انها لا تعد ولا تحصى، يقول [٤]:

سترى الوزير ومجده فترى جبلا يلاذ به ويعتـــد

وترى مآثر لا نفاد لـــها بالعد حتى ينفد الـــعد

ضمن النوال بأن تروح اليـ ـه العيس معلمة كما تغدو

ويمدح شاعرنا هذا الوزير بصفة موجودة في الممدوح الا وهي الكتابة فهو كاتب تتضاءل دون مهارته في الكتابة مهارة أصحاب الرماح يقول: [٥]

خفقت بها في الطرس بارقة حدق القنا من دونها رمد

محمولة حمل الحسام وان خفي النجاد هناك والغمد

---

(١) الوزير الوقشي: هو احمد بن عبدالرحمن بن احمد الوقشي ابو جعفر نسبة الى وقش وهي قرية بنواحي طلبيرة، قام يامر ابي اسحاق ابراهيم بن احمد بن هشك ظابطاً لاعماله ومصلحاً لاعماله حتى قبل ابن همشك الدخول في طاعة الموحدين سنة ٥٦٠هـ فوجه هذا الوزير وافدا الى مراكش توفي سنة ٥٧٤هـ. انظر الحلة السيراء : ٢٥٧-٢٦٧.

(٢) الديوان : ٥٩ .

(٣) نفسه : ٦٠.

(٤) نفسه : ٦١

(٥) نفسه .

ويصل الشاعر في ختام قصيدته الى التعبير عن الشكر والحب وانه قد اهدى اليه سورا من الامداح المحكمة، يقول:

سورا من الامداح محكمة من أيهن الشكر والحمد
ولعل ما يخفى وراء فمي من وده اضعاف ما يبدو

اما القصيدة الثانية في مدح هذا الوزير والتي تتألف من اثنتين وثلاثين بيتا ولج في عرض المديح مباشرة وطغت عليها المبالغة المفرطة ، فهي لا تخرج عن المعاني التي وردت في القصيدة الاولى. [١]

والملاحظ على قصيدتي الشاعر في هذا الوزير المبالغة ومدحه بصفات متوفرة فيه وهذا ما دعا اليه نقادنا القدامى فقال احدهم : ((واما ما مدح به الوزراء ومن محلهم من الكتاب فيكون بالعلم والحلم وحسن التدبير وتثمير الاموال، وينبغي ان يكون المطمح في وصف كل وزير على قدر مستأزره لا يلحق ورتبته لا تسامى حتى ان مراتب كثير منهم من الملوك العظماء ربما قصرت عن مراتبهم، ثم تتدرج مراتبهم في ذلك على نحو ما ذكرنا في مراتب الملوك))[٢] .

٣-مدح الاصدقاء (المديح الاجتماعي):

وهو المديح الموجه نحو الاصدقاء والاقارب ، ولدينا من هذا النوع قصيدة ومقطوعة. فالقصيدة امتدح فيها ابن وهب الذي لم نعثر له على ترجمة وتتألف هذه القصيدة من تسعة ابيات وقد سار في مقدمتها على منهج القدامى اذ يتحدث عن الفراق مع الاحبة وتشتت شملهم فيستفهم عن سبب الفرقة وفي هذه المقدمة القصيرة وظف شيئا من الاثر القرآني في ابياتها ليعبر من خلالها عن فرحته برؤية هذا الخليل وهو في غرب الاندلس يقول: [٣]

---

(١) الديوان: ١٢١.
(٢) منهاج البلغاء وسراج الادباء : حازم القرطاجني : ١٨.
(٣) الديوان: ٣٤.

ولي عند شرقي الرياح لبانة يقر بعين الغرب ان ترد الغربا

ويصل الى مديح هذا الشخص فينعته بجملة من الخصال الحميدة وهي الكرم وحسن الخلق، واغاثة الملهوف وانه مطاع في امره يقول: [١]

فتى اريحي الطبع[٢] مهما بلوته بلوت الكريم الحر والسيد الندبا

مطاع كأن الله اعطاه وحده من الامر ما لم يعطه السبعة الشهب

وتبدو ثقافته الغزيرة واضحة باطلاعه على الشعر العربي وصب المعاني في قالب جديد.

اما المقطوعة فقد تألفت من اربعة ابيات ونظن انها جزء من قصيدة طويلة قالها في مدح ابن منصور ويثني على الممدوح ويذكر خلاله الكريمة ونعمه التي نعتها بالخضرة لسعتها ، اما كرمه كالغمام وان الشاعر لم يمدحه لاجل الكسب وانما لاجل الوداد والمحبة والوفاء ، وفي هذا اشارة الى نفسية المادح الابية التي تأبى التذلل والتكسب بالشعر. يقول: [٣]

واقول ان انا لم افه بثنائكم ضاعت لكم عندي يد وذمام

اما انا ويد ابن منصور معا فكما يقال خميله وغمـــام

نعم له خضر ترنم فوقها شكري كما ركب الغصون حمام

حسبي من الجدوى ودادك وحده فهو الغنى لا ما يرى اقـــوام

فاليد في المقطوعة كناية عن كثرة العطاء. ويمكن ان نلاحظ ان قصيدة المدح عند شاعرا ظلت محافظة على التقاليد الموروثة من حيث شكلها ومضمونها ففي مجال شكلها فقد ظلت هذه القصيدة بصورة عامة تسير وفق المنهج القديم من حيث تعدد الموضوعات وتشعب الأغراض، فهي وان تخلصت من القيود التي وضعها النقاد القدامى في افتتاح قصائدهم بمقدمات طلية وذكر الديار ثم الغزل ثم وصف الناقة والرحلة الى المدح [٤]، لكنها تتحرر من التعدد والتنوع واحل مكان

---

[١] الديوان ، ٣٤ .

٢) اريحي الطبع : الواسع الخلق .

[٣] الديوان: ٣٤.

[٤] الشعر والشعراء لأبن قتيبة، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف – القاهرة، ١٩٦١، ط٢ : ١ : ٧٤.

هذه المقدمات موضوعات اخرى تناسب طبيعة الحياة والعصر .

اما المضمون فقد ظل هذا اللون من الشعر يطرق المعاني القديمة عند الشاعر من كون الممدوح شجاعا قويا مقداما مدافعا عن حمى الاسلام وناصر المظلومين ماحقا للظلال والفساد، جوادا سمحا ذا اصل عريق الى ما هنالك من معاني النبل التي يضفيها الشاعر على ممدوحه ليجعل منه انموذجا قريبا الى نفسه وخياله، على الرغم من ان الممدوح قد يفتقد الى بعض الصفات او كلها، لكن الشاعر يحاول اسباغها عليه لأنه ((حينما يمدح لا يعني بوصف شخصية الممدوح ولو كان هذا غرضه لوصف محاسنه ومساوئه، ولكنه يحاول ان يرسم صورة شعرية لمثل انساني عال تمليه عليه ظروفه الاجتماعية والطبقية او يربطها بحوادث ونعت في حياته))[1].

وقد ظهر لنا ايضا ان روح المبالغة والتفخيم كانت سمة بارزة طغت على معظم قصائد شاعرنا والتي اخرجت الممدوح من عالم البشر وتجعله شيئا آخر مقدسا مبجلا شبيها بالانبياء والمرسلين يسير الاقدار ويتحكم بالقضاء ، والدافع الى ذلك المدح هو دافع وطني نابع من الحرص الشديد والخوف على الوطن والديار والمدن التي بدأت تتساقط الواحدة تلو الاخرى فهو مدح يدعوا الى الاثارة والهاب الحماس والحث على الجهاد لانقاذ البلاد والمسلمين من الخطر المحدق بهم والرد على هجمات النصارى ودفع اذاهم فهو مدح صادق لاتكسب فيه .

---

[1] ديوان : محمد بن عمار ، تحقيق د . صلاح خالص ، مطبعة الهدى ، بغداد ، ١٩٥٧ م : ٢٤ .

المبحث الثاني

الوصف

الوصف او ما يسمى بشعر الطبيعة بنوعيها الساكن والمتحرك من الاغراض القديمة والاصيلة في الشعر العربي منذ بداياته الاولى، ويدخل هذا الفن في الاغراض الشعرية جميعها ويمتزج معها امتزاجا لا يمكن فصله عنها. لأن الغلبة للوصف كما اجمع عليه نقادنا القدامى ، يقول ابن رشيق ((الشعر - الا اقله- راجع الى باب الوصف))[١]، وهو في نظر الادباء يعني ((تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الآثار الانسانية بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الانسانية تحليلا يصل بك الى الأعماق))[٢].

اذ يمكن القول بأن الوصف هو محاولة تصوير الاشياء الحية وغير الحية والتعمق في تفاصيلها الدقيقة عن طريق حس الشاعر ووجدانه، فتخرج هذه الاحاسيس والمشاعر على شكل دفقات ونفثات مشبوبة من الشعر يعبر به عما جال في خاطره في قالب بديع السياق متكامل الجوانب يرسمها بالحروف والكلمات، مثلما تفعل ريشة الرسام المتمكن من فنه فيمزج بين الالوان باتقان حتى يضفي على الصورة الحيوية والحركة.

لقد وقف شعراء الاندلس أمام جمال الطبيعة الباهر بألوانه الزاهية يحاول كل منهم بما أوتي من ملكة الشعر والطبع الفطري وغزارة الموروث الشعري وسعة الخيال ليصف كل ما يقع نظره عليه ويتعدى الى ما يحس به ويسمع، وشاعرنا الرصافي الرفاء ابن بيئته تأثر بها تأثرا شديدا نجد آثارها في اشعاره التي تعج

---

(١) العمدة لابن رشيق : ٢ : ٢٩٤.

(٢) الوصف في الشعر العربي ، عبدالعظيم قناوي، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٤٩م:٢:٤١.

بالوصف فلم يترك غرضا شعريا الا وادخل معه الوصف ، ونظرا لكثرة الوصـف في الديوان ارتأيت ان اقسمه الى قسمين:

القسم الاول - وصف الطبيعة:

وتشمل هذه الطبيعة كل ما علـى الارض مـن جبـال ووديـان وسـهول، وهضاب، وانهار وبحار، ورياض، وزهور، واشجار، وتشمل كذلك اجرام السماء وافلاكها، ونجومها وكواكبها وسحبها وغيثها ورعودها وبروقها، وكل ما صنعته يد الانسان وابتكرته. معنى ذلك هناك نوعان من الطبيعة وهما :

الطبيعة الاعتيادية : ويدخل فيها اجرام السماء وظواهرهـا، فـالاجرام تـشمل الشمس، والقمر والنجوم ، والكواكب الاخرى، والظواهر السماوية تشمل الرعـد والبرق والغيث والسحاب، والريح، وما وجد على الارض من جبـال وسـهول، وهضاب، وبحار، وانهار ورياض وأزهار.

المظاهر الحضارية : وهي الاشياء التي ابتكرها العقل البشري، ومن هذه الاشياء التي تعنينا في شعر الرصافي البلنسي ، وصف دولاب، وصف صنوبرة نحاسية، وصف قلم.

وصف الطبيعة في شعر الرصافي البلنسي : احتلت الطبيعة الاعتيادية التي ابدع الله صنعها مساحة واسعة في شعره، واجاد فيها بصورة تدعو الى الاعجاب والدهـشة من ذلك اللوحة المجسمة التي رسمها للجبل والتي بث فيها مشاعره وأحاسيسه فهـو ((يمثل رمزاً للقوة والشموخ))[1]، وابتدأ القصيدة باسلوب التعجب ليـدلل علـى احساسه الداخلي الذي انفعلت به نفسه، فهذا الجبل عظيم المكانة عنده ، جعـل لـه صفة الكبرياء والرفعة لأن الانف في الانسان تمثل اعلى مناطق الجسم ، يقول: [2]

---

(١) الاعمى التطيلي دراسة موضوعية : قتيبة ، محمد عويد محمد، كلية التربية ، جامعة الانبار، ١٩٩٩ ك ٢٠.

(٢) الديوان : ٩٢.

لله ما جبل الفتحين من جبـــل معظم القدر في الاجيال مذكور
من شامخ الانف في سحناته طلس له من الغيم جيب غير مزرور
معبرا بذراه عن ذرى ملـــك مستمطر الكف والاكناف ممطور

استطاع الشاعر من خلال الابيات اعلاه ان يصف كرم الممدوح الذي شبهه بالغيث، فكل عضو في جسم هذا الممدوح يفيض كرما وجودا.

بعد ذلك ينتقل الشاعر الى اسباغ الصفات الانسانية على هذا الجبـــل، فهـــو حكيم، كثير التجارب لكثرة مرور الدهور عليه ، فقد تساقطت اسنانه، لـــم يتـــرك شيئا للأيام الا وأخذه منها بحنكته، هذا الجبل ثابت لا تزعزعـــه عـــوادي الـــزمن يجول خاطره ويفكر في جنبات الزمن لانه يعرف الماضي ويطل على المـــستقبل، يقول: [1]

وادرد من ثناياه بما اخذت منه معاجم اعواد الدهارير
محنك حلب الايام اشطرها وساقها سوق حادي العير للعير
مقيد الخطو جوال الخواطر في عجيب امريه من ماض ومنظور

ثم زاد على تلك الصفات صفة اخرى بأن جعله شيخا وقورا وفي هذا يقترب من ابيات ابن خفاجة في وصف الجبل، ولكنه زاد على ذلك الوصف، بـــأن جعلـــه كثير السكوت والتفكير، ينتابه الهلع والخوف والحزن المكتوم من مصيره المحتـــوم في الدك والتسير اللذين اشار اليهما القرآن الكريم، يقول: [2]

قد واصل الصمت والاطراق[3] مفتكرا بادي السكينة مغفر الاسارير
كأنه مكمد[4] مما تعبـــــــــــــده خوف الوعيدين من دك وتسيير

وفي معرض تصويره لهذا الجبل يمتزج المدح بالوصف لتكتمل لديه الصورة التي طبعها في ذهنه، فهذا الجبل حصل على الفضل العظيم لنزول عبـــد المـــؤمن

---

[1] نفسه : ٩٣.
[2] نفسه:
[3] الاطراق : السكون.
[4] مكمد: المحزون، الكمد: الحزن المكتوم.

عليه، وسيحصل على الشفاعة يوم قيام الساعة فلا يتعرض للدك والتـــسيير اللـــذين اشار اليهما القرآن الكريم، لأن امام الموحدين مدفون بالقرب من هذا الجبل، يقول: (١)

كفاه فضلا ان انتابت مواطنه نفلا مليك كريم السعي مشكور
مستنشئاً بهما ريح الشفاعة من ثرى امام بأقصى الغرب مقبور

ويمزج الشاعر بين الخمرة والطبيعة بوحي من هذه الطبيعة، وليالي الـــسعد في احضانها الزاهية، اذ يحلو النسيم وتطيب الخمرة. ((ولهذا قلما وجدنا شعرا في وصف الطبيعة لا يرد فيه ذكر للمرأة او اشارة الى الخمرة))[٢]، فهـــو قـــد رســـم للبرق صورة تشبه السيف في بريقه عندما تتكاثر الغمام، ويرسم للروض صـــورة يشبهها بصورة الطاووس الجميل الذي تداعب ريشه الرياح، ويريد بذلك ما يتمتع به الروض من الوان مختلفة جاءت من ازهاره المتنوعة الاشكال والالوان، يقول: [٣]

ادرها فالغمامة قد اجالت سيوف البرق في لمم البطاح
وراق الروض طاووسا بها تهب عليه انفاس الرياح
تقول وقد ثنى قزح عليه ثياب الغيم معلمة النواحي

فالمقطوعة كما رأينا قد حشد فيها الشاعر صورا متراكبة متلاحقـــة عامـــدا الى الاكثار من التشبه دون ان يشكل ذلك خللا في التأثير علـــى الـــصورة الكليـــة، والمقصود بذلك رسم لوحة للطبيعة الجميلة التي تعاطى فيها الشاعر شرب الخمرة ، ويستمر في رسم الطبيعة التي شرب فيها الخمرة حين وصـــف الغمـــام الـــضاحك، والبرق الوامض والرياح التي تحرك مياه النهر مشبها اياها بوطـــأة اقـــدام الجيـــاد لدروع القتال، يقول: [٤]

ادرها على امن فما ثم من بأس وان حددت اذانها ورق الآس

---

(١) الديوان : ٩٣.
(٢) ملامح الشعر الاندلسي، د. عمر الدقاق: ٢١٠، دار الشروق – بيروت، ١٩٧٥.
(٣) الديوان : ٥٢.
(٤) الديوان: ١٠١.

وما هي الا ضاحكات غمائم لواعب من ومض البروق بمقياس

ووفد رياح زعزع النهر مدة كما وطئت درعا سنابك[1] افراس

ويظهر الشاعر براعته في النقل والتصوير فيرسم لنا صورة الشفق وهو بقيه ضوء الشمس وحمرتها بعد وقت الغروب بصورة هلال يتلاشى شيئا فشيئا ويحاول ان يقرب الصورة فيشبهها بصورة اخرى وهي صورة النسر الذي يحاول اقتلاع ضلع القتيل، ونلحظ على هذه الصورة طابع الحزن والتشاؤم لأن الشاعر جاء بأوصاف توحي بالتشاؤم والحزن، فاحمرار الشفق يذكر بالرحيل وكثرة الدماء، يقول : [2]

بدا الشفق البادي بعيد اصيل يجرر بالآفاق حمر ذيول

وفي عرضه الاقصى هلال كانما يجرر منه النسر خلع قتيل

ولم يحصر الشاعر رؤيته الثاقبة على منظر من مناظر الطبيعة، وانما جمع في لوحته العديد من المناظر والصور شأنه شأن غيره من الشعراء الاندلسيين، اذ ((يخيل لمن يطلع على شعرهم في هذا الاتجاه انهم لم يغادروا شيئا مما وقع عليه بصرهم في ارضهم وسمائهم، الا وقفوا امامه وصوروه في شعرهم تصويرا يريك ظاهره اكثر من باطنه))[3]، قال [4]يصف عشبة:

وعشي رائق منظره قد صرفناه على صرف الشمول

كأن الشمس في اثنائه الصقت الارض خدا للنزول

والصبا ترفع اذيال الربى ومحيا الجو كالسيف الصقيل

وتعد الانهار عنصرا هاما من عناصر الطبيعة، فلولاها لانعدمت الحياة، لذلك وصفها الرصافي الرفاء وصفا فاق به الشعراء السابقين وسجل له قدم السبق بشهادة الادباء والمؤرخين قديما وحديثا، فابن الابار يقول ((ان التولع بهده الابيات جعلها تتكرر

---

(١) سنابك : طرف الحافر.

(٢) الديوان : ١١٥

(٣) الادب العربي في الاندلس، د. عبدالعزيز عتيق : ٢٨

(٤) الديوان : ١١٨

على شفاه الناس انشادا وترديدا حتى عام ٦٤١هـ))[١]، وقال عنها د. مصطفى الشكعة ((ان البلنسي الرصافي الرفاء يتأنق تأنقا بالغا في وصف النهر، ويوفق توفيقا معجبا فيما خلع عليه من تشبيه وبما اسبغ عليه من الوان))[٢]، يقول:[٣]

ومهدل الشطين تحسب انه متسيل من دره لصفائه
فاءت عليه مع الهجيرة سرحه صدئت لفيئتها صفيحة مائه
فتراه ازرق في غلاله سمره كالدارع استلقى بظل لوائه

فما اجمل هذا النهر الذي تدلت الاغصان على شطيه فمدت ظلها عليه فبدا ماؤه وكأنه ينبع من درة بيضاء ناصعة تشبه الصفحة اللامعة التي ظهر عليها الصدأ، راسما بذلك صورة تعبيرية بالغة الدقة لهذا النهر، وهي صورة النهر وجريانه بين الاشجار التي مدت اغصانها اليه والتي تشبه صاحب اللواء الذي نام بظل هذه الراية للراحة والاسترخاء.

اما الثمار فقد كان لها نصيب في شعر الرصافي البلنسي ومنها التفاح الذي بالغ كثيرا في وصفها والمتأمل لهذا الوصف يجد الحس المرهف، والنفسية الشفافة فيصور الشيء البسيط بشيء اجمل منه واعظم، فهذه الثمرة تمثل عنده خدين احمرين ممتلئين حيوية ونضارة لامرأة جميلة، اما طعمها فيشبه نكهة شفتيها، ثم استعار لها صفة الحياء ليعطي بذلك ابعاد الصورة الكلية وهي (صورة المرأة الجميلة التي ينتابها الخجل فتحمر له الخدود)، يقول: [٤]

تفاحة اهديت اليه حمراء في لون وجنتيه
هم بتقبيلها فزارت فاه على رغم مقلتيه
بالله يا زهرة محجرية دعني اسل اسى عارضيه
لعله قد اعاد يوما نكهتها طيب مرشفيه
فباكرته على حياء تصرف انفاسه اليه

---

(١) المقتضب من تحفة القادم : ٥٨.
(٢) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه : ٣١٦.
(٣) الديوان : ٣٢.
(٤) نفسه : ١٣٢.

لقد ادخل الشاعر الوصف في جميع الاغراض الشعرية، ومنها وصف الطبيعة الذي جاء ممتزجا مع المدح فوصف جواد الممدوح بصفات الاصالة والجمال ، فهذا الجواد هو وسيلة الممدوح في بلوغ المعالي والوصول به الى سلم المجد، يقول: [١]

ولذاك خضت الليل فوق مكرم لم اعد بي وبه العلا والسؤددا
يدري الاغر اذا خفضت عنانه اني سأبلغه من الشرف المدى

وتأتي الاخوانيات مع الوصف ليعبر فيها عن الشوق والحنين،فمنظر البرق وقوة لمعانه،وتساقط الماء من السحاب ومنظر الروض كلها تثير فيه الاحساس بالشوق والفراق، يقول: [٢]

على حين راح البرق في الجو مغمدا ضباه، ودمع المزن في حفنه راق
وجالت بعيني في الرياض التفاتة حبست بها كأسي قليلا عن الساقي
على سطر ضيري ذكرتك فانثنى يميل باعناق ويرنو بأحداق

ويختلط وصف الطبيعة مع الرثاء ليغرس في نفس المتلقي مكانة المرثي، فالرياض التي نبتت فوق سطح الارض قد ماتت بسبب الحزن على هذا الفقيد، ويدعو له بالسقيا لارتباطها بالرحمة ، يقول: [٣]

وكم فوق الثرى من روض حسن جرى نفس الاسى فيه فذابا
سقاك ولا اخص رباب مزن لعل ثراك قد سئم الربابا [٤]

ويصف شوقه وحنينه الى ديار الاهل والاحبة في نجد غرناطة [٥]وهو مكان جميل تكثر فيه الحدائق والمتنزهات فيزاوج بين وصف الطبيعة والحنين الى ديار الاهل والاحبة مبتدئاً القصيدة بالدعاء متسائلا عن سبب الفراق الذي حل بهم فيجيب نفسه، بان الدهر الذي فرق بينه وبين ممن يحب ، ويحاول ان يوطن نفسه على

---

(١) الديوان: ٥٦،٥٧.
(٢) نفسه : ١١٣.
(٣) نفسه : ٣٨.
(٤) الرباب : السحاب.
(٥) نجد غرناطة : هو مكان في غرناطة.

الفراق الابدي، لأن العمر لم يعد فيه ما يعيد تلك العلاقة مكتفيا بذكر الايام السالفة، يقول: [١]

سقى العهد من نجد معاهدة بما يغار عليها الدمع ان تشرب القطـــــرا
فيا غينة الجرعاء ما حال بيتنا سوى الدهر شيء فارجعي نشتكي الدهرا
نقضت حياة العيش الا حشاشة اذا سألت لقياك عللتها ذكـــــــــــرا

ومن النماذج التي جاء فيها الغزل مقترنا بوصف الطبيعة، وصف طول ليل العاشقين وما يقاسيه العشاق من الهم والوجد، يقول: [٢]

كما قلت ما بالي ارى الليل سرمدا والا فلم لا ينجلي بنهـــــــار
يقولون طال الليل والليل لم يطل وهل فيه بين للعاشقين تماري
اذا جن ليل الحب لم يدر نائـــم به ما يقاسي هائم ويـــــداري

٢-وصف المظاهر الحضارية: وهي الاشياء التي ابتكرها الانسان وتشمل:

أ - وصف الدولاب: هو عبارة عن آلة من الخشب تستخدم لارواء الحقول والبساتين والحدائق وفي حركتها تصدر اصواتا تشبه الانين، هذه الاصوات كانت مثيرة لقرائح الشعراء، وحفزت فيهم روح الابداع والابتكار الشعري والتجديد، وعمقت لديهم الاحساس بالجمال، وبرز الاهتمام بوصف الدواليب في عصر الموحدين ((واول من قال فيها الرصافي البلنسي))[٣]، وهذا الشاعر بوصفه شاعر الابداع والابتكار كان سباقا في التعامل مع هذه الالة الجامدة، واستطاع بحسه المرهف وخياله الواسع ان يضفي على الدولاب صفات انسانية بل ووجدانية، فرآه عاشقا يبكي بدموع حزينة لفراق الاحبة ومن حوله الرياض تضحك لبكائه، وتفرح لحزنه، وله جفونا حادة كالسيف وهو غمدها، يقول: [٤]

وذي حنين يكاد شجوا يختلس الانفس اختلاسا

---

(١) الديوان : ٧٤.
(٢) نفسه : ٨٥.
(٣) الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الاندلس : ١٤٣.
(٤) الديوان: ١٠٠.

اذا غدا للرياض جارا قال لها المحل : لا مساسا
تبسم الزهر حين يبكي بأدمع ما رأين بأســا
من كل جفن يسل سيفا صار لها غمده رئاسا

ب - وصف صنوبرة نحاسية: وصف الشاعر الروض الجميـل الرائـق فـي منظره عند مرور النسيم فجلا بمروره صدأ العين ورق صفحتها، وفـي وسـطه ركبت صنوبرة نحاسية يجري الماء في سيقانها والتي تشبه في التواءهـا الافعـى العظيمة التي تتعلق صغارها بها ، يقول: [١]

وروض جلا حدا العين به نسيم تجارى على مشربه
صنوبرة ركبت ساقها عليه فخاضت حشا مذنبه
فشبهتها وانابيـبها بها الماء قد جد في مسكبه
بأرقم كعك من شخصه وافرخه يتعلقن بـه

ت - وصف قلم : وهو وسيلة الشعوب في التقدم والرقي ، ومن لا يعـرف هـذه المكانة الرفيعة له وقد اقسم الله تعالى به، فقال ((ن والقلم ومـا يـسطرون))[٢]، فمن هذا المنطلق استلهم الشاعر هذه المعاني السامية، فراح يصف القلم بأوصاف جميلة ومؤثرة تليق بهذه المكانة، فعلى الرغم من قصر انبوبه لكن في نفـاذه فـي الشيء يفوق نفاذ الرماح الطويلة، وفي حركته على الـصحيفة البيـضاء عنـدما تمتلىء بالحبر فانه يبدد الظلمة ويزيل الجهل كالصباح حين يجلـو ظلمـة الليـل فبفضله زالت الصعوبات وسهلت الامور، يقول: [٣]

قصير الانابيب لكنه يطول مضاء طوال الرماح
اذا عب م النقس[٤] في دامس ودب من الطرس[٥] فوق الصباح
تجلت له مشكلات الامور ولان له الصعب بعد الجماح

---

(١) نفسه : ٤٩.
(٢) سورة القلم الآية١.
(٣) الديوان : ٥٣.
(٤) النقس : الحبر.
(٥) الطرس : الصحيفة البيضاء.

وله قطعة نثرية[1] يصف بها القلم امتازت بقصر العبارة وتكثيف الفكرة صب فيها جزء كبيرا من ثقافته الدينية والتراثية والمتأمل لهذه القطعة يجد القلم فيها ((مفتاح الحياة)).

[1] ينظر:الديوان : ٥٣.

القسم الثاني : وصف المهن وما يتعلق بها: ويحتوي هذا القسم على طائفة من المهن التي كان الناس يزاولونها في الاندلس في ذلك العصر، ومنها:

١ - صفة الرفاء: يظهر الشاعر نوعا من البراعة في وصف اصحاب هذه المهن وتبدو على اشعاره الرقة والسلاسة ومن تلك اللوحات الجميلة التي رسمها لنا صورة ((الفتى الرفاء)) الذي يشبهه بالظبي في حسنه وجماله، ومن ثم يعقد مقارنة لطيفة بينه وبين الغزال، فهذا الفتى الجميل يمسك بفيه خيوط الحرير مثلما يمسك الغزال نبتة او زهرة العرار، لقد ملك هذا الفتى القلب واحتل دارا اخرى الا وهي الروح والعقل ثم داعيا له بالقدسية في أي مكان يحل فيه، يقول: [١]

وبنفسي من اسميه الا ... بعض المامه وبعض اشارة
هو الظبي في الجمال سواء ... ما استعار الغزال منه استعارة
اغيد يمسك الحرير بفيه ... مثلما يمسك الغزال العراره
ما بقلبي حوته منه ضلوعي ... كالرجاء انطوى وفيه شرارة
داره القلب وهو يحتل اخرى ... قدس اله حيثما حل داره

٢ - صفة الصفار:

ان انصراف الشاعر الى وصف المهن واصحابها فيها دعوة لتشجيع هؤلاء الناس على الكسب الشريف، لانه يمثل احد اصحاب هذه المهن، فهذا الفتى الصفار الذي يجعل من النحاس شيئا يشبه الذهب الخالص، ويعمد ذلك الى تفصيل مراحل تحويل هذا المعدن الى مادة صافية تشبه الذهب عن طريق السبك والضرب والمدّ ويحاول في البيت الاخير اظهار جمال هذا الفتى فحمرة وجهه دلالة على الحياء وصفرته دلالة على الخوف من العتب والتقريع، يقول: [٢]

تعلم صفارا فلقت : استعارها ... غداة رنا من صبغة العاشق الصب
يعود النحاس الاحمر التبر عسجدا ... بكفيه عند السبك والمد والضرب
فحمرته مشتقة من حيائـــه ... وصفرته مما يخاف من العتب

---

(١) الديوان : ٧٨.

(٢) نفسه:٤٣،٤٢.

وفي المقطوعة الثانية التي قيلت في وصف صفار ايضا، يظهر الشاعر شيئا من براعته في التصوير والنقل فيشبه هذا الصفار بالسيف الصقيل الذي ظهر عليه الصدأ لكثرة اشتغاله بهذه المهنة، ويشبه عيون القطر بالذهب المصقول بعد ان يستعير له الانامل الحديدية كدليل على قوته، ويرى الشاعر ان لهذا الصفار نورا متلالاً واضحا يشبه ظهور القوي الجسد على الضعيف وبدا في بيته الاخير عارفا بالظواهر الطبيعية كالكسوف، فجمال هذا الفتى وان اختفى في ظلمة الابخرة والادخنة للحظات قليلة فانه سيظهر حتما مثل ظهور الشمس عندما يذهب عنها الكسوف، يقول: [1]

ولم ار مثل صفار تصدى — كما صدى الصقيل من السيوف
غدا يعطو بانملتي حديد — عيوان القطر كالذهب المشوف
اذا ما النار مجتها[2] اليه — كمثل الجمر رائعة الخفوف
تلألأ نوره فخبا سناها — كما ظهر القوي على الضعيف
والا مالها تربد سودا — كأن شموسها قطع الكسوف

٣ ــ صفة الحائك : وفي وصفه ((لغلام حائك)) يفتح القصيدة بالغزل المذكر ، فهذا الحائك يحمل كل صفات الجمال فهو ذا ثغر عطر تميل شفتيه الى السواد ومقلتاه ساحرتان وبهذا يشبه الغزال الصغير وهي صفات جمالية أنثوية لكن الشاعر اعارها لهذا الحائك جريا على عادة الشعراء في التغزل، ومن ثم يصل الى غرضه الرئيس وهو وصف المهنة او يذكر ادوات الحياكة وهي الغزل والمحوك والسدى. يقول: [3]

قالوا وقد اكثروا في حبه عذلي — لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو ان امري في الصبابة لي — لاخترت ذاك، ولكن ليس ذلك لي
علقته حبيبي الثغر عاطره — المى المقبل احوى ساحر المقل
اذا تأملته اعطاك ملتفتا — ما شئت من لحظات الشادن الغزل

هيهات ابغي سواه في الهوى بدلا — اخرى الليالي وهل في الحب من بدل

---

(١) الديوان : ١٠٨.
(٢) مجتها : رمى بها
(٣) الديوان: ١١٦.

اما يعاب عليه شغل راحتـــه من يحسن الفرق بين الحلي والعطل
غزبك لم تزل في الغزل حائلة بنانه جولان الفكر في الـــغزل
جذلان تلعب بالمحواك انمله على السدى لعب الايام بالدول

٣ - المحارب :

والرصافي البلنسي لم يترك ميدانا الا وترك فيه اثر له، فهو كما اجـــاد فـــي ميدان السلم اجاد ايضا في ميدان الحرب، ففي وصفه ((المحارب)) يعطينا لمحة عن صفات هذا الانسان الذي يختال بدرعه في ساحة الوغى، فالاختيال لا يكـــون فـــي ساحة القتال وانما في ميدان السلم، ولكن الشاعر استعملها في معنى الحرب ليـــدلل على شجاعة الموصوف، ونرى عنده وصفا قد يكون غريبا هو تشبه السيف بالبحر لكثرة سفكه للدماء، فلو شاهدت هذا المحارب وهو يحمل السيف بيده فانك ســـترى بحرا من دماء الشجعان تسير في نهر صغير اراقها هذا السيف. فهذا المحارب بطل شجاع لا يهاب الموت، يقول: [١]

لو كنت شاهده وقد غشي الوغى يختال في درع الحديد المسبل
لرأيت منه والقضيب بكفه بحرا يريق دم الكماة بجدول

صفة العازف:

وفي عالم الطرب والغناء يعلن الشاعر شيئا من مكنونات نفسه الخفية فيصف لنا ذلك الشخص الذي امتهن الغناء بأوصاف بديعة رشيقة، فهذا الشخص الذي يمس الالة الموسيقية باطراف اصابعه قد افاض لحنا شجيا جعل الحمامة تترك صـــغارها في الوكر للاستماع الى هذه الالحان الشجية على الرغم من حملهـــا الطعـــام فـــي منقارها لهؤلاء الصغار، يقول: [٢]

---

[١] الديوان : ١١٩.
[٢] الديوان : ١٠٠.

ومطارح مما تجس بنانه لحنا افاض عليه ماء وقاره
يثني الحمام فلا يروح لوكره طربا ورزق بنيه في منقاره

صفة النجار :

واتجه الشاعر الى وصف حرفة النجارة فقرن هذا الوصف بشيء من التغزل ايضا فشبهه بالظبي حين يتبع القطيع من الغزال ويصور هذا النجار من الاعمـــاق فلجمال مقلتيه اثر على القلب الذي تعلم هذه المهنة، ثم يعطي لهذه الجمادات صـــفة انسانية وهي اقتراف الذنب، لانها سرقت قوامها من معاطفه، يقول: [1]

يقولون لي يوما وقد عن حائزا كما عن ظبي السرب يتبع السربا
تعلم نجارا فقلت لعلـــــها تعلمها من نجر مقلته القلبا
شقاوة اعواد تصدى لجهدها فآونة قطعا وآونة ضـــربا
غدت خشبا تجني ثمار جنانه بما استرقته من معاطفه ثوبا

صفات اخرى :

صفة زنجي:

ومما يتصل بالمهن واصحابها ووصف اشـــكال النـــاس واحـــوالهم، فمـــن اللوحات الجميلة التي رسمها لنا الشاعر لشكل الزنجي الذي صعد الى شجرة اللوز المنورة وهم في مجلس الخمرة، وفي هذا المجلس وضح نوعا من آداب المجـــالس وهو عدم الثرثرة والكلام بدون سبب وان لا يتكلم الا اذا طلب منه ذلك. فعندما قيل له صف هذا الفتى وصفه بوصف دقيق مؤثر عذب، مشبها سواده بالليل الذي طلـــع بالنجوم، مستخدما بذلك التكثيف والاختصار، يقول: [2]

وزنجي الم بنور لوز وفي كاستنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفه فقلت: الليل اقبل بالنجوم

---

(١) نفسه : ٣٥.
(٢) الديوان : ١٢٦.

ومن الحالات الانسانية التي وصفها الشاعر ((وصف صبي يتباكى)) الذي يجعل من ريقه على عينيه ليوهم الناس بالبكاء، فيخلع عليه سمة العذار ((وهي من السمات الجمالية التي احبوها في وجوه الغلمان))[١]فيشبهه بالغصن الناعم في تمايله وهو ساحر بجماله ودلاله، عينه كالزهرة في جمالها، ثم يستعير منظرا من منـــاظر الطبيعة الزاهية، فبكاء هذا الصبي عمدا يشبه ابتسامة الزهر وتفتحه، يقول: [٢]

عذيري من جذلان بيدي كآية — واضلعه مما يحاوله صفر
اميلد مياس اذا قاده الضبا — الى ملح الادلال ايده السحر
يبل مآفي زهرتيه بريقه — ويحكي البكا عمدا كما ابتسم الزهر

ومما يدخل ضمن هذا الموضوع اقصد(وصف المهن) واصـــحابها وصـــف السمات الجمالية في وجه الانسان وهي (العذار والخيلان) التي رآها الشعراء جميلة مشرقة في وجوه الغلمان ومن الصور الطريفة التي رسمها شـــاعرنا الرصـــافي ، يقول: [٣]

اقوى محل شبابك آهل — فاقمت اندب منه رسما عافيا
مثل العذار هناك تؤيا داثرا — واسودت الخيلان فيه اثافيا

فهاتان العلامتان تذكرانه بالحبيب وعهد الـــصبا والـــشباب ، وبهـــذا يكـــون الرصافي البلنسي قد استكمل صور الوصف فوصف الطبيعة بادق واجمل الاوصاف والتي تجعله في مصاف الشعراء البارزين في الوصف واظهر نوعا من التجديد في هذا الموضوع لاسيما في وصف الدولاب والنهر. فكل ما وقع عليه نظره وصـــفه ببراعة .

---

(١) **الوصف في الشعر الاندلسي عصر الطوائف ، اطروحة ماجستير، رياض كريم، جامعة بغداد١٩٨٨ :٧٣.**
(٢) **الديوان : ٧٩.**
(٣) **نفسه : ١٣٣.**

المبحث الثالث

الاخوانيات

هي لفظة مأخوذة من الاخ، ((وهو المشارك الآخر في الولادة من الطـرفين او من الرضاع، ويستعار في كل مشارك غيره في القبيلة، او في الـدين، او فـي مودة، او غير ذلك من المناسبات))[١]. من خلال مـا تقـدم يمكننـا القـول بـأن الاخوانيات في مدلولها اللغوي تشتمل على معـاني الـصداقة والرفقـة والعـشرة والمصاحبة والمخالة، فضلا عن دلالتها علـى النـسب والقرابـة. امـا مـدلولها الاصطلاحي فهو لا يختلف كثيرا عن مدلولها اللغوي، لـذلك توسـع الكثيـر مـن الباحثين في تحديد هذا المفهوم، يقول الدكتور مصطفى الشكعة ((هذا اللـون مـن الشعر يصور العلاقات الاجتماعية بين الشعراء وممدوحيهم او بينهم وبين اصدقائهم واحبائهم ففيه التهنئة والاعتذار، وفيه العتاب والشكوى، وفيه الصداقة والود، ومـا الى ذلك من المعاني الاجتماعية الواسعة التي تربط بعض الناس بعض))[٢] .

ويعرفها الباحث النجدي ((بأنها تنظم مظاهر العلاقات الاجتماعية بين الناس من تأييد واستهداء ، ومكاتبات... فهي مظهر من مظاهر المجتمع وتعاطفه))[٣].

نستنتج من كل ذلك ان شعر الاخوانيات هو شـعر وجـداني يمثـل الاواصـر الاجتماعية ويصورها في ميدان الاخوة والصداقة في مختلف اشكالها ومعانيها، متـضمنا صوراً من المودة والاخاء والاعتذار والتهنئة والعتاب والشكوى.

---

(١) **المفردات في غريب القرآن، الحسن بن محمد بن المفـضل الملقـب بالزغـب الاصـفهاني، المكتبـة المرتضوية ١٩٦١م:١١.**

(٢) **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨١م : ٢ : ٣٨٢.**

(٣) **الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث للهجرة، احمد جاسم النجدي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٧٣ : ٣٤٢.**

لقد حدد بعض الباحثين طلائع شعر الاخوانيات الى القرن الثاني الهجري [١]، وهذا لا يعني ان هذا الشعر غير موجود في الشعر العربي قبل هذه الحقبة وانما ((وجد هذا الشعر مقرونا بالعلاقات الاجتماعية منذ عصر قبل الاسلام، لأن الانسان يميل بطبيعته الى اخيه [٢] .

وبما ان الشعر الاخواني شعر انساني يجسد العواطف الانسانية فانه دافع للانسان ومحركاً لعواطفه تجاه الاخوة والاصدقاء لذلك كله فانه احتل مساحة واسعة في الشعر الاندلسي، ولما عرف عن الرصافي البلنسي من حبه للأصدقاء ووفائه لهم، فقد كانت له امسيات ومجالس يجتمع فيها مع اصحابه، وعندما يفتقد احدا يكتب له القصائد الطوال يذكر فيها شوقه ومودته وحتى الذين فارقوا الحياة فانه يرى جزءا من الوفاء لهم ان يذكرهم في شعره، وفي بعض الاحيان كان هذا الوفاء سببا منعه من العودة الى مواطن الصبا لأن الأصحاب قد انتقلوا من هذه الدنيا الفانية ، يقول في ذلك: [٣]

ولم اطو عنها الخطو هجرا لها، اذا ... فلا لثمت نعلي مساكنها الخضرا
ولكن اجلالا لتربتها التي ... تضم فتاة الندب او كهلها الحرا
اكارم عاث الدهر ما شاء فيهم ... فبادت لياليهم فهل اشتكى الدهرا
هجوع ببطن الارض قد ضرب الردى ... عليهم قبيبات فويق الثرى غبرا

لقد برزت الاخوانيات غرضا مستقلا في شعر الرصافي البلنسي اذ بلغ عددها سبع قصائد وعددا من المقطعات، افتتح القصيدة الاولى وركز في مقدمتها على معنى الوفاء، ويبدو ان الشاعر قد تلقى كتابا من صديق له يكنى بأبي الحسن، فهذا الصديق يحمل خصالا حميدة طيبة، حركت احاسيسه ، وما كان ذلك الاحساس بسبب تلك الريح العذبة التي حملت معها ذكريات الماضي المعطرة بنسمات المسك

---

(١) ينظر الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث الهجري، احمد جاسم النجدي، ١٩٧٣ : ٢٣٤.

(٢) الاخوانيات في شعر العصر العباسي الاول، رمضان صالح عياد، رسالة ماجستير ، كلية التربية – جامعة بغداد، ١٩٨٩ : ٨.

(٣) الديوان : ٧١.

الفواح وبذلك اراد ان يعطي للوفاء بعدا انسانيا لما يتصف به الصديق من صـــفات تصدر عن موقف انساني يقدس تلك العلاقة ويحرص على ديمومتها، يقول: [١]

اتتني من تلك السجايا بنفحـــة هزرت لها في الحي عطفي من عجبي
وما ذاك الا ان عرف تحـــــية نفضت بها مسكا على الشرق والغرب
تصدى بها الركب المغرب غدوه فقلت:امن دارين[٢] مدلج[٣] الركـــب ؟

اما الفكرة الثانية في القصيدة فقد دارت حول معنى المـــودة، فمحبتـــه لهـــذا الصديق راسخة ثابتة فلسانه لا يفتر عن ذكره وقلبه نبت فيه الود، فاثمر هذه العلاقة الحميمة بينهما، يقول: [٤]

سينشق عن نور الوداد بها فمي فقد انبتت لك ما في قلبي

فالمودة هنا ((تجاذب روحي خفـــي بـــين طـــرفين قوامـــه المحبـــة))[٥].

وتطالعنا الفكرة الثالثة في القصيدة وهي الاعتداد الذي هو ((وسيلة تربويـــة قائمة على المحبة والوئام من خلال تجنب التضاد ومحو الاحقاد والـــضغائن التـــي تفرق بين المتحابين ويفضي الى اعادة الصلة والالفة وذلك اسمى ما يـــسعى اليـــه الانسان))[٦].

فالشاعر يعتذر لصديقه بعدم قدرته على زيارته باسلوب لطيـــف، فزيارتـــه واجبة ويقرنها بفريضة الحج، فلو حصلت هذه الزيارة لهذا المنزل الواسع لكانت له حجة فكأنه يبرأ من الذنب الذي ارتكبه بحق صديقه كما يبرأ الحاج من ذنوبه عنـــد اكماله هذه الفريضة، والحج اراه باعثا على الشوق والحنين عند الاندلسيين، وفكرته

---

(١) الديوان : ٤٠.
(٢) داربن: مكان في البحرين يجلب اليها المسك من الهند.
(٣) مدلج:السير في الليل.
(٤) الديوان : ٤١.
(٥) الاخوانيات في الشعر الاندلسي من عصر الطوائف حتى افول الحكم العربي، عباس احمد سالمين، رسالة ماجستير، كلية الاداب – جامعة بغداد، ٢٠٠١م : ٧٥٠.
(٦) شعر العتاب والاعتذار في القرنين الثالث والرابع الهجريين :٩، محفوظ فرج ابراهيم، رسالة ماجستير، كلية الاداب – جامعة بغداد ١٩٨٨م.

جاءت لما تحتله هذه الفريضة من منزلة واسعة في نفوسهم، استخدمها الشاعر كوسيلة مساعدة ومقنعة في الاعتذار لصديقه، يقول: [١]

خلا ان حالا لو قضت بتفرغي — الى لازم من حج منزلك الرحب
لقمت له ما بين اعلام رية[٢] — وبين حما وادي الاشاء[٣] من الترب

ويختتم القصيدة بالدعاء لأخيه وصديقه بالسقيا والخير والنماء، يقول: [٤]

وبعد فلا يعطش ابا الحسن الحيا — بلادك والتفت عليك حلى الخصب

ويلهج الشاعر في قصيدته الثانية بالشكوى ويسأل عن سبب البعد او الفرقة التي ابعدتهما عن بعض فيعاتبه على هذا الجفاء الذي استمر عشر سنين، ويرجع السبب في هذه الغيبة الى حظهما المتعثر الذي منعهما من اللقاء، ويبدو انه يختلق هذا العذر ارضاء لصديقه، يقول: [٥]

يا عمرو ابن عمير من كدى يمن — لقد هوت بك يا عمرو الرياح وبي
طول ارتحال واحظ غير طائلة — وغيبة ناهزت عشرا من الحقب

ثم تفيض مشاعره الذاتية فيحاول استنطاق الجمادات، فحتى هذه الصخرة البيضاء تؤجج فيه بواعث الشوق والحب، فيطلب من مقلتيه ان تبقى ناضحة الدموع سائلة عن هذا الصديق الذي اصبح تحت الثرى موضحا في ذلك بعض مفردات الرحلة في المقدمات التقليدية، يقول: [٦]

ايه عن الكدية البيضاء ان لها — هوى يقلب اخيك الواله الوصب

---

(١) الديوان: ٤١.

(٢) ريه: كورة من كور الاندلس، في فيلى قرطبة، نزلها جند الاردن من العرب وهي كثيرة الخيرات، ينظر صفة جزيرة الاندلس للحميري ، نشرها إ. لافي بروفنسال، مطبعة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٣٧، ترجمة رقم(٨١).

(٣) الاشاء: صغار النخل وبه سمى المكان (الاشاء) او وادي آش وهو مدينة بالاندلس قريبة من غرناطة . ينظر صفة جزيرة الاندلس، ص١٩٢.

(٤) الديوان : ٤١ .

(٥) نفسه : ٤٣.

(٦) نفسه : ٤٤.

راوح بنا السهل من اكنافها وارح ركابنا ليلها هذا من التعـــب
وانضح جوانبها من مقلتيك وسل عن الكثيب الكريم العهد في الكثب

لقد تحمل الشاعر المشاق والاذى من اجل صديقه فلـــولاه لـــم يقـــتحم هـــذه الصحراء الموحشة ويسير في ظلمة الليل، فهو لم ينم الليل بسبب البكاء الذي يـــراه دينا في عنقه. وفي هذا يظهر مشاعر الوفاء الطيبة لتكون واحدة من القيم المستخدمة نحو صديقه ، يقول : [١]

لولاك ياسرح لم نبق الفلا عطلا من السرى، والدجى خفاقة الطنب
ولم نبت نتقاضى من مدامعنا دينا لتربك من رقراقها السرب

ويستمر هذا النفس الحزين الى نهاية القصيدة فهو دائم السؤال عـــن هـــؤلاء الراحلين حتى الشجر في الحدائق الجميلة يحاول سؤاله لكن دون جدوى فلم يبق اثر من محاسنهم الا فيما يروى عنهم من ذكر حسن في كتب الماضين، يقول: [٢]

سل خميلتك الريا بآية ما كانت ترف بها ريحانة الادب
عن فتية نزلوا عليا سرارتها عفت محاسنهم الا من الكتب

والقصيدة الثالثة كانت جوابا لرسالة شعرية بعثها اليه الشريـــشي [٣]، هـــذه الرسالة أثارت في الشاعر الاحساس بالشوق واللهفة لرؤيته، فـــاعتزازا بـــصداقته لهؤلاء سمى قصيدته بالرائية لجمالها ورقة الفاظها والتي تـــشبه الـــدّر المنـــتظم او الزهر المتفتح الذي تتضوع منه الرائحة الطيبة، يقول: [٤]

حباني على بعد المدى بتحية ارى غصني رطب المهز بها نضرا
برائية لم ادر عند اجتلائها هي الدر منظوما ام الزهر مفترا

---

(١) نفسه : ٤٥.

(٢) نفسه : ٤٥.

(٣) هو ابو الحسن ابن ليال الشريشي، اسمه علي بن احمد بن علي بن فتح ، سمع صحيح البخاري علـــى شريح واخذ عنه القراءات وروى عن ابي بكر بن عربي، تولى القضاء في بلـــدة شـــريش، لـــه نظـــم ونثر(ت٥٨٣هـــ)انظر ترجمته في المغرب : ١ : ٣٠٧.، التكملة لابن الابار (ترجمة ١٨٧٤).

(٤) الديوان : ٧٥.

وفي القسم الثاني من القصيدة يبرز الصراع النفسي عند الشاعر ، فتتنازعه نفسه اليهم ويغالبه الشوق فهو يقاسي الم البعد والفراق، ويصل بشوقه الى درجة الهيام، يقول: [١]

اعندكم انا نبيت لبعدكم وكل يد منا كبد حرى

ومن عجب انا نهيم بقربكم ولا زور الا ان نلم بكم ذكرا

ويميل الشاعر في ابيت السابع والثامن الى نوع من التعليل الطريف ليكون مدخلا للاعتذار ، فالشاعر امنيته واماله في هذه الحياة ان يلتقي بهؤلاء الاحبة، ولكن لا يستطيع لعدم قدرته الجسدية فاستعار لها ((الاجنحة التي لا تستطيع الحركة والطيران)) ثم ويظهر توسلاته وتمنياته بأن اعظم حاجة يقضيها له الدهر هو اللقاء، لكن هيهات لان وقت الصبا قد ولى وذهب ، ويحاول في البيت التاسع استعطاف الدهر دون جدوى، لأن البعد والشيب قد خيما عليه، يقول: [٢]

نؤمل لقياكم وكيف مطارنا بأجنحة لا نستطيع لها نشرا

فلو آب ريعان الصبا ولقاؤكم اذا قضت الايام حاجتنا الكبرى

فان لم يكن الا النوى ومشيبنا ففي أي شيء بعد نستعطف الدهرا

ويتفنن الشاعر في بث اشجانه في ثنايا قصائده كما لاحظنا سابقا فقد خرج من معنى الشوق الى الاعتذار وبعدها الى الاستعطاف، ومن ثم اتجه الى مزج المدح بالاخوانيات وهو ما يسمى بالمدح الاخواني الذي لا يخضع لرهبة ولا رغبة... والذي يقوم على علاقات صادقة وشعور تمتزج فيه المحبة والاعجاب بعيدا عن المراءات والمبالغات))[٣]. فهذا الفتى طلق الوجه يتهلل بشرا عند اللقاء، وبهذا نلمس الاثر الاسلامي المغروس في نفسية الشاعر الذي لا يصاحب من اجل مصلحة دنيوية، يقول: [٤]

---

(١) **نفسه** : ٧٦ .

(٢) **نفسه** : ٧٦.

(٣) **الاخوانيات في شعر العصر العباسي الاول** : ٤٨.

(٤) **الديوان** : ٧٦.

فهل من فتى طلق المحيا محبب يطول تمني السفر ان يصحب السفرا
تحدثكم عنا اسرة وجهـــــه وان لم تصف الا التهلل والبشـــــرا

والقصيدة الاخوانية الرابعة كانت جوابا لرسالة شعرية ايضا بعثها اليه ابـو عمر ابن حربون [١] مطلعها:

لله ما هاج لمع البارق الســاري على فؤاد غريب نازح الـــدار[٢]

تحدث الرصافي البلنسي في مطلع قصيدته عن اهل شـلب [٣]، وامتـدحهم بالفصاحة وقول الشعر وكأنهم عاشوا في البادية لا في الامصار وهو احـد معـاني الاخوانيات الاجتماعية ، يقول: [٤]

وارض شلب وما شلب وان ولدت غمار ناس فناس غير اغمار
عرف التحاور من تلقاء السنتهم كانما انشأوا في غير أمصار
يلقون بالقول موزونا وما قصدوا كأن ذلك منهم عقد إضمار

ويكثر الشاعر لفظة الاستزادة والاستنطاق ليسمو بمنزلة هذا الصديق عنـده فهو يعظمه ويجله ويأخذ الشاعر عهدا على نفسه بـصفاء المـودة لهـذا الانـسان ويؤكدها بالقسم يقول: [٥]

ايه وهل مع ايه يا ابا عمر من تحفة غير إعظام واكبار
وغير عقد صفاء قد قسمت لكم معينة بين إعلان وأسرار

وهذا عين الوفاء الذي يجب ان يكنه لصديقه فهو مخلص له في سره وعلانه ثم يظهر عتبه على هؤلاء القوم (اهل شلب) وهو معنىً اجتمـاعي يخـص ذلـك المجتمع لانهم تغافلوا عن جارهم الفقير، لقـدرتهم مـساعدة هـذا الانـسان،مقدماً

---

(١) ابن حربون : هو ابو عمر احمد بن حربون شاعر من شعراء الدولة الموحدية. ينظر زاد المسافر لابن صفوان ترجمة رقم (٤٢).

(٢) الديوان : ٩٧ .

(٣) شلب : مدينة من مدن الاندلس تقع بالقرب من مدينة ياجه وهي فسيحة المنزهات واراضـيها واسـعة وهي تقع بين قرطبة واشبيلية . ينظر الروض المعطار: ٣٤٢.

(٤) الديوان : ٩٧،٩٨.

(٥) نفسه : ٩٨.

النصيحة لصديقه الفقير بأن لا يتكل على الآخرين لأن الناس فيهم الخبيث والطيب يجعل القناعة زاده لأن رزقه مقدّر ومقسوم، وان يجدّ في طلب الرزق، وبهذا دلالة واضحة على نفسه الايماني، يقول: [١]

ما بالهم رقدوا في لين عيشهم عن جارهم وهو محبوس بإقتار
والحر اكثر ما يزري بحاجته توسط من خبيث النفس خوار
صون الفتى وجهه ابقى لهمته والرزق جار على حد ومقدار

وعالج الشاعر في قصيدته الخامسة معنى ذاتيا خالصاً الا وهو ((يوم الفراق))، وهو متأتي من احساس الشاعر بانقطاع الوصل واللقاء، يتولد منه الم في نفسه ويصاب بحالة من الهلع والخوف [٢] .

فحين ودع صديقه الكتندي [٣] احس الشاعر بالمرارة والالم واحتدم الصراع النفسي لديه فهو لم ينس الايام الجميلة التي قضاها معه بين الربى والاشجار، يقول:[٤]

لقد بان عني في يوم ودعت صاحب برىء اساليب الوداد من انقص
اقول لنفسي حين طارت بك النوى اخوك فريشي من جناحك او قصي
فباتت على ظهر النزوع اليكم تطير بما في الوكر اجنحة الحرص
الى كم ابا بكر نحو بانفس ظماء الى عهد الاجيرع او حمص
كأن لم تر تلك الربى وكأنها عرائس ترعاها المواشيط لانص
ولا رنقت تلك الاراكة فوقنا بلوث ازار الظل في كفل الدعص [٥]

---

(١) الديوان : ٩٨،٩٩.

(٢) ينظر الغربة والحنين في الشعر الاندلسي، محمد احمد حاجم، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣ : ١٢٢.

(٣) ابو بكر الكتندي هو :

(٤) الديوان : ١٠٣.

(٥) الدعص : الكثب الصغير من الرمل.

اما القصيدة السادسة فقد جاءت في المدح الاخواني وهـذا المـدح يمتـزج بوصف الطبيعة فهذا الحبيب قد ترافقت دعوته وقت الغروب الذي يشبه المـريض الذي يقضي لحظاته الاخيرة ، وهذه الصورة تبدو قاتمة حزينة ولكن الشاعر واقـع فيها تحت تأثير الطبيعة الساحرة التي ذكّرته بخليله الذي يكن له الاخلاص والمـودة وان علاقته صافية عذبة بصفاء الضمير الخالي من الحقد والكراهية، يقول : [١]

دعاك خليل والاصيل كانه — عليل يقضي مدة الرمق الباقي

الى شط منساب كانك ماؤه — صفاء ضمير او عذوبة اخلاق

ويبلغ به الشوق والحنين حدا لا يستطيع معه الصبر فيطلب منه الوقوف لأن الشوق قد شغفه ، يقول : [٢]

على سطر خيري ذكرتك فانثني — يميل باعناق ويرنو بأحداق

فقف وقفة المحبوب منه فانها — شمائل مشغوف بمرآك مشتاق

والقصيدة الاخيرة وهي السابعة ركز فيها على معنى المعاني الانسانية العامة الا وهو النصح والارشاد، فهو يخاطب صديقه الذي سمع كلام الوشاة وينصحه بعدم سماع قول هؤلاء الناس الذين توسعوا في ذمه، لان مكانته سامية في قلبـه، هـذه المكانة التي تناهز منزلة الاقمار ، فالقمر سواء كان هلالا او بدراً لايقلل ذلك مـن علوه ومكانته بين الكواكب في بداية الشهر ، ويحاول ان يضرب مثلا آخر الا وهو (ان الفضة لا تتأثر بالضرب او السبك وليس هذا مهانة او ذل لها وانما هو رفـع من قيمتها، وان ميل النجم الى الغروب لا يقلل من منزلته وعلوه ، يقول: [٣]

واسهرني فوق القتاد[٤] تقلـب — من الدهر بالاحرار بالغ [في] الهضم

رجال شجتني بالسماع على النوى — ويبلغ ضر القوس من قبل السهـم

تهاون بما تخشى وبت متسليا — فقد تطرق السراء في ليله الـهم

---

(١) الديوان : ١١٢-١١٣.

(٢) نفسه : ١١٣.

(٣) نفسه : ١٢٥-١٢٦.

(٤) القتاد: شجر له شوك.

مكانك ما تدريه من افق العلا فخذ مأخذ الاقمار في النقص والتم

اما المقطعات من الشعر الاخواني فقد مال فيها الى التكثيف والاختـــصار ، فالمقطوعة رقم (٢٣) فيها فكرتان:

اما الاولى فهي الوداد الذي يكنه الشاعر لصديقه ويؤكد بأن هذا الود صـــاف لا تشوبه شائبة مهما بقي او تطاول هذا الصديق في البعد.

واما الثانية فهي الوفاء ، فالبعد اختبار للصدق والوفاء لصديقه، فكرم العهد لا يكون على اتمه ولا يتبين صدقه الا بالبعد. يقول : [١]

لك الود الذي لا ريب فيه وان بقيت نواك على التمادي
اذا كرمت عهود المرء طبعا فأكرم ما يكون على البعاد

وينصح صديقه ابا علي بن كسرى [٢]بملازمة العلم واعطائه الاولية في كـــل شيء لأنه يعرف منزلة العلم والعلماء كيف لا والله تعالى كرم بني آدم به، لأن نيل العلم في نظره يؤدي الى الشاعرية، وهو شيء غير حقيقي في الحياة ، بل مبالغـــة من الشاعر، يقول: [٣]

اجعل العلم اولاً واجعل الشعر آخراً
فاذا ما فعلت كنت لاشك شاعراً

ومن المعاني الاخوانية الاخرى التي وردت في شعر الرصافي البلنسي هـــو اسداء الشكر وهو معنى يرتبط بالابعاد الاجتماعية لهذا الشعر، فالشاعر يقدم شكره وثناءه الى صديقه الممدوح لأنه حصل على زيارة هذا الشخص وتزود من كرمـــه ويجد ذلك جزءً من الوفاء، لأن هذا الثناء سيخلد الانسان في ذاكرة الزمن، يقول:[٤]

---

(١) الديوان : ٦٢.

(٢) ابو علي بن كسرى: هو الحسن بن محمد بن علي الانصاري يكنى ابا علي ويعرف بابن كـــسرى كـــان متقدما في حفظ الادب واللغة وشاعرا مجيدا، روى الشعر عن ابي عبدالله الكتندي وابي عبدالله بن غالب الرصافي ، توفي بمالقة سنة ٦٠٣هـــ. الاحاطة م٤، ٤٦٩-٤٧٥.

(٣) الديوان : ٧٩.

(٤) نفسه: ٥٨.

فاليك شكري تحفة من قادم مغناك زار ومن نداك تزودا
وعلي توفية الثناء مخلداً ان كان يقنعك الثناء مخلدا

بعد هذه الرحلة الممتعة مع شعر الاخوانيات عند الرصافي الرفاء البلنـــسي والتي اجاد فيها اجادة موفقة في هذا الضرب من الشعر اذ استوعب فـــي قـــصائده جميع معاني الاخوانيات ومنها:

١-المعاني الانسانية والتي شملت عند الشاعر المودة والوفاء، والنصيحة.

٢-المعاني الاجتماعية: تضمنت معاني العتاب والاعتذار واسداء الشكر والثناء .

٣-المعاني الذاتية: وذكر فيها الشوق والحنين ولحظة التوديع.

ومن خلال تلك المعاني لقد برزت لهذا الشعر الميزات الاتية :

أ-ان الشعر الاخواني عند الشاعر يمثل اتجاهاً شعرياً بارزاً صـــور لنـــا جوانـــب مختلفة من حياة المجتمع الاندلسي في هذا العصر، ويمكننـــا ان نجعلـــه غرضـــاً مستقلاً، وجاء في اكثر الاحيان على شكل رسائل شعرية.

ب-امتاز هذا الشعر عند شاعرنا بالجودة والحسن كما سنبينه في دراستنا الفنية.

ت-غلبة القصائد على المقطعات في شعر الشاعر وقد تميزت هذه القصائد بطـــول النفس، اما المقطعات فقد امتازت بالتركيز والايجاز.

ث-نزعة عاطفة الشاعر نزعة صادقة لانها صدرت عن علاقـــة طبيعيـــة واقعيـــة مردها الاعجاب والحب والوفاء والتقدير.

ج-لقد ترك الشعر الاخواني لهذا الشاعر اثراً ممتعا وطيبا في النفس لأنه ذو اطـــار انساني واجتماعي واسعين، فهو يخاطب النفس الانسانية من جوانب مختلفة.

ح-لقد وافق هذا الشعر عند الشاعر المعاني التي جاء بها الاسلام الحنيف في الحث على سلوك اخلاقي مثالي وادبي تربوي... مما يتيح التقارب بين النفوس الواعية المخلصة لسلوك الطريق الذي يؤدي الى سعادة أبناء المجتمع الواحد.

المبحث الرابع
((أغراض أخرى))

١- الرثاء :

غرض شعري قديم وبارز في ادبنا العربي، عرفه الانسان منذ ايقن بعدم قدرته على الخلود والبقاء . وان مصيره الموت والفناء لا محالة. لذا أخذ الناس يبكون موتاهم بكاءً يصور حزن الانسان على اخيه الانسان، ويبكي نفسه من خلاله لأنه سيؤول الى المصير نفسه الذي آل اليه اخاه. ويتخذ الرثاء الوانا ثلاثة وهي:

اللون الاول : الندب ((هو النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجية والالفاظ المحزنة التي تصرع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة، اذ يولول النائحون والباكون ويصيحون ويعولون مسرفين في النحيب والنشج وسكب الدموع))[١].

اللون الثاني : التأبين ((مدح الميت والبكاء عليه))[٢]، ويوافق الدكتور شوقي ضيف على ذلك ويقول ((اصل التأبين الثناء على الشخص حياً او ميتاً، ثم اقتصر استخدامه على الموتى فقط))[٣]، فهم لا يظهرون حزنهم على هذا الميت فحسب وانما الاشادة بخصاله الحميدة.

اللون الثالث: العزاء هو ((مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين... ينقذ الشاعر من حادثة الموت الفردية التي هو بصددها الى التفكير في حقيقة الموت والحياة. وقد ينتهي به هذا التفكير الى معان فلسفية عميقة))[٤].

ويمكن القول بأن الندب مرحلة التهاب المشاعر المحزنة ويكون وقته عند اللحظات الاولى التي يفقد فيها الانسان ويفارق هذه الدنيا، اما التأبين والعزاء فهما مرتبتان تأتيان بعد حادث الموت . وتكون فيها العاطفة الانسانية اقل مما هي عليه

---

(١) الرثاء، تأليف لجنة من ادباء الاقطار العربية.القاهرة، ١٩٥٥م : ١٢.

(٢) امالي اليزيدي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند ١٩٤٨م:١٨.

(٣) الرثاء، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م : ٥٤.

(٤) نفسه : ٦.

في مرحلة الموت لأن وطأة الحادثة تبدأ تخف على الانسان. ولقد اختلف الشعراء حسب طبيعة الموقف والاثر الذي خلفه الموت في نفسية الشاعر، فالرثاء الذي يصدر عن الرغبة والطمع في نيل الهبات والعطايا يظهر فيه التكلف وتفتقد فيه العاطفة الصادقة، وهو ما يسمى بالرثاء الرسمي كرثاء الخلفاء والوزراء والقواد والكتاب[١]، واما الرثاء الذي يصدر من قلب متفجع اكتوى بنار الفراق والالم فنراه يترك في نفوسهم جراحات عميقة، وينم عن عاطفة صادقة جياشة تجاه الاهل والاحبة والاصدقاء وهو يسمى بالرثاء الخاص [٢].

ولما كان الرصافي البلنسي من اولئك الشعراء الذين يأبون تسخير قرائحهم لمطامع او مكاسب آنية في سبيل الحصول على الهبات والعطايا، فقد اتجه في رثائه الى الغرض الخاص والذي شمل عنده رثاء الافراد والاصدقاء والكتاب والشعراء فعنى برثاءه شخص يدعى عبد الله ويبدو من قصيدته انه كان مقربا الى الشاعر او صديقا له، فقد وصف عيشه قبل فقد هذا الشخص بانه عيش هانيء سعيد، لكن تقطع هذا العيش حينما فقده فخيم الحزن على مخيلة الشاعر مما ادى الى التهاب النا في قلبه وخرج هذا الدفق من المشاعر الحزينة على شكل قواف حزينة مضيئة من قلبه المحترق لوعة والما مشبها اياها بالشهب التي تحترق في الليل المظلم والتي تولد ضوءا ساطعا ، يقول: [٣]

وكنت العيش متصلا ولكن تصرم حين لذا وحين طابا
وشيبني انتظاري كل يوم لعهدك كرة والدهر يابى
إلام اشب من نيران قلبي عليك لكل قافية شهابـــا

ويندبه ندبا تظهر فيه العاطفة الصادقة والاحاسيس الجياشة التي تغص بها نفسه المحزونة فقلبه مليء بالاحزان والعبرات والدموع الغزار وهذا الليل في قبحه يشبه ظهور الشيب في رأس الانسان الذي يدل على قرب الاجل والمصير المحتوم،

---

(١) ينظر الرثاء في الشعر العربي، مكتبة الحياة، ط١، بيروت ١٩٨١، ص٣٢، ٤٧.
(٢) نفسه.
(٣) الديوان، ٣٦.

وهذا الدمع المنسكب من عينيه يزيد جوانحه التهابا واشتعالا، فجمع الضدين في هذا البيت لان الماء يطفىء النار لكنه في البيت يزيدها سعيرا، ويـــرى الـــشاعر فـــي اجتماع هذين الضدين شر ما يلاقيه وما يتعرض له قلب الانسان، يقول: [١]

وليل اسىً كصبح الشيب قبحا — اكابده سهادا وانتحابا
تزيد به جوانحي اتقـــــــادا — اذا زادت مدامعي انسكابا
وشر مكابدات القلب حال — يرك الضد بينهما انتسابا

ويصل الى موقف العزاء، فعزاؤه في هذا الميت انه صاحب علم الذي كـــان سببا في اغنائه عن العودة لأن الانسان ينقطع عمله الا من ثلاثة اشياء ومنها العلـــم النافع فهو قد نسي الرجعة الى الدنيا لأنه استغنى بعلمه واكتفى بما لقيه مـــن هـــذه الغنيمة، يقول: [٢]

لعلك والعلوم مغنيات — نبست هناك بالغنم الا بابا

ويدعوا لهذا المرثي بالسقيا وهي عادة اعتاد عليها الشعراء القدامى ((وكثيرا ما كان الجاهليون يدعون لموتاهم بالسقيا))[٣]، واصل السقيا انها من الماء، والماء هو حياة للكائن الحي وفي نفس الوقت فان السقيا للارض هي حياة، اما السقيا للميت فهي رحمة، والسقيا لقبر المرثي جاءت من طريقين،الاول : الجفون وهو كناية عن كثرة تساقط الدموع على المرثي، والثاني : السحاب، ويعني تساقط قطرات المطـــر على قبر المرثي والجامع بين الصورتين هو نزول الماء، يقول:[٤]

سقاك ولا اخص رباب مزن — لعل ثراك قد سئم الربابا[٥]
ولكن ما يسوغ على التكافي — لقبرك ان يكون له شرابا
فاني ربما استسقيت يوما — لك الجونين : جفني والسحابا

---

(١) الديوان: ٣٧.
(٢) نفسه.
(٣) شعراء الرثاء في العصر الجاهلي، دراسة فنية د. مصطفى الشوري، الدار الجامعية للطباعة والنـــشر - بيروت ١٩٨٣، ص١٨٧.
(٤) الديوان: ٣٨ ، ٣٩.
(٥) الرباب: السحاب.

ويؤبن الشاعر هذا المرثي فيذكر شمائله وخصاله الحميدة التي تخجل دموعه لملوحتها ان تسقي ثرى ذلك القبر، وهذه الدموع الحمراء التـــي لا تنقطـــع تتحيـــر مرتابة في محاجره لا تود اصابة ذلك الثرى، ثم يتمنى ان يتحول ذلك المسك الاسود غيما وان يجول على ضريح هذا المرثي وان يهطل عليه، ويـــزاحم هـــذا المـــسك دموعه فيخترق الثرى ليصل الى ذلك الجسد فهو المكان اللائق به، يقول: [١]

فتخجل من ملوحتها دموعي — اذا ذكرت شمائلك العذابا
تكاد على التتابع وهي حمر — تحير في محاجري ارتيابا
فليت احم مسك عاد غيما — فحام على ضريحك ثم صابا
وزاحم في ثراك الدمع حتى — يشق الى مفارقك الترابا

والملاحظ على هذه القصيدة ان الشاعر استخدم الالوان ليعبر عما يختلج في نفسيته واللون الاحمر هنا كناية عن احمرار الجفن لكثرة تساقط الدموع، اما الاسود الذي استخدم للمسك فهو دلالة على الغيم المحمل بالمعطر.

ورثى الرصافي البلنسي صديقا له يدعى (يوسف) بثلاث مقطوعات تجلـــى فيها صدق العواطف والمشاعر الحزينة التي جعلت من قلب الشاعر يقطـــر دمـــاً، فيختار منظرا من مناظر الطبيعة الزاهية وهو الورد الاحمر الذي يـــذكره بيوســـف فصبغة الورد الحمراء هي من بقايا ما تنتجه الارض من دم هذا القتيل،الذي تظهـــر على خده حيوية ونضارة الشباب وكأنه وردة تعج بالعطر الفواح ، يقول: [٢]

يا وردة جادت بها يد متحفي — فهمى لها دمعي وهاج تاسفي
حمراء عاطرة النسيم كأنها — من خد مقتبل الشيبة مترف
عرضت تذكري دما من صاحب — شربت به الدنيا سلافة قرقف[٣]

---

(١) الديوان: ٣٩.

(٢) نفسه : ١٠٩.

(٣) قرقف : خمر لانها تقرقف شاربها أي ترعده.

ويصور في مقطوعته الثانية حزنه وبكاءه على هذا الشخص فيجسم منزلتـــه في نفس الشاعر فحتى هذه الدنيا الواسعة قد تلطخ ترابها بدم هذا الانسان الذي سقط والدم ينتثر منه، ويحزن كثيرا بل ويبكي ويتاسف لان هذا الثرى لم يشرب دموعـــه لملوحتها، يقول:[١]

تساقط مرفض الرشاشة فاغتدت به ساحة الدنيا مضمخة الترب
ومن اسف الدنيا بكائي ليوسف وما لثراه في دموعي من شرب

اما المقطوعة الثالثة فلم تخرج عن معاني المقطوعتين السابقتين وهو يصور فيها حزنه ما الم به من جراء فقد هذا الشخص فقلبه مجروح ينزف دما[٢] .

والقصيدة الاخيرة للرصافي البلنسي هي في رثاء احد الادباء وهو ابو محمد بن عبدالله المالقي[٣]، والتي وظف الشاعر فيها جزءا كبيرا مـــن ثقافتـــه التراثيـــة والدينية ومعرفته بالتاريخ الادبي قبل الاسلام ، فأبّن في مطلع قصيدته الخسارة التي لحقت المجتمع من جراء فقده لهذا الاديب البارع، فيذكر بمكان العرب الادبي ((وهو سوق عكاظ)) وكذلك يذكر ((قيس بن ساعدة الايادي)) الخطيب المفوه ليـــدلل مـــن خلال ذلك على مكانة المرثي الادبية والتراثية والتي عجز البيان وانشق لسانه امـــام بلاغته وفصاحته. ويستمر على هذا النفس الحزين في تجسيم خسارته للفقيد ورفـــع منزلته، فهو سماء عالية ، وشهاب هاد، وكوكب وقاد، وسيف قاطع، يقول:[٤]

ابني البلاغة فيم حفل النادي هبها عكاظ فأين قس أياد
اما البيان فقد اجر لسانه فيكم بفتكة الحمام العادي
عرشت سماء علاكم ما انتم من بعد ولكم الشهاب الهادي
حطوا عند الطريق فقد خبا لألاء ذاك الكوكب الوقاد
ما فل لهذمه الصقيل وانما نشرت كعوب قناكم المناد

---

(١) الديوان : ٤٢.
(٢) نفسه : ٥٢-٥٣.
(٣) هو محمد بن عبدالله بن ابي العباس الجذامي المالقي ، كان فقيها اديبا برع في النثر والنظم، وقد مدح عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف توفي سنة (٥٦٢هـــ). ينظر : ادباء مالقة : ١٠٧-١١٠.
(٤) الديوان:٦٣.

ويخرج الشاعر أحاسيسه الحزينة على شكل نفثات حزينة من اعماق نفسه الشجية مستخدما بذلك الالفاظ الموحية فيحاول استنطاقه والاستزادة منه مطلقا على المرثي لقباً ادبياً رفيعا وهو ((عميد الحي)) لما تمتع به من منزلة علمية وادبية مرموقة جسدها حين شبهه بعقد المسك المنظوم، ثم جسد الحزن في مظاهر متعددة ولاسيما مظاهر الكون والزمان كأنه فقد شخصا عزيزا فظهر ذلك الحزن من خلال الليل وشدة ظلامه وارتدائه ملابس الحداد وكأنه يشير بانجمه الى ما تركه هذا الفقيد في البلاغة والادب وما اختطته يداه ، وفي هذا تصوير لحجم ما خسره المجتمع بسبب فقد هذا الشخص، يقول:[1]

ايه عميد الحي غيره مدافع ... ايه فدى لك غابر الامجاد
ما عذر سلك كنت عقد نظامه ... ان لم يصر بردا الى الآباد
حسب الزمان عليك كلا ان يرى ... من طول ليل في قميص حداد
يومىء بانجمه لما قلدتـــــه ... من در الفاظ وبيض أياد
كثف الحجاب فما ترى متفضلا ... في ساعة تصغي به وتنادي

ويصل المطاف بالشاعر الى مرتبة العزاء فيصور الموت على انه مصير لا مفر منه وانه قد ازدحم بأرجل القاصدين وانه يفني في كل يوم الكثير من الخلائق وهو يريد ان يؤكد حقيقة وهي ان الموت قد كتب على كل ما في هذا الكون، لقد كان لرحيل هذا الاديب سببا في امن الاعداء وارتياح الحاسدون منه ليؤكد في ذلك شجاعته وسطوته ومكانته اللائقة في المجتمع، يقول:[2]

المم بربعك غير مأمور ... غصّ الفناء بأرجل القصاد
خبرا يبلغه اليك ودونه ... امن العداة وراحة الحساد

---

(١) الديوان : ٦٣.
(٢) نفسه :٦٤.

ويبوح بتلك الحقيقة المرة التي تنتظر الانسان والتي ينساها في هـــذه الحيـــاة بسبب مغريات الدنيا وهي وضعه في تلك الحفرة الضيقة الخشنة التي تشبه حـــرف الصاد في انحنائها وتساءل هل هذا المكان هو اللائق بهذا الشخص ؟ يقول[١]

اموسدا تلك الرخام بمرقد اخشن به من مرقد موساد

خصت بقبرك حفرة فكانها من جوفها مثل حرف الصاد

لقد اراد الشاعر ان يوطن نفسه على الفراق الابدي، فيتمنى ان يكون شـــعره جنة لهذا المرثي في رحلته الطويلة ويفتديه الشاعر بابيه وليؤكد بأن الوفاء متأصـــل فيه حتى بعد موت هذا الصديق ، ويمتدحه فيجعل منه سيفا قد كثرت حمائله، ويدعو على حامليه بالذلة لانهم وضعوه في القبر. وفي هذا يؤكد على ان الرثاء هو مـــدح لكنه يرد فيه لفظ يدل على ان الممدوح ميت كما يقول صاحب العمدة [٢]، يقول:[٣]

يا ليت شعري والمنى لك جنة والحال مؤذنة بطول بعاد

هل العلا بك بعدها من نهضة أم لانقضاء نواك من ميعاد

بأبي وقد ساروا بنعشك صارم كثرت حمائله على الاكتاد

ذلت عوائق حامليك فانهم شاموك[٤] في غمد بغير نجاد

ويؤبن الشاعر في ختام قصيدته في المرثي صفات الكرم والسيادة والـــشرف وان مكانه سيبقى خاليا لا يمكن ان يسد حتى من الاخوة والاولاد، اما افضاله علـــى الناس فلا تعد ولا تحصى ولولاه لما ارتفع واشتهر الكثير من الناس بعد ان كـــانوا مغمورين ، وهو معين لا ينضب حتى بعد وفاته يمد يد العون لمن يطلبها، يقول:[٥]

ابني العباس أي حلاحل[٦] سلبتكم الدنيا واي نضاد[٧]

هل كان الا العين وافق سهمها قدرا فاقصد ايما اقصاد

---

(١) الديوان : ٦٤.

(٢) العمدة: لابن رشيق، ٢ : ١٤٧.

(٣) الديوان : ٦٥.

(٤) شاموك : غمدوه او وضعوه.

(٥) الديوان: ٦٥.

(٦) حلاحل: السيد الكريم.

(٧) نضاد : اراد النضد وهو الشريف من القوم.

اخلل بمجد لا يسد مكانـــــه بالاخوة النجبـــــــاء والاولاد

ما زلت تنعثها يسيبك[١] قابضا منها على الاضباع[٢] والاعضاد

[١] السيب : العطاء او الكرم.

[٢] الاضباع: اراد من الضبع وهو وسط العضد.

٢ - الغزل :

هو فن من الفنون الشعرية التي يعبر فيها الشاعر عن احاسيسه ومشاعره الفطرية التي وجدت مع الانسان منذ بدء الخليقة. وينبع من شعور شخصي ذاتي فيكون صادقا بعدي كل البعد عن التكلف والصنعة.

والغزل عند الرصافي البلنسي قد حظي باهتمامه الواسع ، وقد جسده من خلال القصائد والمقطعات التي اوقفها على هذا الموضوع فضلا عن جعل الغزل مقدمة لبعض قصائده المدحية، وهو لم يقتصر في غزله على المرأة وانما تغزل بالمذكر، ولذا سيكون حديثي عن هذين القسمين:

أ - الغزل بالمرأة :

ان قصائد الشاعر ومقطعاته الغزلية بالمرأة تدل على شاعرية متأصلة، ويبدو انه لم يحب امرأة في حياته لأننا لم نجد في غزله اسم فتاة احبها واكثر من ذكرها في شعره الغزلي، كما فعل الشعراء الآخرون، لكننا نرى في شعره براعة واسعة عى تمثيل دور المحب ، فبأسلوبه الرقيق الذي يسحر القلوب من خلال التشبيب بمحاسن المرأة وجمالها، يقنع القارىء تمام الاقتناع بأن شاعر صادق في حبه يقاسي الوجد واللوعة.

لقد استند الشاعر في غزله على بعض المعاني المشرقية، فنجد الحرقة والشكوى في مقطعاته مع محاولة وضع هذه المعاني في قالب جديد بديع السياق متكامل الجوانب فيتحدث عن وداع حبيبته في ليلة شديدة السواد تتلألىء نجوم سمائه بزرقتها الوضاءة، لقد احترق قلبه شوقا في هذه اللحظة ووضع يده على قلبه لكي لا يخرج من مكانه يتبع ذلك الحبيب فضاقت الحياة على الشاعر بما رحبت وتأرجح عيشه بين مرفوض ومقبول، يقول:[١]

---

[١] الديوان: ٥١، ٥٢.

في ليلة سدكت بالارض فحمتها والجو ازرق وقاد المصابيح
ودعته وكلانا واضع يـــــده على حشا بسموم الشوق ملقوح
ما طبت بالعيش نفسا بعد فرقتها والعيش ما بين مذموم وممدوح

ويظهر الاتجاه الحسي في غزل الشاعر واضحا جليا، في مقطوعتـــه التـــي تبرز فيها روح المغامرة الغرامية، فنزول الثريا الى المغيـــب كانـــت بدايـــة هـــذه المغامرة الغرامية، فقد نال الشاعر من حبيبتـــه العنـــاق والـــضم والتـــي ســـماها ((اخت البدر)) لجمالها وحسنها، لكن لحظات الغرام لم تدم طويلا فقد انبلج ضـــياء الفجر الذي كان نذير الشؤم والفراق والانفصال والذي انهـــى لحظـــات الوصـــال والقرب التي اختلست تحت جنح الليل، يقول: [١]

طرقت مطلع الثريا وولت والثريا تشم ريح الوقوع
تحت جنح من الدجى اورثته عبقا في قميصه المخلوع
ايها الليل هل درى البدر اني بت من اخته مكان الضجيع
امكنتني من العناق فلمـــا جلب الفجر ساعة التوديع
عمدت بردها بغض وقامت تنفض الطل احمرا من دموع

وهو في هذا لا ينسى المزاوجة بين الغزل وعناصر الطبيعة.

وفي قصيدته التي يتغزل فيها بامرأة جميلة والتي جعلها مثالا للجمال الجسدي فوجهها هلال بل ويجعلها شمسا مشرقة في حسنها وجمالها[٢]،والقـــصيدة الاخـــرى يعمد الشاعر الى ابراز عنصر الحوار بينه وبين عذاله، على الرغم من عذل الناس له بعد ان ظهر الشيب في عذار الحبيب الا انه اصر على الاستمرار بالـــسير فـــي طريق الحب الذي اوصله الى حرب مزعومة بينه وبين من يحب ورفع فيه الشاعر راية السقم والمرض شعارا له، يقول:[٣]

وقالوا: تجلى بالمشيب عذاره فقلت: تجلى بالشيب عذاري

---

(١) **الديوان** : ١٠٦ ، ١٠٧.
(٢) **نفسه** : ٨٥.
(٣) **نفسه**: ٨٦.

فجاشت لها منهم صدور كانها غمود سيوف والسيوف عواري
ولو شئت ثارت بيننا حرب عاشق يكون بها ثوب السقام شعاري

ونلمس حرارة العاطفة الانسانية في قصيدته الطويلة وهو يتجـــرع مـــرارة الحرمان والالم والشكوى، يقول: [١]

ايها الامل خيمات النقا خف على قلبك تلك الحدقا
ان سربا حشي الخيم به ربما غرك حتى ترمقا
لا تثرها فتنة من ربرب[٢] ترعد الاسد لديه فرقا
وانج عنها لحظة سهمية طال ما بلت ردائي علقا
واذا قيل نجا الركب فقل كيفما سالم تلك الطرقا
يا رماة الحي موهوب لكم ما سفكتم من دمي يوم النقا

وفي كل هذا يختلق العذر لهم بأن هؤلاء الاحباب لم يكونوا سببا في مصرعه من جراء العشق وانما هو قرب المنية والاجل المحتوم وفي هذا دلالة على ايمانـــه، تستمر معاناته وتأوهاته من جراء الفراق والوجد فتلهب مـــشاعره ويخفـــق القلـــب وتترك العين الكرى وتجعل الارق سبيلا لها. والقلق والسهر واللوم بـــدل الراحـــة والعيش الرغيد، يقول:[٣]

ما تعمدتم ولكن سبب قرب الحين وامر سبقا
والتفاتات تلقت عرضا مقتل الصب فخلته لقى
آه من جفن قريح بعدكم يشتكي خداي منه الغرقا
وحشا غير قرير كلما رمت ان يهدأ عنكم خفقا
وفؤاد لم اضع قط يدي فوقه خيفة ان تحترقا
ما لنجم عكفت عيني على رعيه ليس بريم الافقا
ولعين خلعت فيك الكرى كيف لم تخلع عليك الارقا
ايها اللوام ما أهداكـــم عن قلوب اسهرتنا قلقا
ما الذي تبغون من تعذيبها بعدما ذابت عليكم حرقا

---

(١) الديوان : ٨٦
(٢) ربرب : القطيع من بقر الوحش او الظباء.
(٣) الديوان :٨٦

ويظهر الشاعر توسلاته وخضوعه لهذا الحبيب ويتحدث عن العفــة وهــو حديث يقترب من العذرية لانه لولا الخوف من الظلم لأخذ ما يريد قبل الفراق وفي هذا سمو وترفع عن الرذيلة. والمعروف عن الرصافي البلنسي انه لــم يكــن مــن شعراء الغزل العذري في هذه القصيدة وغيرها وانما جرياً على عادة الشعراء فــي الغزل، يقول:[١]

قومنا فوزوا بسلوانكم ودعوا بالله من تشوقا
وارحموا في غسق الظلماء من بات بالدمع يبك الغسقا
عللونا بالمنى ولـــــــو بخيال منكم ان يطرقا
وعدونا بلقاء منكـــــــم وكثير منكم ذكر اللقا
لو حشينا الجور من جيرتنا لانتصفنا قبل ان نفترقا
واصطحبنا الان من فضله ما قد شربنا ذلك المغتبقا

٢ - الغزل بالمذكر:

وجد هذا اللون في الشعر العربي اول مرة عند الشعراء العباسيين. ويعد ابو نؤاس اول من حمل لواء هذا اللون من الشعر[٢]، وظل الشعراء يتوارثونه جيلا بعد جيل جريا وراء التقليد ولأغراض المجون حتى وصل الى الاندلس ، وبالرغم مــن صيحات الاستنكار وعبارات التعنيف والتسخيف التي اطلقها كتّاب القرن الــسادس الهجري في الاندلس ومنهم ابن بسام وابن خاقان[٣]، لكن هذه الصيحات لــم تقــف حائلا دون انتشار هذا اللون من الغزل في المجتمع الاندلسي، والرصافي البلنسي في غزله هذا ابتعد عن المجون، ولعل السبب في ذلك ان اغلب شعره ينبع من نفــسية عفيفة مؤمنة بدينها فضلا عن خلقه القويم الذي يبعده عن قول الفحش والمجون، وما

---

(١) الديوان : ١١١.
(٢) الادب في ظل بني بويه، د. محمود غناوي، مطبعة الامانة، مصر ١٩٤٩ : ٢٦٧.
(٣) كتاب الذخيرة لابن بسام ق١ م١/١٢١، والقلائد ، لأبن خاقان : ٢٥٤.

تغزله بالمذكر سوى اظهار لقدرته على مجاراة شعراء عصره، فضلا عن كونه تقليدا ادبيبا يسير عليه الشعراء في العصور التالية للعصر العباسي[١] .

وعندما يتغزل الرصافي البلنسي فنحس كأنه يتغزل بامرأة جميلة ويتغنى بمفاتنه، فالشاعر قد شغف بهذا الغلام الذي تنصت اسنانه، ويخالط شفتيه السواد ومقتليه ساحرتان والمتمعن فيه يرى صفات الغزال الذي قوي وابتعد عن امه وهي صفات انثوية اطلقها الشاعر على هذا الغلام ليجعله محببا الى نفسه، يقول:[٢]

علقته حببي[٣]الثغر عاطره — الملى المقبل احوى[٤] ساحر المقل

اذا تأملته اعطاك ملتفتـــا — ما شئت من لحظات الشادن[٥] الغزل

ويعبر الشاعر عن احاسيسه وهو يلتقي بحبيبه في مكان جميل لكن هذا اللقاء ذهب مع ادراج الرياح بسبب هبوب الرياح وارتفاع الموج مما ابعده عن حبيبه وكأن الماء ارسل لينغص من سروره وفرحه بهذا اللقاء والرياح رقيبة عليه، فبدل ان يجعل العذال اناساً كما هو عند الشعراء جعل الظواهر الكونية عذالا ينغصون عليه راحته وسروره، يقول:[٦]

غاري الغرب اذ رآني — مجتمع الشمل بالحبيب

فأرسل الماء عن فراق — وارسل الريح عن رقيب

٣ - الحنين الى المعاهد والاحباب :

شعور يعتري الانسان عندما يتذوق مرارة البعد والتشرد عن الديار التي نشأ وترعرع فيها، وهذا النوع من الشعر يتمثل فيه صدق العاطفة والشوق، وقد

---

(١) الشعر في ظل بني عباد، محمد مجيد السعيد، وزارة التربية، ط١ ، ١٩٧٢ : ١٥٣.

(٢) الديوان : ١١٦.

(٣) حببي: يشبه الحبب، أي ثغره نقي كالحبب.

(٤) احوى : اسود .

(٥) الشادن : الغزال اذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن امه.

(٦) الديوان : ٤٨.

خرج شاعرنا الرصافي البلنسي من وطنه صغيرا وكان يكثر دائمـا مـن الحنـين والتشوق اليه.

ويعصف بالشاعر الحنين والوجد فهو لا يتذكر الديار فحسب وانما كل شيء يذكره حتى ذكر مدينته يحرك فيه الحنين ، فيشبه الحديث عنها بالماء الذي يطفـيء حرارة الكبد الملتهب شوقا لرؤيتها معبرا عن ذلك بالفاظ شعراء الجاهلية لما لها من ايحاءات مناسبة في مثل هذا الموضع، يقول: [١]

خليلي ما للبيد قد عبقت نشرا وما لرؤس الركب قد رنحت سكرا
هل المسك مفتوقا بمدرجة الصبا ام القوم اجرو من بلنيسه ذكرا
خليلي عوجا عليها فانـــــه حديث كبرد الماء في الكبد الحرى

ويوغل الشاعر في تشوقه وتلهفه الى بلنسية عنـدما تركهـا مخلفـا فيهـا اصدقاءه، فلم يحمل معه سوى الذكريات التي تشده اليهم، فكان يطعم شـوقه بـذكر الاماكن التي كان يرتادها في بلنسية التي احتضنته صغيرا، كالرصـافة، والجـسر، ويدعو لهما بالسقيا لأن بالسقيا يكثر الخير والنماء وتنزل الرحمة. وان حبهـا قـد تمكن منه فهو لا ينساها ابدا، يقول:[٢]

قفا غير مأمورين ولتصديا بها على ثقة للغيث فاستقصيا القطرا
بجسر معان والرصافة انه على القطر ان يسقي الرصافة والجسرا
بلادي التي ريشت قويدمتي[٣] بها فريخا واوتني قرارتها وكرا
مبادىء لين العيش في ريق الصبا ابى الله ان انسى لها ابدا ذكرا

فالشاعر دائم التذكر، يغدق الدموع الحمر على مدينته لأنها مـسقط رأسـه ومرتع صباه، فهو لا يحتاج الى مقدمات او اقناع لكي يحب هذا المكان، وهو فـي هذا يتمثل عنده صدق العاطفة اتجاه الوطن الصغير، يقول:[٤]

---

(١) الديوان: ٦٧.
(٢) نفسه : ٦٨.
(٣) قويدمتي: تصغير قادمتي، والقادمةاربع ريشات للطائر في مقدمة الجناح.
(٤) الديوان: ٦٩.

محل اغر الفهد لم يند ذكـــــره على كبد لا امترى ادمعا حمرا
اكل مكان كان في الارض مسقطاً لرأس الفتى يهواه ما عاش مضطرا

ويفيض الوجد ويبلغ منزلة عالية حينما يتذكر بلنسية فيعمد الى المبالغة كثيرا حينما يجعل هذه المدينة فردوسا يضاهي به فردوس الآخرة وهذه المكانـــة عنـــدما رسمها الشاعر لمدينته جاءت تعبيرا عن الحب والشوق الذي اضطرم في وجدانـــه، يقول:[١]

وقالوا هل الفردوس ما قد علمته فقلت وما الفردوس في الجنة الاخرى

ويستمر الشاعر في وصف محاسن ((بلنسية)) ويعدد افضالها، حتى لتصبح عنده زبرجدة وسط انهار من اللآلىء، بل هي عروس أبدع الله صورتها، فوجههـــا المشرق يظهر فيه حيوية الشباب وجماله، يقول:[٢]

بلنسيه تلك الزبرجدة التي تسيل عليها كل لؤلؤة نهـــــرا
كأن عروسا ابدع الله حسنها فصير من شرخ الشباب لها عمرا

ويرتقي الشاعر في وصف هذه المدينة ويصدق المقولة التي قيلت عنها بـــأن ((ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الاندلس))[٣]فيجعلها درة بيضاء مضيئة من كل الجهات، يقول:[٤]

تؤبد فيها شعشعانية(٥) الضحى اذا ضاحك الشمس البحيرة والنهرا
هي الدرة البيضاء من حيث جئتها اضاءت ومن للدر ان يشبه البدرا

وتعيش هذه المدينة وتعشعش في مخيلة الشاعر ويحدثه الشعور بالعودة الـــى هذه المدينة لكنه فجأة يرى نفسه وحيد اذا رجع اليها فتتعالى صيحاته الحزينة وتتفتح

---

(١) الديوان : ٦٩.
(٢) نفسه : ٧٠.
(٣) المغرب، ٢ : ٢٩٧.
(٤) نفسه: ٧٠.
(٥) شعشعانيه : الانوار التي تشع منها.

جراحه فيمتنع عن العودة لأن اصحابه قد ذهبوا واحدا تلو الآخر وقد هجعوا الهجعة الابدية التي لا رجعة عنها الى ان يرث الله الارض ومن عليها، يقول:[١]

خليلي ان اصدر اليها فانها هي الوطن المحبوب او كلته الصدرا
ولم اطو عنها الخطو هجرا لها فلا لثمت نعلي مساكنها الخضرا
ولكن اجلالا لتربتها التـــــي تضم فتاها الندب او كهلها الحرا
اكارم عاث الدهر ما شاء فيهم فبادت لياليهم فهل اشتكي الدهرا
هجوع ببطن الارض قد ضرب الردى عليهم قبيبات فويق الثرى غبرا

ويحتدم الشوق لدى الشاعر ويتلهف لرؤية موطن الصبا الـــذي خلـــف فيـــه اصدقائه واحبته فلم يحل سوى ذكرى تشده اليهم وتربطه بهم فتعتريه نشوة خاصة عندما يذكر اسماء الاماكن التي كان يرتادها في بنلسية التي شهدت حبه، واحتضنت وجوده، ومسحت جسده، و أهدته ينابيع الفرح والسرور، نشوة ملكت عليه حواســـه وبعثت في نفسيته دفقات من الصور والذكريات، فنراه يكثر مـــن اســـماء البقـــاع والمتنزهات لأنها حفلت بأعز أحلامه وأسعد لحظات عمره، فيرسل لمعالمها البارزة القبلات كدليل على الشوق والهيام، يقول:[٢]

يا صاحبي على النوى ولأنتما اخوا هواي وحبذا الاخوان
خوضا الى الوطن البعيد جوانحي ان القلوب مواطن الأوطان
ولبثتما عندي طلقي غربة ولفظتما علق المشوق العاني
امودعين ولم احمل قبلة نعليكما [تهدي] لجسر معان

---

[١] الديوان : ٧١.

[٢] الديوان : ١٣١-١٣٢.

الهجاء :

يتفق الناس منذ القدم على ان الهجاء فن الشتم والسباب وهو نقيض المدح كما اجمع عليه نقادنا القدامى، يقول قدامة بن جعفر في ((اذا كان الهجاء ضد المـــدح، فكلما كثرت اضداد المديح في الشعر كان اهجى))[١]

اما مفهومه في العصر الحديث فانه لا يتعد كثيرا عن المفهوم القـــديم فهـــو عندهم ((ادب غنائي يصور عاطفة الغضب او الاحتقار او الاستهزاء)) وهو ينقسم الى قسمين:

القسم الاول: الهجاء الفردي: وهو شعر يعالج الخـــصومات والمنازعـــات بـــين شخصين وفيه ينزع الشاعر من صورة مهجوه كل الفضائل والقـــيم التـــي اقرهـــا العرف ويلصق فيه كل القيم المرفوضة، واللافت للنظر في ديوان الرصافي البلنسي انه يخلو من القصائد الطويلة في هذا الموضوع الا بعـــض المقطعـــات والابيـــات المفردة واذا دل على شيء فانما يدل على تجافي الشاعر عن هذا النوع من الـــشعر لأن الاسلام ينهى عن الهجاء لما فيه من تخريب للاواصر الاجتماعية في المجتمـــع الاسلامي وعند استقرائنا لديوان الشاعر وجدنا فيه مقطوعتين، الاولى تتـــألف مـــن ثلاثة ابيات، والثانية تتألف من خمسة ابيات ويضم ايضا بيتا مفردا واحدا.

فالرصافي البلنسي يؤكد في مقطوعته الاولى ان قدرته على الهجاء تفوق وقع السهام، لكن خلقه هو الذي منعه من ذلك، يقول: [٢]

عفا الله عني فاني امرؤ — اتيت السلامة من بابها
على ان عندي لمن هاجني — كنائن غصت نشابها
ولو كنت ارمي بها مسلما — لكن السهيلي اولى بها

---

(١) ينظر نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٩٠.

(٢) الهجاء والهجاء في الجاهلية، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٩٧٠ : ١٦.

وفي المقطوعة الثانية يرى الشاعر بأن قصيدته منزهة عن كل عيب لانها واضـــحة كالشمس في شروقها وبعدها عن النقص ، ولكنها لم ترق لمهجوه لان الحـــسد مـــلا قلبه واعمى عيناه ، يقول:[١]

ومنظومة سبعا وعشرين درة تدار على الدنيا كؤوس رحيقهـــا
عوى نحوها الكلب الاعيمي حساده ومن ذا يبعث الشمس عند شروقها
لالىء توم[٢] اشرقته بريقـــــــه وزادت ظلاما عينه ببريقهـــــــا

وفي البيت المفرد يظهر الشاعر براعته في الهجاء ويلصق بمهجوه انكر او ابشع الاسماء التي تنفر عنها النفس الاسلامية او الانسانية لأن ابليس رمز الشر اينما حل وابن الخليع كدليل على الانحلال والفساد، يقول: [٣]

ما انزع الشيحين بين الورى ابلس، لاقدس ، وابن الخليع

القسم الثاني :الهجاء السياسي : وهو الهجاء الموجه نحو الحكام ولم نجد في ديوانـــه شيئاً من هذا النوع مما يجعلنا نستشف ان الهجاء لم يكن غرضا وجد صداه عنـــد الرصافي البلنسي فما هو الا انفعال مؤقت، وارى انه يترفع عن الهجاء فلا طائـــل من الذم من شخص يستطيع ان يرد خصومه بما اوتي من قدرة وقوة، ولهذا نرى ان الهجاء لا يشكل غرضا مستقلا في دواوين الاندلسيين و بالاحرى يترفعـــون عـــن الهجاء لما فيه من سخرية واستهزاء فهم كانوا يؤثرون – على ما يبدو – ان تكـــون رسائل هجائهم الى خصومهم سيوفا او اسهاما وليس كلمات او قصائد.

---

(١) الديوان: ١١٤.

(٢) تؤم : جمع تومة و هي الدرة او حبة تعمل من الفضة كالدرة .

(٣) الديوان : ١٠٥.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول

بناء النص الشعري

اولا - بناء النص الشعري :

بناء المقطوعة:

لقد عرفنا في الفصل الثاني الفرق بين القصيدة والمقطوعة وتوصلنا الى ان المقطوعات قد غلبت على نسبة القصائد في الديوان، وهذه المقطوعات قد شاعت بكثرة في الشعر الاندلسي عموما وفي شعر الرصافي بوجه خاص، وان شاعرنا قد نظم عليها بنفس القوة التي نظم عليها القصائد، بل وتفوق في ذلك بشهادة الكتّاب والمؤرخين ومنهم عبد الواحد المراكشي، اذ عده ((من مجيدي الشعراء، لاسيما في المقاطع كالخمسة ابيات فما دونها))[١] . ويرى د. يوسف حسين بكار ان اسباب النظم في المقطوعات ثلاثى: فني، نفسي، شكلي. فاما الاول فيعود الى ان النظم في المقطعات ليبعد السامع عن الحشو والاطالة ويميل نحو الايجاز وتكثيف المعنى.

واما الثاني والثالث، فلأن المقطعات اسرع حفظا واعلق في النفوس من المطولات [٢] . اما موضوعاتها عند الشاعر فقد دارت حول المديح والغزل والوصف والرثاء والحنين والهجاء، فمقطوعته الغزلية تتحول فيها الابيات الى نغمات رائعة تنفذ الى القلوب والاسماع دون استئذان، مستخدما بعض الفنون

---

(١) **المعجب: ٣ : ٢٩٠.**

(٢) **ينظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣، ٢٤٤ - ٢٤٥.**

البلاغية التي غايتها اظهار الشيء وكشف الغموض عنه، وتكثيف المعنى واختصاره يقول:[١]

ومهفهف كالغصن الا انه سلب التثني النوم عن اثنائه

اضحى نام وقد تحبب خده عرقاً، فقلت: الورد رش بمائه

ومن الناحية الفنية، يرتكز الشاعر على التكثيف في المقطوعة وما تدل عليه من معاني الى بعض العناصر التي تساعد على تحقيق مضمون واكتمال المعنى ووضوحه، ففي المقطوعة الآتية في وصف صفار يقول:[٢]

يقولون لي يوما وقد مر ضاربا بمعوله ضرب المرجم بالغيب

تعلم حفارا فقلت : استعارها غداة رنا من صبغة العاشق الصب

يعود النحاس الاحمر التبر عسجدا بكفيه عند السبك والمد والضرب

فحمرته مشتقة من حيائه وحفرته مما يخاف من العتب[٣]

ففي هذه المقطوعة يعمد الرصافي البلنسي الى ابراز عنصر الحوار كمنهج اساس لاقامة بنية المقطوعة واظهار مراحل العمل في هذه المهنة ومن خلالها طرح الاوصاف الجمالية لصاحب المهنة.

بناء القصيدة :

للرصافي البلنسي قصائد تحتكم الى الناحية الفنية التي اشار اليها النقاد القدامى من استهلال القصائد بالمقدمة الطللية والغزلية وحسن التخلص والخاتمة، والبعض الاخر فيها دخول مباشر الى الفرض الذي يريده، وهي كثيرة عند الشاعر

---

(١) **الديوان: ٣٣.**

(٢) **الديوان : ٤٢، ٤٣.**

(٣) **العتب :**

يسعى فيها الى بيان غرضها بسرعة واقدام. فهي تبتعد عن المماطلة والتسويف اللذين تعاني منهما القصيدة ذات المقدمة.

والرثاء غرض لا يحتمل المقدمة وانما يدخل اليه مباشرة، من ذلك قوله:[١]

رمى الموت ان السهم صابا ومن يدمن على رمي اصابا

ويأتي مثل هذا النوع في قصائد المدح، فالشاعر يدخل الى القصيدة بحماسة شديدة منذ البيت الاول، كما في قوله يمدح ابا سعيد: [٢]

من عاند الحق لم يعضد برهان وللهدى حجة تعلو وسلطان

ما يظهر الله من آياته فعلى اتم حال وصنع الله اتقان

وقوله في مدح عبد المؤمن: [٣]

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور

فقد ولج الشاعر مباشرة غرض المدح واستمر في تعداد فضائل الممدوح، والحقيقة ان النقد القديم لا يحبذ مثل هذه المطالع حتى لو اجاد الشاعر فيها ومهما كان حسنها لأن: ((النفوس والاسماع اذا قرعها المديح دفعه من غير توطئة فانها تستعصيه ولا تستسهله))[٤]. ونحن نرى بأن ابتعاد الشاعر عن هذه المقدمات مرتبط بظرف الممدوح لانه ليس لديه الوقت الكافي لسماع هذه المقدمات لانشغاله بالدفاع عن الاندلس.

اما القصائد ذات المدخل غير المباشر، فهي القصائد التي تنقلت بين المطلع والمقدمة والتخلص والخاتمة. فلكل مفصل من هذه المفاصل دور في اكتمال البناء الفني للقصيدة يقول عنها القاضي الجرجاني ((والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين

---

(١) **الديوان : ٣٦.**

(٢) **نفسه: ١٢٧.**

(٣) **الديوان: ٨٧.**

(٤) **منهاج البلغاء:٣١٩.**

الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة، وانها المواقف التي تستعطف اسماع الحضور، وتستميلهم الى الاصغاء))[١].

١- المطالع :

تعد المطالع في القصيدة العربية تقليدا ادبيا سار عليه الشعراء القدامى ، وان الخروج عليه يعد عيبا في الشاعر فهو عامل يساعد الشاعر على تبوء مكانة مرموقة بين الشعراء، فضلا عن كونه عامل جذب للمتلقي تستأنس به نفسه، وربما المطلع هو اول ما يقرع اذن السامع، فينشىء له صورة، وتهتز نفسه، ويشعر بأريحية وبهجة، فيتشوق لما يأتي بعده [٢] وقد اشترط نقادنا الاوائل في المطالع (ان تكون العبارة حسنة جزلة، وان يكون المعنى شريفا تاما وان تكون الدلالة على المعنى واضحة، وان تكون الالفاظ الواقعة فيها لاسيما الاولى الواقعة في مقطع المصراع مستحسنة غير كريهة...)[٣] ، لذلك كانت مطالع الرصافي البلنسي فخمة جميلة تجذب الاسماع وتطرب القلوب والسبب في ذلك لتكون هذه المطالع محببة تجلب النشوة والسرور في نفس الممدوح مما يؤث ذلك في نفسيته فيتلذذ لسماع ما يأتي بعدها ، فمن مطالعه الجميلة، قوله[٤] مادحا:

الاجرع تحتله هند ... بندى النسيم ويأرج[٥] الرند[٦]

ويطيب واديه بموردها ... حتى ادعى في مائه الورد

نعم الخليط نصحت حانحتي ... بحديثه لو يبرد الوجد

ينحيك من فيه بعاطره ... لو فاه عنها المسك لم يعد

يا سعد قد طاب الحديث فرد ... منه اخا نجواك يا سعد

---

(١) **الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني (ت٣٩٢)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت ١٩٦٦، ٤٨.**

(٢) **ينظر العمدة : ١ : ٢١٧-٢١٨.**

(٣) **منهاج البلغاء : ٢٨٢.**

(٤) **الديوان: ٥٨.**

(٥) **يأرج : تتضوع رائحته.**

(٦) **الرند : شجر طيب الرائحة.**

وتستمر هذه المقدمة التي بلغت ثلاثة عشر بيتا بذكر حديث الهوى والغـرام مستعيرا لها الالفاظ الانيقة الرشيقة التي تسحر القلوب وتستميل الاسماع مما يوقـع في نفس الممدوح البهجة والشوق لما يأتي بعدها من أبيات.

ومن المقدمات الغزلية الجميلة قوله[1] في مدح ابن وهب:

خليلي ما ادري اذا ما اختل شملنا والقت بنا الدنيا لايدي النوى نهبا

اطي كتاب نودع الود بيننـــــــا على البعد، ام صدر النسيم اذا هبا

ولي عند شرقي الرياح لبانـــــة يقر بعين الغرب ان ترد الغربـــا

وفي موضوع الاخوانيات تظهر المقدمات والتي شكلت عنده نمطـا بنائيـا لهـذه القصائد، ففي الاعتذار جاءت مقدمة غزلية تحدث فيها عن الفراق والنأي بـين الـشاعر وصديقه، وكيف يتمنى ان تأتيه اللحظة المناسبة ليصل الى هذا الشخص المتعـذر منـه يقول:[2]

اتتني من تلك السجايا بنفحـــــة هززت لها في الحي عطفي من عجبي

وما ذاك الا ان عرف تحيـــــة نفضت بها مسكا على الشرق والغرب

تصدى بها الركب المغرب غدوة فقلت:أمن دارين مدلج الركـــــب

سينشق عن نور الوداد بها فمي فقد انبتت ما انبتت لك في قلبـــي

خلا ان حالاً لو قضت بتفرغي الى لازم من حج منزلك الرحـــب

يتبين لنا مما سبق ان المقدمات او المطالع تعتمد على الجانب النفسي للـشاعر وكـذلك للمتلقي (الممدوح) فربما يحتاج الشاعر الى مقدمة حسب الظرف الذي يمـر بـه ، وربمـا لا يحتاج اليها ، فيدخل مباشرة في الغرض الذي يريده فالموقف الذي عليه الممدوح هو الذي يتحكم ويسير الشاعر .وقد اجاد شاعرنا في استخدامه لهذه المقدمات، اذ جـاءت هـذه المقـدمات متوافقة مع ما تداخلها من اغراض في سبيل بناء قصيدة تنبض بالحياة والتجدد. متكاملـة الجوانب.

---

(1) **الديوان : ٣٣،٣٤.**

(2) **نفسه: ٤٠-٤١.**

حسن التخلص :

هو الانتقال بالكلام من غرض الى آخر داخل القصيدة الواحدة دون ان يترك فجوة في الكلام بين المقدمة والغرض الرئيس أي ((ان يأخذ المؤلف الكلام في معنى من المعاني، مبينا ما هو فيه، اذ اخذ معنى غيره وجعل الاول سببا اليه، فيكون بعضه آخذا برقاب بعضه، من غير ان يقطع كلامه ويستأنف آخره. بل يكون كلامه كأنما افرغ افراغا، وذلك مما يدلل على حذق الشاعر وقوة تصرفه))[١]. والشرط الذي وضعه النقاد العرب لحسن التخلص ان يسبق بمطلع او مقدمة غزلية او طللية ثم الدخول الى غرض المدح والا فقد حسن التخلص معناه ، يقول ابن حجه الحموي ((فاذا حصل التصريح بالمدح في المطلع الذي هو براعة الاستهلال لم يبق لحسن التخلص موقع فان حسن التخلص من شرطه ان يخلص الشاعر من الغزل الى المديح لا من المديح الى المديح))[٢].

وشاعرنا الرصافي البلنسي في حسن تخلصه في حسن تخلصه كان رشيقا عذبا اذ لا نرى اية حواجز بين المقدمة وحسن التخلص، وقد كانت له وسائله في هذا المجال مبتعدا عن الصيغ الجاهزة مثل ((فدع ذا، وسل الهم عنك بكذا))[٣]، ومن تلك التخلصات التي ابدع فيها الشاعر مدحه للوزير الوقشي (من الكامل) فبعد اثني عشر بيتا استغرقتها المقدمة خرج الى المدح بقوله:[٤]

من كل اروع حشو مغفرة ... وجه اغر وفاحم جعد

ذكر الوزير الوقشي لهم ... فاثارهم للقائه الود

---

(١) **المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الاثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق د. احمد الحوفي، د. بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت) : ٣٢ : ١٢١.**

(٢) **خزانة الادب، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، سوريا ، ١٣٠٤هـ : ١٦٠. وينظر العمدة: ١ : ٢٣٩.**

(٣) **تذوق الفن الشعري في الموروث النقدي والبلاغي: د. حسن البنداري، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م : ١٢٢.**

(٤) **الديوان : ٥٩.**

ومن حسن تخلصه قوله في قصيدة يمدح فيها ابن وهب (من الطويل) ينتقل من المقدمة التي احتوت على اربعة ابيات الى قوله: [١]

يحيي بها عني ابن وهب مصافحا كما صافحت ريح الصبا غصنا رطبا

فالشاعر انتقل في هذا البيت من ذكر الفراق والبعد عن الاحباب ودخل الى المدح دون ان يحس المتلقي بوجود حاجز بين الغرضين، فمن خلال اداء السلام وصل الى حسن التخلص فوجه تحيته الى هذا الممدوح.

ومن مخالصه الحسنة في الرثاء قوله: [٢]

ايا عبد الاله نداء بأس وهل ارجو لدى رمس جوابا

فالشاعر قد تخلص بعد اثني عشر بيتا من ذكر الموت وفلسفته التي لا مناص منها والتي جعلت من حياته جحيما لا يطاق لأن الحزن قد خيم على مجرى حياته وبعدها ذكر شيئا من العلوم النافعة التي اشتغل فيها بالدنيا والتي منحته هذه الغنيمة والفوز في الآخرة ومن ثم يخلص الى ان هذا الشخص الذي يدعى عبدالله.

الخواتيم :

لقد اهتم الشعراء ومنهم شاعرنا الرصافي البلنسي بالاعتناء كثيرا في صياغة خواتيم قصائدهم لانها آخر شيء يقلق في النفوس، فمن الطبيعي ان تكون ((خاتمة الكلام ابقى في السمع والصق بالنفس لقرب العهد بها، فان حسنت حسن، وان قبحت قبح))[٣]. ومن خلال استقرائنا لقصائد الشاعر وجدنا معظم قصائده المدحية وغير المدحية انتهت بخواتيم جميلة وان خلا بعضها من المقدمة التقليدية.

---

(١) **العمدة : ٣٤.**

(٢) **نفسه : ٣٧.**

(٣) **العمدة : ١ : ٢١٧.**

ومنها خواتيمه الحسنة اهداء قصائده المحكمة للممدوح في قوله:[١]

سورا من الاقداح محكمة من آبهن الشكر والحمد

ولعل ما يخفى وراء فمي من وده اضعاف ما يبدو

فهو فضلا عن اهداء هذه القصائد الى الممدوح فلا تفي بعطاء الممدوح وكرمه ففي اهدائها الى الممدوح فانما يشكره ويثني عليه، وهو بعد الثناء يكن له المودة والحب. ومن خواتيمه الجميلة في الاخوانيات اسداء النصح في قوله : [٢]

صون الفتى وجهه ابقى لهمته والرزق جار على حد ومقدار

قنعت امتد مالي فالسماء يدي ونجمها درهمي والشمس ديناري

ثانيا – اللغة :

من ابديهي ان نجاح أي شاعر او تفوقه يتوقف على قدرته في استخدام مفردات اللغة وتطويعها لما يريد، لأنها الوسيلة التي تمكن الشاعر من تأدية معانيه بطرق مختلفة عما في الفنون الاخرى [٣]، فهي التي تحدد مكانة الشاعر ووضعه في مكانه الصحيح لأن دراسة اللغة ذات اهمية غير عادية من اجل دراسة الشعر))[٤]فلكل عمل شعري، نسيج لغوي خاص به يستخدم الالفاظ استخداما خاصا من الشاعر تتفاعل معه تجربته الروحية وتتكاثف في انجازها قدراته الفنية وفلسفته في استخدام اللغة بما يكشف عن روح التجديد وقوة الشاعرية، وقابليتها على تشكيل

---

(١) **الديوان : ٦٢.**

(٢) **نفسه : ٩٩.**

(٣) **لغة الشعر بين جيلين: د. ابراهيم السامرائي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٠، : ١٠.**

(٤) **نظرية الادب : رينيه ويلك، ترجمة محي الدين صبحي، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية، مطبعة خالد الطريشي، دمشق، ط٣، ١٩٦٢، ٢٢٥.**

هذا النسيج الفني اللغوي[١]، وعلى هذا الاساس فان للقصيدة نمطا بنائيا يباشره الشاعر من جهتين، جهة اللفظ وجهة التراكيب وفي كلتا الحالتين لابد ان يكون الشاعر حاذقا في تعامله مع اللفظ مما يؤدي الى استثمار كل دلالاته وما يمكن ان يحضر في النفس من ايحاءات لها دلالتها الخاصة على واقع الشاعر النفسي، وما تعج به نفسه من مشاعر وأحاسيس[٢].

وشاعرنا الرصافي البلنسي من شعراء الأندلس الذين تأثروا بـ(وفرة الخير في بلادهم ونعومة العيش بها، فقد طبعهم ذلك على الرقة واللين في اللفظ وعودهم تناول المعنى من قريب دون تعمق او غوص لما في ذلك من مشقة وعناء تعجز عنها الأعصاب المترفة الناعمة))[٣]، لكن المتأمل للغة الرصافي في المديح يجد الفخامة والجزالة والتأثر بلغة الشعراء العرب المشارقة، وتكاد تقترب من لغة أعلام الشعر العربي كأبي تمام والبحتري والمتنبي وابن الرومي ممن عرفوا بشاعريتهم وقوة لغتهم، ودليل ذلك ان القارىء لشعره يحتاج في بعض الاحيان الى مراجعة المعاجم اللغوية التي تعينه على معرفة المعاني بعض الألفاظ على الرغم من وجود الفاظ واضحة جلية بعيدة عن الغموض والتعقيد، وهذا متأت من تأثير البيئة فيه.

ولغته منبثقة من جو العصر وسمته وذوقه الحضاري الذي يميل الى السهولة في التعبير مبتعداً عن الغريب والحوشي والمعقد من الالفاظ، فضلاً عن امتلاكه ثروة هائلة من المفردات اللغوية مكنته من منافسة أكابر شعراء عصره، وقد وقف الدارسون لهذا الشاعر عند لغته طويلا، فهذا احسان عباس جامع ديوانه يقول ((وهو اقرب في نسجه العام الى الأعمى التطيلي – شيخ الشعر الجزل في وقته – الا ان رقته تغلب عليه فيقف موقفا وسطا بين الأعمى وابن الزقاق))[٤].

---

(١) **مجلة كلية الاداب، العدد (٢٥٦) عنوان البحث(لغة الشعر عند الالبيري) د. نافع محمود خلف : ٢٠١ : ٢٣٥.**

(٢) **ينظر النقد الادبي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٢، ص ١٢٩.**

(٣) **قصة الادب في الاندلس : ١ : ٢٥١.**

(٤) **مقدمة الديوان : ٢٤ - ٢٥.**

وتتميز لغة الشاعر بالسير على الطابع القديم، فلم يدخل لغته اللحن والعجمة مما يدلل على صفاء سليقته اللغوية. وهذا يعني حرص الشاعر على المحافظة على لغته العربية فابتعد عن كل دخيل وشاذ في الفاظها، مما يؤكد تمسك الاندلسيين بلغتهم العربية والثقافة الاسلامية تمسكا وجدانيا ومصيرياً قدموا فيها كل ما هو جميل ورائع على خلاف ما يرى المستشرق الفرنسي (بروفنسال) بان الشعب الاندلسي قد فقد سليقته اللغوية العربية الصحيحة [1]، وهذا الرأي يبتعد كثيرا عن الحقيقة ونشعر بأنه يريد من وراء ذلك ان يطمس معالم الشخصية الاندلسية الاسلامية لأن هذا الشعب بقي محافظا على لغته العربية وسليقته الى نهاية الدولة العربية في الاندلس ، على الرغم من تسرب بعض المفردات الشعبية الى اللغة العربية من عامة اهل الاندلس والتي تسمى (بالرطينية) وهي اللاتينية السائدة ولاسيما في عهد الطوائف حيث بلغت اوجها في هذه الفترة لوجود طبقة من المجتمع الهجيني الذي يضم اجناس مختلفة والتزاوج الكثير الذي حدث بين العرب والاسبان والا ما معنى القاب الشعراء المشارقة تطلق على شعراء الاندلس كابن رومي الاندلس على الرصافي البلنسي ومتنبي الاندلس على ابن هانىء وغيرهم كثير فلو لم تكن سليقة هؤلاء الشعراء صحيحة لم تطلق هذه الالقاب، فضلا عن لغتهم وما تتميز به من أصالة قد تضاهي لغة العرب المشارقة ، وبما ان الشعر هو ((فن اللغة))[2] كما قال فاليري، فاننا نجد الرصافي قد وظف اللغة في شعره خير توظيف وزاد عليها من وحي تجربته الذاتية مما جعلها اداة طيعة يستخدمها متى يشاء ، لأن الحس اللغوي قد وجد صداه في نفسه الشاعرة سواء على صعيد المفردة اللغوية او بناء الجملة الشعرية فضلا عن تجربته الغنية وخياله الواسع وعاطفته المتوقدة التي اعطت له ايحاءات كثيرة جعلته يسمو بلغته الى فضاءات واسعة ويحولها من عبارات والفاظ جامدة الى عبارات تفيض بالحياة والتجدد .

لذلك كانت الفاظ الرصافي البلنسي ولغته سهلة عذبة، رصينة، تنأى عن الغريب والمستكره.

---

(1) **ينظر سلسلة محاضرات عامة في ادب الاندلس وتاريخها : ترجمة محمد عبدالهادي شعيرة، وعبدالحميد العبادي بك : ٢٢.**

(2) **النظرية البنائية في النقد الادبي: ترجمة صلاح فضل، بغداد،دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، ١٩٨٧ : ٣٤٧.**

فلغة المديح كانت من الجزالة والقوة والرصانة. ما تناسب مكانة الممدوح ومنزلته، وتحاكي افعاله، وفضائله. ومن الامثلة على ذلك الابيات التي يخاطب فيها عبد المؤمن بن علي [١]:

وحيث قامت قناة الدين ترفل في لواء نصر على البرين منشور

في كف منشمر البردين ذي ورع على التقى وصفاء النفس مفطور

يلقاك في حال غيب من سريرته بعالم القدس مشهور ومحضور

فالالفاظ (ترفل ، منشمر ، البردين ، مفطور، سريرة، القدس) ذات رصانة وشدة، اضفت على الابيات جزالة واضحة تتناسب ومقام الممدوح.

ومنها الابيات التي قالها [٢] في مدح احد الموحدين:

رفعنا نحو مراكم عيونا لهن دوينكم نظر كسير

فكاد يصدنا عن مجتلاه رقيب من مهابتكم غيور

فيا صفحاته زيدي انبلاجا كما يعلو الصباح المستنير

فالالفاظ (مجتلى، مهابه، انبلاج) من الالفاظ الرصينة التي تدل على قدرة الشاعر في اختيار الالفاظ التي تناسب مقام الممدوح ومنزلته العالية في نفس الشاعر التي بدت متصاغرة امام سلطان الملك وجلالة شأنه وتبرز مقدرته اللغوية في انتقاء الالفاظ العذبة الموحية التي تحاكي افعاله، وفضائله في مدحه لابي عبد الله محمد بن عبدالملك بن سعيد بقوله[٣]:

رجل الزمان حزامة وشهامة وسرية حسبا اغر ومحتدا

شهم على رأس الدهاء مخلق لو شاء افرد من اخيه الفرقدا

---

(١) **الديوان** : ٨٢.

(٢) **نفسه** : ٨١.

(٣) **الديوان** : ٥٤ ، ٥٥.

يستهدف المستقبلات بظنه فيكاد يصمي اليوم ما يرمي غدا

ويسابق الرأي المصيب بعزمه كالسهم لا كسلا ولا متبلدا

فالالفاظ ((حزامة ، شهامة، اغر، محيد، رأس الدهاء، يصمي، العزم) تـــدل على عظم المزايا التي يمتاز هذا القائد فضلا عن جزالتها وقوتها، الا ان لغة الشاعر قد تميل الى البساطة والسهولة في بعض الاحيان، كقوله يمدح الوزير الوقشي: [١]

رجل اذا اعرض الرجال له كثر العديد واعوز اند

من معشر نجم الملك بهم زهرا كما يتناسق العقد

لبسوا الوزارة معلمين بها ومع الصنائف يحسن البرد

مستأنفين قديم مجدهم ببني الحقبد كما بنى الجد

فالالفاظ (اعرض ، اعوز ، الند ، نجم العلا، العقد، معلمين) كلها الفاظ سهلة، توافق مديح شخصية هي اقرب الى حياة النـــاس ومجـــتمعهم كشخـــصية الـــوزير الوقشي.

غير اننا لا ننفي وجود الفاظ تتسم بالتعقيد والتكلف كقوله [٢] في نهاية قصيدة مدح الوزير الوقشي:

والامر اشهر في فضائله ما ان يلبسها لك البعد

هيهات يذهب عنك موضعه هطل الغمام وجلجل الرعد

اعربت عن مكنون سؤدده ما تعجم الورقاء اذ تشدو

فالالفاظ (يلبس ، جلجل، تعجم) الفاظ توحي بصفة كلاميـــة بمـــا لا يحـــسن استعمالها في غرض المديح.

---

(١) **نفسه** : ٦٠.

(٢) **الديوان** : ٦٢.

المعجم الشعري :

لقد كان للمعجم الشعري القديم صدى كبيرا في لغة الشاعر الاندلسي الرصافي البلنسي، لأنه يتصل ((على وجه عام بلغة العصور جميعا))[١] ، وهو ايضا مصدرا مهما من مصادر ثقافة الشاعر، فلابد ان تطبع نتاجه الفني بطابع ادواته الفنية والاسلوبية.

وبما ان اللغة تخضع لقوانين التطور فقد يتبع ذلك اختفاء الفاظ معينة والاستعاضة عنها بالفاظ تلائم طبيعة العصر، لأن اللغة تابعة في اطوارها الى أطوار اهلها المتكلمين وتتلائم مع بيئتهم وعصرهم، وحاجاتهم، الا ان ذلك يجري في ميدان لغوي واحد يتمسك بمقومات اللغة الام ولا يفرط بها، مما يؤدي الى بقاء بصمات التراث اللغوي شاخصة فيما يلي من اجيال ويظهر من اساليب كلام))[٢].

غير ان مقدرة الشاعر تبقى مرهونة ببراعته في تصريف الالفاظ وحسن تنسيقها، لأن اللفظة هي اللبنة الاساسية التي تدخل في بناء القصيدة الشعرية، فاللفظة تكون معبرة عن احاسيس الشاعر وانفعالاته، تردد ما يجول في اعماق نفسه من خلال البنية اللغوية والتصورية والايقاعية [٣]، أي اقتناص اللفظة المناسبة ليس بالامر الميسور، وانما تأتي دوافع التجربة الشعورية في مكنونات نفسه التي تختارها وتعتمدها وتطمئن عليها بعد ان تكون قد غاصت في هذا الكم الهائل من الالفاظ، وهذه العملية هي اصعب ما تواجه الشاعر لأن عليه ان يختار اللفظة المناسبة التي تجد صداها عند المتلقي وعليه ان يغوص فيها حقيقة لا مجازاً حتى يشكل اللائق المناسب منها في الصور المنشودة في الوقت المناسب. وذلك لأن اللفظ لا يحمل

---

(١) **الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، اليزابيث درو، ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت، منشورات دار اليقظة العربية، ١٩٦٣ : ٨٧.**

(٢) **لغة الشعر عند الاليري، د. نافع محمود خلف، مجلة كلية الاداب : ٢٣٦.**

(٣) **ينظر رماد الشعر، عبدالكريم راضي جعفر ، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٨ : ١٢٩.**

معناه الحرفي (المعجمي) بل يحمل هالة عظيمة من المترادفات والمتجانسات، والكلمة لا تكفي ان يكون لها معنى لغوي فقط، بل تثير معاني كلمات تتصل بها بالصوت او بالمعنى او الاشتقاق او حتى كلمات تعارضها او تنفيها[1]. فالشاعر الحاذق هو الذي يستطيع ان يصوغ من اللفظة ما يشاء وان يمنحها حرارة الشعر. فليست اللفظة ذاتها هي التي تحمل قيمة الشعر، وانما هو السياق الذي يكسبها هذه الحلة، ((والشعر الرائع الخالد عادة هو الذي يكسب الفاظه قوة وتألقا))[2] ،

وفي محاولتنا لتطبيق الآراء النقدية السابقة وجدنا ان الرصافي البلنسي استطاع تطويع اللغة الشعرية تطويعا رائعا جعلته يقف في مصاف الشعراء المرموقين في الاندلس، فجاءت هذه اللغة معبرة عن خلجات نفسه ، فكانت مؤشرات تكشف عن مصادر لغته التي رسخت في القديم من الشعر العربي، مما يوحي لقارىء شعر الرصافي الرفاء بانه احيائي في لغته اتباعي لأساليب التعبير الشعري، لما يتوفر في شعره من مادة لغوية اصولها نابعة من الشعر العربي القديم والموروث الأدبي الزاهر.

اولاً - الفاظ الطبيعة: لقد كان لطبيعة الاندلس اثرا شديدا في نفس شاعرنا الرصافي البلنسي، فلم يتوقف استخدامه في وصف طبيعة الاندلس فحسب وانما راح يستخدمها في موضوعات متنوعة، فكثيرا ما وجدنا في شعره الفاظ الطبيعة مثل : زهر، اقحوان، ساق، مسك، الاصيل، نجم، ضوء، برق، عرار، نار، جيل، الغيم، ممطور، الجو، الايام، الارض، البحر، الشمس، الرياض، الآس، الروض، الرياح، النهر، الاراك، الدعص، الري، الكون، ماء، خليج، الفجر، الربيع، الربوع، لوز، الليل، النرجس، النسيم، جدول، الآفاق، هلال، النسر، طاووس، قزح، المزن، طائر، الهديل، غصن، ...الخ).

---

١ نظرية الادب : ٢٢٥.

(٢) لغة الشعر عند الاليري : ٢٣٧.

ان ترديد بعض الالفاظ في سياق شعره، تشير الى حالة نفسية تسكن الشاعر فدلالة الجيل عنده تعني العظمة والقوة والسمو والكرم: [١]

لله ما جبل الفتحين من جبل معظم القدر في الاجيال مذكور

من شامخ الانف في سحنائه طلس له من الغيم جيب غير مزرور

معبرا بذراه عن ذرى ملك مستمطر الكف والاكناف ممطور

اما مدلول الشمس عند الشاعر فتارة تدل على الصفاء الذي لا يشوبه شيء، كقوله: [٢]

وعشي رائق منظره قد قصرناه على صرف الشمول

وكأن الشمس في اثنائه الصمت بالارض خدا للنزول

وتارة اخرى تدل على السيطرة والقوة والمنعة، يقول: [٣]

فان يكن بيد المهدي قائمه فموضع الحد منه حد مشهور

والشمس ان ذكرت موسى فما نسيت فتاه يوشع قماع الجبابير

والبحر في نظر الشاعر له دلالات عديدة، فهو رمز للخطر والمغامرة، ففي موجه المتلاطم تتجلى صورة الموت: [٤]

ركبت لها بحر الزقاق تعمدا وللفلك بين العدوتين تباري

بحيث التقى البحران والموت عازم يساورنا من يمنه ويسار

ويدل كذلك على الكرم والجود ولكن هذا الممدوح في فاق وتجاوز البحر في شدة كرمه: [٥]

---

(١) **الديوان : ٩٢.**

(٢) **نفسه : ١١٨.**

(٣) **نفسه : ٩٦ ، ٩٧.**

(٤) **نفسه : ١٠١.**

(٥) **نفسه : ٨٣.**

فتى من قيس عيلان تلاقى على سيمائه كرم ونور

تضيء به البلاد اذا تجلى وتغرق في مكارمه البحور

وهو رمز للمرارة والملوحة: [1]

خفضتم للمعالي نحو اندلس اعنة السابحين: الفلك والفرس

واخجله البحر ان لم يحل مشربه وان غدا عنبري اللون والنفس

ويعبر الشاعر عن حياة النقاء، فيتعلق بخيوط النور التي تشكل عنده اساساً مهما تدور حوله هالة من صوره، ويستخدم من تلك المشتقات والمرادفات والمعاني ما كان ذا دلالة مادية ومعنوية، بحيث توحي تلك الدلالات بمعاني روحانية ونفسية وجمالية في آن واحد مثل النجم، أزهر، كوكب، يقول: [2]

سراء شب بها الزمان الاشيب وسماء مجد زيد منها كوكب

وعلو منزلة تشاد بأزهر كالنجم الا انه لا يغرب

فبالرغم من دلالة الالفاظ على النور ومظاهره، فنحن نراها تدل دلالة نفسية على سمو المكانة وعلى البهجة والجمال.

فلفظ ((الغمام)) عند الرصافي تأتي للتعبير عن صفة كرم الممدوح، يقول[3] في مدح ابن منصور الموحدي:

واقول ان انا لم افه بثنائكم ضاعت لكم عندي يد وذمام

اما انا ويد ابن منصور معا فكما يقال خميلة وغمام

فهذه المقارنة اللطيفة بين الشاعر وابن منصور جعلته يختار لفظة ((الغمام)) للدلالة على كرم الممدوح وكثرة عطائه.

---

(1) **الديوان: ١٠١.**

(2) **نفسه : ٣٩، ٤٠.**

(3) **نفسه : ١١٩، ١٢٠.**

ثانياً - الفاظ الحب :

استخدم الشاعر الالفاظ المتعلقة بالحب ليعبر عن تجربته الشعورية والعاطفية وكانت هذه اللغة سهلة رصينة يحاول الشاعر فيها ان يخاطب سلطان الحب، ويحاور قلوب العشاق. مما دفعه الى تزويق لغته، والبحث عن الفاظ تعينه على جعل قصيدته متماسكة ذات معاني موحدة، ولذلك جاءت الفاظ الغزل القديمة في شعره، وهي (الحبيب، مهفهف، مسك اللمى، ورد الخدود، در الثنايا، ريم انس، هائم، عاشق، العناق، فؤاد، الصب، ذاب، الشوق، اغيد، مياس، الصبا، الادلال، الصبابه، الهوى، قضيب البان، ربرب...الخ) .

لقد لجأ شاعرنا الرصافي البلنسي الى المفردات القاموسية والمشاهد الصحراوية والمعاني البدوية، سعيا منه في اللحاق بركب المشارقة رغم بعد الشقة بينه وبينهم، ففي احدى مقدماته الغزلية نجد النفس الشعري القديم شاخصا بوضوح.[١]

الاجرع[٢] تحتله هند — بندى النسيم ويأرج[٣] الرند[٤]

ويطيب واديه بموردها — حتى ادعى في مائه الورد

نعم الخليط نضحت جانحتي — بحديثه لو يبرد الوجد

وقوله: [٥]

ذكر يمر على الفؤاد كما — يوحي اليك بسقطه الزند

وكذلك قوله: [١]

---

(١) **الديوان : ٥٨.**

(٢) **الاجرع: ارض ذات حزونه تشاكل الرمل.**

(٣) **يأرج : تفوح منه الرائحة.**

(٤) **الرند : شجر طيب الرائحة.**

(٥) **نفسه: ٥٩.**

وخيامهم ايام مضربها سقط اللوى وكثيبه الفرد

ونجده في مقطوعاته الغزلية يكاد يذوب رقة، اذا تنساب العذوبة والشفافية من بين الفاظه، فيقول:[٢]

نشوان ما فوق الكثيب مهفهف [٣] تثنيه في روض الشباب رياحه

ليل كلمته لو ان ظلامـــــــــه ينشق عن ديجوره[٤] اصباحـــــه

هبني اقول لهم جنى متعمـــــــدا [قتلي] فأين دمي واين سلاحه ؟

ثالثاً- الفاظ الحزن:

قد يستخدم الشاعر الفاظا ذات دلالات تشير الى الحالة النفسية القلقة الحزينة التي تسكن الشاعر يعبر بها عن انفعالاته ومشاعره. ومن هذه الالفـــاظ (المـــوت، تصرم، نيران، فقد، منايا، يأس، أسى، قبح، أكابد، انتحاب، سهاد، اتقاد، انـــسكاب، رمس، يسوء، بكاء، سأم، دموع، أسف، قتل، جراح، دم، الحمام، غابر، ثكلا، جداد، الفناء، البلى، نعش، جثمان، الرزايا، ظلمه، الردى...الخ).

والشاعر في استعماله لتلك الالفاظ، فانه يعبر عن حالة الحزن التـــي تـــسكن وجدانه المعذب، يقول: [٥]

ما زلت تنعشها بسيبك[٦] قابضا منها على الاضباع والاعضاد

---

(١) الديوان : ٥٩ .

(٢) نفسه: ٥١.

(٣) المهفهف : الظامر البطن .

(٤) الديجور : المظلم او الليل .

(٥) الديوان: ٦٥-٦٦.

(٦) بسيبك : العطاء والكرم .

حتى اراك ابا محمد الردى كيف انهداد بواذخ الاطواد[١]

فدلالات هذه الالفاظ تصور لحظات شعرية حزينة تعشش في مخيلة ووجدان الشاعر الذي يتجرع الم الفراق وقوله:[٢]

يسوء العين ان يعتن[٣] ردم[٤] من الغبراء بينكما حجابا
وان تحتلها غبراء ضنكا كما يستودع السيف القرابا

ان هذه الالفاظ قد ساعدت على اشاعة جو الحزن والكآبة، لارتكازها على احساس الشاعر بفقدان هذا الشخص العزيز على قلبه، والنظر الى الحياة بمنظار قاتم حزين.

---

(١) **الطود الباذخ : الجبل العالي.**

(٢) **الديوان : ٣٨.**

(٣) **يعتن : يعترض .**

(٤) **الردم : القبر.**

ثانياً - الاسلوب :

الاسلوب : ((هو المظهر المادي لانتاج الاديب، والصلة بينه وبين المخاطبين، او هو طريقة التكلم الخاصة في نقل افكاره الى الناس، وصوغها في جمل وعبارات روعي فيها تحقيق ما ينبغي في صياغة الصور والخيالات الجزئية كما روعي فيها تنظيم اجزاء الموضوع وحسن تنسيقها))[١]. اذاً فالاسلوب هو الطريقة التي يتبعها الشاعر في النظم، من هنا كان اسلوب الرصافي البلنسي شأنه شأن الشعراء الاندلسيين الذين عاصروه، ((يعتمدون في هذا الفن على اختيار الالفاظ الجزلة غالبا، والعبارات القوية))[٢]. ونحن نرى بأن اسلوب الرصافي البلنسي يندرج تحت الاسلوب السهل الممتع فيمزج السهولة بالتصنع مع السلاسة الواضحة في اسلوبه ورقته وعذوبة الفاظه، وقد يميل اسلوبه في بعض الاحيان الى التكلف في استعمال تشبيهاته واستعاراته وصوره، وهذا ما لمسناه في وصفه اذ اخضع اشعاره لرؤية شعرية تخدم فنه الشعري وليس ذلك غريبا لأن أي شاعر ((في كل جزء من اجزاء القصيدة يقع تحت قبضة رؤياه الشعرية، ويخضع الى نمط اسلوبي معين يمارس من خلال المنهج الذي اصبح يسلكه حتى اصبح بامكان الباحث ان يحدد هذه الرؤية ويحدد النمط الاسلوبي، ويحدد القالب الشعري المستخدم في رسم جوانب هذه الاجزاء عند كل شاعر))[٣]، واسلوب شاعرنا لم يكن واحدا في الموضوعات الشعرية جميعها ، وهو امر استحسنه القاضي الجرجاني (ت٣٩٢)، اذ قال ((اولا: آمرك بأجزاء انواع الشعر كله مجرىً واحداً، ولا تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل ارى لك ان تقسم الالفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك

---

(١) **النقد الادبي عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري، د. محمد طاهر درويش، دار المعارف، مصر ١٩٧٩، ٢٣٧.**

(٢) **الادب العربي في الاندلس، علي محمد سلامه، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٩، ٢٠٠.**

(٣) **وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، د. نوري محمود القيسي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٧٤م : ٤٢.**

كوعيدك، ولا هجاؤك كأستبطائك، ولا هذلك بمنزلة جدك... بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه))[١].

وشاع في شعر الرصافي البلنسي عددا من الاساليب الانشائية وسنحاول فيما يأتي تقديم اهم هذه الاساليب ونبين الاسباب الداعية لها وفائدتها بالنسبة للنص الشعري.

١ - الاستفهام :

((هو طلب الفهم))[٢] او هو طب العلم بالشيء اذا كان مجهولا وقت الاستفهام عنه [٣] ، يميل اليه الشاعر لينوع لغته الشعرية عن طريق التغيير الحاصل في بنية الجملة الشعرية لينأى عن الرتابة المصطنعة والتقليدية. ولعل هذا الاسلوب من اكثر الاساليب وقوعا في الشعر، وذلك لتعدد ادواته، ومن ثم كثرة وظائف هذه الادوات من جهة، وخروج هذه الادوات الى معاني مجازية مختلفة من جهة اخرى. ويتم ذلك اما بحرفي الاستفهام ((هل)) و ((الهمزة)) او بأسماء الاستفهام وهي ((كيف)) و ((كم)) و ((ما))... الخ.

وقد استمال هذا الاسلوب شاعرنا الرصافي فراح يكثر من استعماله، اذ كررت الهمزة في ثنايا شعره اربع عشرة مرة وتأتي للتصديق والتصور[٤]، ومن ذلك قوله:

---

(١) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٧.

(٢) التخليص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط١، ١٩٠٤، حاشية : ١٥٣.

(٣) ينظر: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي، مطبعة الاعتماد، مصر، ط١٠، ١٩٤٠ : ٨٩.

(٤) ينظر الايضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة (د.ت) ١ : ١٣١-١٣٢.

اطي كتاب نودع الود بيننا على البعد، ام صدر النسيم اذاهبا

فقد اورد الشاعر ((همزة الاستفهام في صدر البيت ليوضح خصيصة من خصائص هذا الحرف وهي صدارتها في الكلام ثم ورد بعد ذلك ((ام المعادلة)) في عجز البيت ليخرج الاستفهام الى التصور . وربما لجأ الشاعر الى حذف همزة الاستفهام من الجملة الشعرية لينأى عن كون الكلام مستثقلا مستكرها ودل على ذلك بايراد ((ام المعادلة)) التي ترد في سياق الهمزة عندما يكون الاستفهام للتصور،يقول:[١]

فتى لم يكن حلو الصفات من الندى ولم يتنأس الجود اعدم ام اثرى

والتقدير ((الجود اعدم ام اثرى)).

ويأتي بعد مرتبة الهمزة (هل) وقد استعملها الشاعر اثنتا عشرة مرة وتأتي للتصديق فقط[٢] من ذلك قوله: [٣]

هل الرياح مع الآصال ماسحة معاطف الهدف[٤] الممطور ذي الحدب[٥]

وهل بفر الليالي من معرجة على المسيلة من ليلاتها النخب

وهل صبيحات ايام سلفن بها يبدو مساها ولو لمحا لمرتقب

فتكرار (هل) في صدر الابيات الثلاثة، نراه يعطي للابيات بعدا جماليا لأن الشاعر لا يفتر في حنينه وسؤاله للوطن والارض.

---

(١) الديوان: ٧٢.

(٢) ينظر الايضاح في علوم البلاغة، ص١٣١. وينظر كذلك جواهر البلاغة: ٩٢.

(٣) الديوان : ٤٧.

(٤) الهدف : المشرف من الارض.

(٥) الحدب : الغلظ من الارض في ارتفاع .

ومما يدلل على ابداع الشاعر وحسن تصرفه في اساليب اللغة هو الجمع بين (هل) والهمزة في بيت واحد، يقول: [١]

ابوهم ان الدمع بل حفونه وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

ففي صدر البيت رسم الشاعر صورة البكاء الكاذب بواسطة همزة الاستفهام، وفي عجزه رسم صورة الخمر وهو يعصر من وردة النرجس وهو محال، وتم له ذلك بواسطة (هل الاستفهامية) والجامع بين الصورتين هو (انعدام الصدق) وهو استفهام انكاري.

ومن المواضع التي اخطأ الشاعر فيها في استخدام هل قوله[٢]:

هل العلا بك بعدها من نهضة ام لا نقضاء نواك من ميعاد

فقد جمع الشاعر بين اهل (ام) وهو غير جائز لان ام حينئذ تكون بمعنى بل [٣] ، ويأتي بعد حروف الاستفهام (اسماء الاستفهام) او من الاسماء التي ترددت كثيرا في شعره هي ((كيف)) وهن اسم استفهام يسأل بها الحال[٤]. وقد استعملها الشاعر ثماني مرات، من ذلك قوله: [٥]

وكيف [به] وباع القول فيها وان طالت مسافته قصير

فقد استعمل كيف في صدر البيت ليبين بها حالة الممدوح وعلو منزلته.

ومن استعمالات الشاعر الرائعة لـ (كيف) في موضع الاسى والحزن قوله: [٦]

---

(١) **الديوان : ٨٠.**

(٢) **الديوان : ٦٥.**

(٣) **جواهر البلاغة : ٩٣.**

(٤) **المصدر نفسه : ٩٣.**

(٥) **الديوان : ٨١.**

(٦) **الديوان : ٦٦.**

كيف العزاء وانها لرزية خرج الاسى عن المعتاد

لك من دمي ما شبت غير منهنه كيف انسكابك يا ابا الجواد

فالشاعر استعمل اداة الاستفهام في السؤال عن حالته البائسة التي خيم عليها الحزن الشديد .

وتأتي بعد ذلك ((ما الاستفهامية)) التي يستفهم بها عن الافراد غير العقلاء[١]، وقد تكررت في شعر الرصافي البلنسي سبع مرات ومنه قوله: [٢]

وما معنى الحياة بلا شباب سواء مات في القلب وشابا

وقد يميل الشاعر الى حذف ((الالف)) من (ما الاستفهامية) تخفيفا عند دخول حرف الجر عليها، والحذف في الشعر يلجأ اليه الشعراء الكبار الذين يمتلكون ثقافة لغوية واسعة تمكنهم من ذلك وشاعرنا واحدا منهم: [٣]

الام اشب من نيران قلبي عليك لكل قافية شهابا

ويصل بنا المطاف الى ((كم الاستفهامية)) التي تدل على العدد[٤]، وقد تكررت في شعره ست مرات:

كم بين شطيك من ري لجانحة ذابت عليك صدى يا وادي العسل[٥]

وبواسطة ((كم الاستفهامية)) يحدد الشاعر نوع الاحساس والرابطة التي تربطه بالاصدقاء الا وهي رابطة صداقة العهد القديم حينما يتذكر مواطن الصبا:

---

(١) **ينظر : جواهر البلاغة : ٩٥.**

(٢) **الديوان: ٣٧، وينظر كذلك : ٤٠، ٤٤، ٩٨، ١١٠، ١١٩.**

(٣) **الديوان : ٣٦.**

(٤) **ينظر جواهر البلاغة : ٩٧.**

(٥) **الديوان : ١١٩.**

الى كم ابا بكر نحوم بأنفس ظماء الى عهد الاجيرع او حمص[1]

ويستخدم الشاعر هذه الاداة في موضع الغزل بقوله: [2]

وكم جهد النسيم به ليحسنها فما قدرا

ومن اللفتات ارائعة في استعمال (كم الاستفهامية) في المديح قوله: [3]

كم بيداء قد جاوزتموها فلاذ بظلكم فيها الهجير

نحن نرى ان استعمال الاستفهام (كم) قد زاد من دلالة البيت الشعري على المعنى وهو اظهار شجاعة الممدوح واقدامه.

٢- اسلوب التقديم والتأخير :

هو تغير سياق تركيب الجملة الشعرية عن طريق خرق قواعد اللغة والخروج بصياغة جديدة تنم عن نضج الابداع لدى الشاعر وسعة تجربته. فيقدم ما حقه التأخير، او يؤخر ما حقه التقديم، ليضفي جمالا ورونقا على اشعاره، وقد نال هذا الاسلوب ثناء نقادنا القدامى ومنهم عبدالقادر الجرجاني حينما قال ((وباب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك الى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك، ان قدم فيه شيء، وحوّل اللفظ من مكان الى مكان))[4]، لكن سواء استخدم هذا الاسلوب بالشكل الصحيح قد يجر النص الشعري نحو الانغلاق فيغدو عبئا ثقيلا تنوء به القصيدة، وقد حدد ابن رشيق استخدام هذا الاسلوب بقوله: ((ومنهم من يقدم ويؤخر: اما لظرورة وزن او قافية

---

(١) **الديوان: ١٠٣.**

(٢) **نفسه : ٧٨.**

(٣) **نفسه : ٨٢.**

(٤) **دلائل الاعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٩٦١ : ٨٣.**

وهو اعذر واما ليدل على انه يعلم تصريف الكلام، ويقدر على تعقيده، وهذا هو العيّ بعينه))[1]، ولهذا الاسلوب فوائد كثيرة منها رفع الابهام والغموض عن النص الشعري، وابعاد الجملة الشعرية عن الرتابة والسأم، وقد يلجأ الشاعر الى هذا الاسلوب ليحقق التوافق والانسجام بين صدر البيت وعجزه، فيبعد عن ترتيب البيت بحسب قواعد النحو وتسلسل اركان الجملة، كتقديم شبه الجملة من الجار والمجرور والظرف على المبتدأ، والمفعول به على الفاعل... الخ. ومن خلال قرائتنا لنصوص الرصافي البلنسي وجدنا تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور والظرف قد حظى بالنصيب الوافر؛ اذ بلغت خمساً واربعين مرة.

من ذلك قوله [2]

لك الود الذي لا ريب فيه وان بقيت نواك على التمادي

فقدم ((لك الود)) الجار والمجرور على المبتدأ قد اعطى قوة اسلوبية للبيت الشعري وجعله اكثر ايحاءاً، مما زاد من توكيد النص الشعري وتخصيص المودة بهذا الصديق.

ومن جميل تقديمه لشبه الجملة الجار والمجرور قوله : [3]

للعين والقلب في اقباله امل كأنه للشباب الغض ريعان

اذ اخر الشاعر لفظ ((أمل)) وهو المبتدأ وقدم لفظ ((العين)) وهو الخبر، اذ زاد هذا التقديم البيت ايقاعا موسيقيا جميلا تظافرا مع التشبيه لخلق صورة جميلة ساعدت في انسجام الصدر مع العجز.

---

(1) **العمدة لأبن رشيق القيرواني : ١ : ٢٦٠.**

(2) **الديوان ٦٢ .**

(3) **نفسه : ١٢٨.**

ويستخدم الشاعر التقديم والتأخير في موضع آخر ومن ذلك قوله: [1]

عليه شكل صنوبري يفتل من مائه خلاخل

فالتقديم والتأخير قد حصل في لفظتي (عليه شكل) والذي ساعد في تأكيد معنى البيت وزينه برسم حركة جريان الماء في هذه الشجرة المصنوعة من النحاس. وشاعرنا يتفنن في هذا الاسلوب فلم تقتصر براعته في تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور بل وأجاد القول في تقديم شبه الجملة من الظرف والتي تظهر معها حرارة عاطفة الشوق:[2]

اعندكم انا نبيت لبعدكم وكل يد منا على كبد حرى

فقدم ظرف المكان (عند)على المبتدأ (لبعدكم) ليعطي للبيت قوة تأثيرية بمساعدة الاساليب الاخرى، كالاستفهام الوارد في صدر البيت.

ومن مواقع استخدام الشاعر للتقديم والتأخير هو تأخير الفاعل عن الفعل والفصل بينهما بفاصل، وقد تكرر ذلك في شعره خمس مرات، ومثال ذلك قوله: [3]

وعلى من اعتمدت سواك ظنونه في الناس، كلهم لخنصرك القدا

فقد اخر الشاعر الفاعل ((ظنونه)) عن الفعل وقد فصل بينهما بالمفعول به ((سواك)) والغرض من التقديم التوكيد والتخصيص، لأن الشاعر اراد ان يؤكد ويخصص اعتماد الناس عليه ورعايته لشؤونهم.

ومن تأخيره الفاعل قوله: [4]

---

(١) **الديوان : ١١٥.**

(٢) **نفسه : ٧٦.**

(٣) **نفسه : ٥٧.**

(٤) **نفسه : ٥١. وينظر كذلك : ٣٩.**

في ليلة سدكت بالارض فحمتها والجو ازرق وقاد المصابيح

ففصل بين الفعل والفاعل بلفظة (الارض) ليعطي للبيت قوة اكثر وتناسقا يجعله اكثر استحسانا لدى المتلقي لاسيما انه استخدم صيغة المبالغة (وقاد) مما اكسب البيت جمالا ورونقا.

ومن المواطن التي فصل بها الشاعر بين الفعل والفاعل قوله: [١]

تجلت له مشكلات الامور ولان له الصعب بعد الجماح

ففصل بين الفعل والفاعل في صدر البيت وعجزه بالجار والمجرور ((له)) مما اكسب البيت نوعا من التوازن والانسجام بين شطري البيت، وهذا يدلل على حسن التصرف في افانين اللغة .

ومن فصله بالجار والمجرور بين الفعل وفاعله قوله:[٢]

نبغي لقاءك وهو اكرم حاجة نهبت لها الخيل السهى والفرقدا

فأخر الفاعل ((الخيل)) وفصل بينه وبين الفعل بالجار والمجرور ((لها)) للتخصيص، اما تقديم المفعول به على فعله فقد ورد ثماني مرات في شعره، من ذلك قوله:[٣]

يدا ايدتني منه بالملك الذي تملك في الدنيا قلوب الورى حبا

في صدر البيت قدم لفظة (يدا) المفعول به على الفعل ليخصص ويؤكد ان التأييد قد جاء من الممدوح وليس لأحد سواه، وفي عجز البيت فصل بين الفعل والمفعول به بالجار والمجرور ((في الدنيا)) ليبعد البيت الشعري عن الرتابة التي يسببها السير وفق قواعد ترتيب الجملة.

---

(١) **الديوان : ٥٣**

(٢) **نفسه: ٥٦.**

(٣) **نفسه:٣٤. وينظر كذلك: ٣٨، ٥٤، ٥٧، ٦٤.**

وكذلك قوله: [1]

قومنا فوزوا بسلوانكم ودعوا بالله من تشوقا

فقد قدم الشاعر المفعول به ((قومنا)) على الفعل والفاعل ((فوزوا)) والغرض من التقديم هنا لكمال العناية والاهتمام لاسيما انها في موضع الغزل.

ومن جميل تقديمه للمفعول به على الفعل والفاعل قوله: [2]

عدلا ملأت به الدنيا فانت بها بين العباد وبين الله ميزان

فاخذ الشاعر يقدم (عدلا) وهو المفعول به على فعله لتخصيص وتأكيد ان صفة العدل راسخة في الممدوح.

ومن تقديمه للمفعول به قوله: [3]

خبرا يبلغه اليك ودونه امن العداة وراحة الحساد

وقد قدم الشاعر خبرا) وهو المفعول به على الفعل ((يبلغ)).

النداء :

اسلوب من اساليب التعبير التي استهوت كثيرا من الشعراء لما يوفره من مرونة في الخطاب الشعري ويعرف بانه ((طلب المتكلم اقبال المخاطب عليه لحرف ناب مناب ((انادي)) المنقول من الخبر الى الانشاء))[4]، وحروف النداء التي استعملها الشاعر هي (الياء، ايا، الهمزة) غير ان استعماله للياء قد طغى على استعماله للأدوات الاخرى اذ وصل عدد مرات ورودها في اشعاره اربعا وعشرين مرة، والسبب برأينا ان هذه الاداة تصلح لكل موضع فهي للقريب والبعيد والمتوسط

---

(1) **الديوان: ١١١.**

(2) **نفسه : ١٣٠.**

(3) **نفسه : ٦٤.**

(4) **جواهر البلاغة : ١٠٩.**

البعد، ولأنها تستعمل للخطاب المباشر دون حاجز بين الشاعر وممدوحه، من ذلك قوله[1] يمدح ابن عبدالملك بن سعيد

يا أحمد الدنيا وقد يغني عن كنية واسم العظيم عظيم

وقوله ايضا: [2]

يا واحد الدنيا وسوف اعيدها مثنى وان اغنى نداؤك موحدا

ففي الابيات الواردة نلمح النبرة الخطابية باستعماله ياء النداء التي يميل فيها الشاعر الى المبالغة والتفخيم من شأن الممدوح، وهو من المعاني التقليدية الواردة في شعره ويرمي بها الى التعبير عما يدور في نفسه من الاماني العريضة، التي يريد تحقيقها على يد الممدوح، ونحن نرى بأن الشاعر في مدحه يريد ان يجسد صورة البطل المنقذ للأندلس من الضياع والفرقة.

اما اداة النداء الاخرى فهي (الهمزة) وقد تكررت في شعره مرتين من ذلك قوله: [3]

ابني البلاغة فيم حفل النادي هبها عكاظ فابن قيس اياد

وقوله ايضا: [4]

ابني العباس أي حلاحل سلبتكم الدنيا واي نضاد

اما اداة النداء الاخيرة التي استعملها الرصافي البلنسي فهي (أيا) وقد وردت في شعره مرة واحدة وهي قوله: [5]

---

(1) **الديوان : ١٢٣.**

(2) **نفسه : ٥٦.**

(3) **نفسه : ٦٣.**

(4) **نفسه : ٦٥.**

(5) **نفسه : ٣٧.**

ايا عبدالاله نداء بأس وهل ارجو لدى رمس جوابا

فقد استعمل الشاعر الاول (أيا) لنداء البعيد لأن المنادى قد فارق الحياة، ونلمس من خلال استخدام الشاعر للنداء في هذا البيت درجة اليأس التي وصل اليها.

وربما نلحظ ابداع الشاعر وبراعته في حذفه لحرف النداء لدلالة السياق عليه، فيميل الى ذكر المنادى مباشرة ليزيد من قوة شعره المعنوية، لأن المتلقي اول ما يتجه نظره الى المنادى للزيادة في التخصيص، وقد كرر الشاعر ذلك ثمان مرات في شعره، ومنه قوله: [١]

مولاي ماذا عليها مذ حللت بها ان [لا] يعاونها ناس وبلدان

فقد خاطب الشاعر ممدوحه مباشرة دون استعمال اداة النداء لكي يلصق صفة الولاية والامارة بهذا الممدوح ويخصصه لها، ونحن نرى ان ميل الشاعر الى استعمال لفظة ((مولاي)) في وصف ممدوحه وهي من الالفاظ التي شاعت في اشعار العصر العباسي ومن ثم انتقلت الى الاندلس ولم تكن مستعملة عند الشعراء القدامى، يقول يوسف حسين بكار عن انتشار هذه الالفاظ في شعر العصر العباسي ((ويغلب على الظن ان استعمالها مسبب عن تطور الناس في حياتهم الاجتماعية من حيث طريقة التعامل وأساليب المجاملة المتعددة. فمثل هذه الالفاظ لم يقصد معانيها الحقيقية بقدر ما تدل على اغراق في المجاملة والتطرف والميل الى الرقة والتلطف وربما العبث عند بعض الشعراء))[٢].

وكذلك قوله في الاخوانيات:[٣]

---

(١) **الديوان: ١٢٩.**

(٢) **اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار المعارف – مصر، ط١، ١٩٧١ : ٣٩٥**

(٣) **الديوان : ١٠٣ ، وينظر نفسه : ١١٠ – ١١١**

سلام ابا بكر عليك ورحمة تحية صدق من اخ لك مختص

اذ حذف الشاعر حرف النداء (الياء) من الكلام تخفيفا. والملاحظ ان الشاعر قد زين البيت حلة جميلة باستخدامه تحية الاسلام ليدلل على الاخوة الاسلامية التي تربطه بهذا الصديق.

وقد تخرج حروف النداء من موضعها الى التنبيه اذا دخلت على الفعل (حبذا)، ومن ذلك قوله: [1]

حبذا منزلنا مغتبقا حيث لا ينظرنا غير الهديل

فقد حذف حرف النداء من الكلام تخفيفا.

وقد يخرج النداء الى معاني مجازية كخروجه الى التعجب[2] في قوله: [3]

فيالك صحة جلبت حياة تعيش بها المنابر والثغور

ويا لك نعمة رمنا مداها فما وصل اللسان ولا الضمير

الامـر :

واحد من اساليب الطلب المهمة فيه (استعلاء والزام)[4] يعبر فيه الشاعر عن شعوره وعاطفته الانسانية وما يختلج في نفسه من احاسيس وجدانية، ولهذا الاسلوب صيغ مختلفة منها صيغة فعل الامر او الفعل المضارع المسبوق بلام الامر او المصدر النائب عن فعل الامر او اسم فعل الامر، فان كان الامر صادرا من الاعلى الى الادنى، فهو امر حقيقي، اما اذا كان الامر صادرا من ادنى الى اعلى فهو امر مجازي يخرج الى الدعاء، واذا كان الامر والمأمور برتبة واحدة فانهه يخرج الى الالتماس. ومن خلال قراءتنا لشعر الشاعر يتبين لنا ان الشاعر قد ركز كثيرا على

---

(١) **الديوان : ١٠٣، وينظر كذلك ١١٠، ١١١.**

(٢) **جواهر البلاغة : ١١١.**

(٣) **الديوان : ٨٠-٨١.**

(٤) **ينظر جواهر البلاغة : ٨١-٨٢.**

استعمال صيغة فعل الامر، وكان عدد مرات استعماله تسعا وعشرين مرة، ومنهـا قوله: [١]

راوح بنا السهل من اكنافها وارح ركابنا ليلها من التعـــــــــب

وانضح جوانبها من مقلتيك وسل عن الكثيب الكريم العهد في الكثب

وقل لسرحيه يا سرحة كرمـــــت على ابي عامر: عزي على السحب

فقد استخدم الشاعر صيغة الامر مرتين في البيت الاول والثاني ومرة واحدة في البيت الثالث مما يوحي ذلك بترابط البيت الشعري من خلال فعل الامر وجوابه، واما الغرض الذي خرج اليه الامر هنا فهو للالتماس لأن الشاعر والمخاطب برتبة واحدة.

وكذلك قوله:[٢]

فقف وقفة المحبوب منه فانها شمائل مشغوف بمرآك مشتاق

وصل زهرات منه صفرا كأنها وقد خضلت قطرا محاجر عشاق

ومن الصيغ الاخرى للامر هي صيغة الفعـل المـضارع المـسبوق بـلام الامر[٣]، وقد وردت في شعره اربع مرات، من ذلك قوله: [٤]

ولتعلمي ان ظقت يا ورقاء ذا جفن اريق

وقوله ايضا: [٥]

واذا صدرت مبينة لتبلغي النبأ المشوق

---

(١) **الديوان : ٤٤ .**

٢) **نفسه : ١١٣ .**

(٣) **جواهر البلاغة:٨٢.**

(٤) **الديوان : ١١٠.**

(٥) **نفسه .**

وكذلك قوله: [1]

خوضا الى الوطن البعيد جوانحي ان القلوب مواطن الاوطان

وقوله[2] في الرثاء:

عجبا لشخصك كيف اعيا كنهه حتى تجاذبك الثرى والماء

وفي نهاية المطاف لاسلوب الامر نجد لزاما علينا ان نوضح بأن الرصـــافي البلنسي استعمل اسلوب الامر على جهة الدعاء تارة والالتماس تارة اخرى وهو امر ليس فيه اختلاف لأنه يخاطب اصدقاءه او ممدوحيه فانه يلتمس الاحترام المتبـــادل وطلب الجاه والكرم، وحقق هذا الاسلوب اللغوي للشاعر غايات واهـــداف عظيمـــة استطاع به الوصول الى الباب الناس وملك عقولهم.

اسلوب النهي:

((هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء والالزام))[3]، بواســطة لا الناهية الجازمة والفعل المضارع المجزوم المسند الى المخاطب او الغائب وفائدتـــه تقوية معنى النص الشعري، وقد يخرج النهي الى اغراض بلاغية منها الدعاء اذا

---

[1] **نفسه :١٣٢ .**

[2] **نفسه : ٣١**

[3] **جواهر ابلاغة : ٨٦-٨٧.**

كان النهي صادرا ممن هو ادنى من رتبة المخاطب، ومنها الالتماس اذا كانا برتبة واحدة، وقد ورد ذلك في شعره خمس مرات ومن ذلك قوله: [١]

لا تكثروا صلة النواظر بعده ديم الدموع فانها من نوئه

وقوله ايضا:[٢]

لا تثرها فتنة من ربرب ترعد الاسد لديه فرقدا

ففي البيتين السابقين قد خرج النهي الى الالتماس لانه صادر عمن هو بمرتبة المخاطب، وقد يخرج الى الدعاء كما في قوله يمدح عبد المؤمن: [٣]

لا يذهلن لتقليل اخو سبب من الامور ولا يركن لتكثير

والنهي في هذا البيت قد جاء صادرا من الشاعر الذي هو اقل رتبة من الممدوح او المخاطب فخرج الى الدعاء.

---

[١] **الديوان: ١٣٤، وينظر كذلك ٤٨، ٥٢، ٦٤.**

[٢] **نفسه : ١١٠.**

[٣] **الديوان : ٧٣، وينظر كذلك ٧١، ٥٤.**

اسلوب الشرط :

اسلوب مهم من اساليب العربية شاع كثيرا في نتاجات الشعراء، ويعني وجود امرين يكون احدهما سببا في حصول الآخر، فيؤلف هذا الاسلوب جملتين، الاولى جملة فعل الشرط والثانية جوابه مما يؤدي الى زيادة التوافق والانسجام بين الاشياء، ويؤدي هذا الاسلوب من طريق ادوات خاصة، استعمل منها شاعرنا ابرزها وهي (لو) و (لولا) و(اذا)، ومن الواضح في استعمال كل منها، ان الحرف ((لو)) قد طغى استعماله على بقية الادوات، اذ وصل الى ثماني عشرة مرة منها قوله: [١]

لو لم يعدوا من دعائم بيتهم رمح السماك لخانه التقويم

فجملة (لو لم يعدوا...) هي جملة فعل الشرط، وجملة (لخانه التقويم) جملة جواب الشرط والتي اعطت نوعا من المواءمة للبيت الشعري.

ومن بديع قوله[٢] في الشوق والحنين :

لو ان بالورق ما بقلبي لاحترقت تحتها الغصون

فدلت (لو) على الامتناع او ما تسمى (حرف امتناع لامتناع)[٣]، وقد امتنع احتراق الورق لامتناع وجودها في قلبه.

وكذلك قوله[٤] في المدح:

فلو لحقتم زمان الوحي نزل تلك الصفات مكان الشعر قران

---

[١] الديوان: ١٢٣. وينظر كذلك:
١٢٣،١١٩،١١٦،١١٠،١٠٧،١٠٦،٨٧،٨٦،٧٧،٧٦،٧١،٥٣،٤٧،٤٥،٤١.

[٢] الديوان : ١٣١.

[٣] الايضاح في علوم البلاغة : ١ : ٩٥.

[٤] الديوان : ١٣١.

والمعنى (قد امتنع نزول قرآن فيكم ايها الممدوح لامتناع لحاقكم زمان الوحي)، فايحاءات هذا الاسلوب الراقي قد زاد من تقوية المعنى وجعل الجملة الشعرية ترتبط ارتباطا جدليا بعضها بالبعض الآخر.

وقد يستعين الشاعر في تحسين ابياته بالاداة (لو) مع المنادى المرخم في قوله:[١]

لو شئت قمت معي يا صاح ملتفتا الى سويقة من غربيها الخرب

فنحن نرى ابداع الشاعر وتوفيقه في الجمع بين اسلوبي الشرط والنداء ومجيء المنادى بصيغة المنادى المرخم ((يا صاح)) مما اعطى للبيت الشعري قوة اسلوبية ومعنى طريفا ادى الى توافق وانسجام بين شطري البيت.

ومن الادوات الاخرى ((لولا)) وهي حرف امتناع لوجود[٢]، وقد تكرر ذلك في شعره ثلاث مرات من ذلك قوله: [٣]

وما ذكرها لولا شفا من علاقة تتبعها نفسي تتبع مستقصي

فقد استعمل الشاعر (لولا) استعمالا موفقا لأن (لولا) اداة شرط غير جازمة لا يأتي بعدها الا اسم يعرب مبتدأ خبره محذوف تقديره موجود مما زادت البيت تماسكا اكثر بواسطة هذا الاسلوب.

وقوله في الرثاء:[٤]

ولكم يرى بك من هضاب لم تكن لولاك غير دكادك ووهاد

فالاداة (لولا) قد خصصت فضل هذا المرثي على الناس واعطت للبيت رونقا وجمالا اكثر واسبغت على المرثي نوعُ من التفخيم .

---

(١) **الديوان : ٤٧.**

(٢) **الايضاح : ١ :٩٦ .**

(٣) **الديوان : ١٠٤.**

(٤) **نفسه : ٦٥، وينظر كذلك : ٤٥.**

واستعمل الشاعر اداةً اخرى من ادوات الشرط لكي لا يحصر ابداعه في جانب واحد وليبعد المتلقي عن الملل والرتابة ، ومن هذه الادوات هي (إذا) وهي اداة شرط غير جازمة وهي ظرف لما يستقبل من الزمان [١]، وتستعمل للدلالة على المعنى الغالب وقوعه والكثرة في حصوله، وقد تكررت سبع مرات، من ذلك قوله: [٢]

اذا تذكرت اوطانا سكنت بها فلا يكن منك للاضلاع نسيان

ومن استعماله ايضا للاداة (إذا) قوله: [٣]

إذا كرمت عهود المء طبعا فاكرم ما يكون على البعاد

وقال في الحنين: [٤]

اناس إذا لاقيت من شيت منهم تلقوك لا غث الحديث ولا غمرا

فنحن نرى الشرط المتحقق في استعمال اداة الشرط (إذا)، وقد اعطته دفقا معنويا افاد كثيرا من الصور التي وصف بها الشاعر نفوس اصدقائه ومحبيه.

وآخر الادوات التي استعملها الشاعر هي ((اما التفصيلة الشرطية)) من ذلك:[٥]

اما وقد طفنا البلاد فلم نجد لك ثانيا فكن الكريم الاوحدا

وفي نهاية المطاف مع اسلوب الشرط فنحن نرى إن الشاعر في استعماله لأدوات الشرط قد اعطى لأدوات الشرط غير الجازمة مكانا اوسع في شعره من

---

(١) **ينظر جواهر البلاغة : ١٦٩.**

(٢) **الديوان: ١٢٩.**

(٣) **نفسه : ٦٢.**

(٤) **نفسه : ٧١، وينظر كذلك : ١١٦،١١٠،٨٣،٥٩.**

(٥) **نفسه : ٥٦.**

الادوات الجازمة لما تمتعت به الادوات غير الجازمة من مرونة اكثر، مما عكست لنا المقدرة التي تمتع بها الشاعر وحسن توظيفه لهذه الادوات بالشكل الرائع الجميل.

اسلوب التمني والترجي:

هو طلب امر محبوب لا يرجى حصوله اما لكونه مجالا او لكونه غير مطموع في تحقيقه[١]. والاداة المستخدمة في هذا الاسلوب هي ((ليت)) وقد وردت في شعره مرتين ومنها قوله:[٢]

فليت احم مسك قد عاد غيما فحام على صريحك ثم صابا

فالملاحظ على استخدام الشاعر لـ(ليت) انه تمنى ان يتحول هذا المسك الى غيم ليهطل على ضريح المرثي وهو امر عسير التحقيق، ونحن نرى بأن لجوء الشاعر الى هذا الاسلوب هو لغرض التعبير عن اصرة الحب نحو المرثي وكذلك ليعطي للبيت الشعري قوة وجزالة كادت ان تنتفي لولا هذا الاسلوب .

ولم يقتصر استخدام الشاعر على ليت في التمنى وانما استعمل ((هل)) مجازا للتعبير عن التمني وفائدتها هي ابراز المتمنى في صورة الممكن القريب الحصول لكمال العناية به والتشوق اليه[٣]ومنه قوله: [٤]

هل الغيب يوما مفرجا لي بابه فانظر منه كيف انسك في حمص

اما الترجي : فهو امر محبوب يمكن حصوله[٥] والاداة المستخدمة لذلك هي(لعل)، وقد وردت عند الرصافي البلنسي. [٦]

لعله قد اعار يوما نكهتها طيب مرشفيه

---

(١) **جواهر البلاغة:١٠٧.**

(٢) **الديوان:٣٩، وينظر كذلك:٦٥.**

(٣) **ينظر جواهر البلاغة، هامش : ١٠٨.**

(٤) **الديوان:١٠٤.**

(٥) **جواهر البلاغة : ١٠٨**

(٦) **الديوان :١٣٢ .**

وقد وردت اساليب اخرى في شعر الرصافي البلنسي، ولكن لقلة ورودها في شعره لم نشأ ان نفصل القول فيها وسأوردها انشاء الله على وجه السرعة . ومن هذه الاساليب اسلوب الاستثناء ورد ثلاث مرات في شعره ومنه قوله:[1]

ومن المتمم في الزمان صنيعه الا كريم شأنه التتميم

فقد ورد الاستغناء مفرغا لأن الكلام منفي والمستثنى منه غير مذكور والتقدير ((ما متمم في الزمان احد الا كريم.)).

والاسلوب الآخر هو الحذف، فمن انواع الحذف التي جاءت في شعره:

حذف الحروف : ومنها حذف (ربّ) ومن ذلك قوله:[2]

ومستفهم لي كيف كان ورودها فقلت له: ورد الشفاء على السقم

فقد حذف ((ربّ)) من الكلام مما زاد من بلاغة البيت وجماليته.

ومن حذف الحروف ، حرف همزة الاستفهام وياء النداء وقد سبق الكلام عنهما.

حذف المسند اليه من الجملة الاسمية ومنه قوله:[3]

محمولة حمل الحسام وان خفي النجاد هناك والعمد

---

(١) **الديوان:١٢٢، وينظر كذلك:٧٦،٩٥.**

(٢) **نفسه:١٢٥ .**

(٣) **نفسه: ٦١،٦٩،٧٠،٧١،٨٢،٨٧،١٠٣،١٠٤.**

وقوله:[1]

نجم بأرض سلا أراب سقوطه قد كنت اسرح في مطارح ضوئه

فالتقدير (هي، هو) فقد اعطى هذا الحذف جمالا خاصا للأبيات ســـاهم فـــي تنبيه المتلقي وفتح ذهنه لما يريده الشاعر من قصد بعد ذكر المسند.

---

[1] **الديوان :١٣٤.**

المبحـــث الثانـــي
الصورة الشعرية

لعل اقدم اشارة في التراث النقدي والبلاغي العربي لهذا المصطلح ما اورده الجاحظ (ت٢٥٥هـ) بقوله ((الشعر صناعة وجنس من التصوير))[١]

وقول ابن طباطبا(٣٢٢هـ) ((لفظ الصورة عن ظروب التشبهات، والتشبهات على ظروب مختلفة منها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة، ومنها تشبيه معنى، ومنها تشبيه لون، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض))[٢]

وهذه الاشارات تشير الى ان الصورة عنصر فعال من عناصر بناء القصيدة الفني. اما مصطلح الصورة في النقد الحديث فقد تعددت الاتجاهات في تحديد هذا المصطلح تحديدا نهائيا وشاملاً لأختلاف رؤية هؤلاء الدارسين لهذا المصطلح، وهي تعني عندهم ((رسم قوامه الكلمات المشحونة بالاحساس والعاطفة))[٣].

من هذا المنطلق تظهر اهمية الصورة في بناء النص الشعري، فهي التي تمنحه الخيال، وهي الواسطة بين الشاعر والمتلقي، فكلما كانت الصورة جميلة معبرة نابعة من الوجدان كلما ملك الشاعر بها الباب قلوب سامعيه. فالصورة اذن المعيار الاساسي الذي يتوقف عليه نجاح النص الادبي، او فشله، و هي وسيلة الشاعر في التعبير عن عواطفه واخيلته، بواسطة الالفاظ والتراكيب ذات الدلالات الايحائية المعبرة التي تحدث الوقع العظيم في النفس الانسانية المتلقية وتسحرها.

---

(١) **الحيوان للجاحظ : تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٩: ٣ : ١٣٢.**

(٢) **عيار الشعر لابن طباطبا: ١١.**

(٣) **الصورة الشعرية: سي دي لويس، ترجمة احمد نصيف الجنابي وآخرين، مراجعة د، عناد غزوان، دار الرشيد للنشر- بغداد ١٩٨٢، ٢٣.**

وسائل تشكيل الصورة:

١-التشبيه:

واحد من اهم اساليب البيان المهمة، ويدخل كعنصر بارز في مجال التصوير الشعري، وهو (من اقدم صور البيان واوسع الصور او الفنون استعمالا في الشعر العربي)[١]، فهو معين لا ينضب يمد الشاعر بالصور الجميلة الرائعة التي تزين النص الشعري وتجعله اكثر بهاءً واشد جمالاً، ويعرّف التشبيه بانه ((الوصف بأن احد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة تشبيه))[٢] او (عقد الصلة بين شيئين او اشياء لا يمكن ان تفسر على الحقيقة لأنها لو فسرت كذلك لأصبح كذباً)[٣]. وقد استهوى هذا الفن ارصافي البلنسي الى حد الغلو والمبالغة، فنراه يستعين به كثيرا في رسم صوره الشعرية لما فيه من مزايا كثيرة تمكن الشاعر من تحقيق اهدافه ومراميه، لأن هذا الاسلوب لما يتصف به من وضوح الاسلوب والتعبير عما يدور من انفعالات داخل نفسية الشاعر وما يجول في اعماقه من معاناة والم وعواطف جياشة يعبر به عن رؤيته الى الاشياء بادق الاوصاف واحلاها.

لقد تعددت صور التشبيه عند الرصافي البلنسي الى ان الاكثر استعمالا من الشاعر هو التشبيه المرسل او الصريح ، الذي دخل في تشكيل اغلب صوره الشعرية والادوات التي استعملها لذلك هي (الكاف، كأن، مثل)، ومن خلال احصاء الادوات التي استعملها الشاعر ظهر لنا جليا بأن الاداة ((كأن)) كانت اكثر الادوات وروداً في شعره فذكرها احدى وثلاثين مرة، وارتقت هذه الاداة مكان الذروة لما تتميز به من قوة في التشبيه لانها تتكون من ((كاف التشبيه)) و((ان)) التي تفيد التوكيد تعطي للشاعر قدرة في استيعاب تفاصيل صوره الشعرية وتعينه على الشرح والاطالة بحيث تترجم انفعالاته ورؤاه بدقة ووضوح.

---

(١) **فنون بلاغية : د. أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية- الكويت ١٩٧٥ : ٢٧.**

(٢) **الصناعتين: ٢٣٩.**

(٣) **فنون بلاغية:٣٦.**

ومن استعماله الطريفة لهذه الاداة قوله في الاخوانيات:

دعاك خليل والاصيل كأنه عليل يقضي مدة الرمق الباقي

فنلاحظ الصورة التي رسمها الشاعر لوقت الغروب التي تشبه المريض الذي يلتقط انفاسه الاخيرة وهي بلا شك صورة حزينة استمدها الشاعر من ايحاءات الغروب عندما يقف الانسان متأملا لها.

ومنه قوله: [1]

الى شط منساب كأنك ماؤه صفاء ضمير او عذوبة اخلاق

ففي هذا البيت يعبر الشاعر عن فضيلة الوفاء فيرسم لهذا مشبها اياه بالماء العذب الصافي كصفاء الضمير الحي الذي ينعكس صفاءه على الاخلاق فيحسنها ويجعلها عذبة يحظى برضاء الله والناس، والملاحظ على استعمال الشاعر لهذه الاداة في هذا الموضع انه اراد ان يعطي لبيته الشعري دقة متناهية في وصف هذا الصديق، وبراعة في تصوير خصاله.

ومن بديع قوله في استعمال كأن في موضع ارثاء قوله:[2]

يا وردة جادت بها يد متحفي فهمى لها دمعي وهاج تأسفي

حمراء عاطرة النسيم كأنها من خد مقتبل الشبيبة مترف

في هذا البيت رسم الشاعر صورتين، الصورة الاولى صورة الوردة الحمراء التي تعج بالرائحة الطيبة عند مرور النسيم عليها، والصورة الثانية صورة الانسان المترف الذي هو في ريعان الشباب، واراد الشاعر ان يعبر عن هاتين الصورتين بدقة، فالوردة الحمراء دلالة على الدم، وصورة الشباب دلالة على ان المقتول كان في بداية عمره، فاستطاع الشاعر ان يوصل الصورتين الى ذهن المتلقي بواسطة ((كأن)).

---

(1) **الديوان:١١٣.**

(2) **نفسه:١٠٩.**

وقوله في المدح:[1]

تخلصنا بها من كل هــم كأن الليل في يده اسير

وبتنا في دارها كيف شئنا فجفن نائم وحشا قرير

فيرسم الشاعر صورة الامن والطمأنينة التي خيمت على المجتمع الاندلــسي ظل هذا الامير الذي ملك الهيمنة والسيطرة على ما يدور حوله وبسبب عدلــه فقــد انعكس ذلك على نفسية الانسان مما جعل افراده يعيشون في افراح ومسرات دائمة .

ومن الصور الجميلة التي استعان الشاعر بــ(كأن) في رسمها قولــه[2] فــي الحنين:

كأن عروسا ابدع الله حسنها فصير من شرخ الشباب لها عمرا

فقد شبه الشاعر مدينة بلنسية بالعروس الجميلة التي تفيض حيويــة وجمــالا كحيوية الشباب، وهي بلا شك صورة جميلة تفيض عذوبة استعمل فيهــا الــشاعر خياله الواسع وعاطفته المتوقدة وفكره النير، مما اضفى على هذه الــصورة رونقــا وشفافية تدل على رهافة حسه.

وقوله ايضا:[3]

نبات كأن الخد يحمل نـــــوره تخال لجينا في اعاليه او تبرا

وماء كترصيع المجرة جللت نواحيه الازهار فاشتبكت زهرا

فشبه الشاعر نبات مدينته بالخد الذي يحمل الورد المتفتحة ازهاره بألوانهــا البراقة والتي تشبه الفضة والذهب، مضافا اليها عنصر الماء الذي انتشرت بــسببه الازهار في الحدائق والرياض.

---

(1) **الديوان**: ٨١.

(2) **نفسه** :٧٠.

(3) **نفسه**:٦٩.

والملاحظ على هذه الصورة انها مستمدة من البيئة الطبيعية للشاعر والــذي يبدو فيه اثر الاداة ((كأن)) و((الكاف)) في رسم ملامح الصورة .

ومن الصور الاخرى التي وردت فيها ((كأن)) قوله يمدح الوزير الوقشي:[١]

وكأنما فاق الانام بهم نسب الى القمرين يمتد

فالممدوح مشبه بالقمر والشمس في علو منزلته ورفعته، وبهذا قد تجاوز كل البشر بهذه المنزلة، ونلحظ نوعا من المبالغة في هذا البيت ((لأن اشعر الناس مــن استجيد كذبه، وأضحك من رديئه))[٢] كما يقول صاحب العمدة، وقد توصل الشاعر لأبراز صورته هذه بواسطة الاداة ((كأن)).

وتأتي اداة التشبيه ((الكاف)) بالمرتبة الثانية عند الرصافي البلنــسي، فبلــغ استعمالها ثمان وعشرين مرة، وهي تلائم كثيرا التشبيهات القصيرة فضلا عن كونها تعبر عن المعاني بأقصر الطرق وايسرها، وهي تساعد الشاعر على حشد اكبر قدر من المعاني بعبارات مختصرة ومسبوكة.

وقوله في المدح:[٣]

من معشر نجم العلاء بهم زهراً كما يتناسق العقد

فدور اداة التشبيه ساعد على تكثيف المعنى بعبارة مختصرة فاراد الشاعر ان يقول للممدوح انه من سلالة قد ورثت الحكم والمجد كاهلا عن كاهل فالابن يــرث من الاب والاب يرث من الجد وهكذا، فبدلا ان يقول ذلك استعان بالكــاف وجــاء بالمشبه به وهو تناسق العقد وانتظامه، مما ابعد الكلام عن السردية النثرية. ومــن صور الشاعر التي رسمها بالاعتماد على التشبيه، قوله:[٤]

---

(١) **الديوان :**

(٢) **العمدة : لابن رشيق : ٢ :٦٢ .**

(٣) **الديوان :٦٠، وكذلك ينظر:٨٢.**

(٤) **نفسه:**

مستأنفين قديم مجدهم يبني الحفيد كما بنى الجد

وقوله ايضا:[١]

وتعرف من منازله المعالي كما عرفت من القمر الشهور

والاداة الاخيرة التي استعملها الرصافي البلنسي في التشبيه هي (مثل) وقد تكررت في شعره سبع مرات والتي اراد الشاعر من خلالها اظهار براعته الشعرية في مجال توليد الصور ورسمها بدقة والتي تحمل معها قيما جمالية واسعة ، ومن هذه التشبيهات التي وردت فيها اداة التشبيه(مثل) قوله[٢]في الحنين:

ولا مثل مدحو من المسك تربة تملي الصبا فيها حقيبتها عطرا

فنلاحظ الصورة الجميلة التي نسجها خيال الشاعر فيرى تربة مدينته قد ملئت مسكا حتى لتغدو ريح الصبا تملأ افاقها عطرا فواحا يبعث البهجة في نفوس المارين بها. ولا يخفى في هذا الموضع اثر اداة التشبيه (مثل) التي تمثل المحور الذي دارت عليه الصورة.

وقوله[٣] وصف فتى رفاء

اغيد[٤] يمسك الحرير بفيه مثلما يمسك الغزال العراره

فالشاعر يشبه هذا الفتى بغزال يحمل نبات العرار وهو نبات جميل اصفر اللون وتبدو هذه الصورة متناسقة متعادلة، فصورة الفتى وهو يحمل الحرير بفيه تشبه صورة الغزال وهو يحمل هذا النبات الجميل.

---

(١) **الديوان :٨٣، وينظر كذلك :١٠٨.**

(٢) **الديوان:٦٩.**

(٣) **نفسه:٧٨.**

(٤) **الاغيد : الناعم البدن.**

وقوله في وصف صنوبرة[١]:

تعب فيها لجينيا فتنفخه اعطافها مثل اشطار الخلاخيل

فالشاعر يرسم صورة الماء وهو يخرج من ثقوب هذه الصنوبرة النحاسية، وما تحدثه هذه الحركة من صوت يشبه صوت الخلاخيل التي تضعها المرأة في قدميها ، وهذه الصورة اعتمدت على الحركة والصوت، وساهم التشبيه بـ(مثل) على اعطاء هذه الالة الجامدة نوعا من الحركة والحيوية .

وشاع التشبيه البليغ في شعر الرصافي البلنسي كثيرا و ((هو ما حذف فيه اداة التشبيه ووجه الشبه))[٢].

ومن ذلك قوله في غلام حائك:[٣]

جذبا بكفيه او فحصا باخمصه تخبط الظبي في اشراك محتبل[٤]

فصورة الفتى وهو يعمل في هذه المهنة وكثرة الخيوط التي تحيط به تشبه صورة الظبي الذي يقع في حبائل الصياد فيبقى دائم الحركة، والملاحظ على البيت ان الشاعر حذف الاداة ووجه الشبه، وصولا الى تكثيف المعنى واختصاره لكي تكون الصورة حسنة جميلة في نفس المتلقي.

---

(١) **الديوان : ١٥٠.**

(٢) **جواهر البلاغة : ١٨١.**

(٣) **الديوان:١١٦.**

(٤) **محتبل : صائد.**

وكذلك قوله في المدح:[1]

سرت الجياد به الي وفتية سفروا فقلت: اهلة ونجوم

فصورة الممدوح في سيره نحو الشاعر كأنها صورة الهلال تحيط به النجوم من كل جانب، فالتشبيه البليغ مال هنا الى الاختصار في اطراف التشبيه والتي اراد الشاعر من خلاله ان يرفع من صورة الممدوح وتحسينها في نظر الناس.

ومن الاختصار والتكثيف الذي اوجده التشبيه البليغ قول الشاعر في وصف زنجي:[2]

وزنجي الم بنور لوز وفي كاساتنا بنت الكروم

فقال فتى من الفتيان صفه فقلت: الليل اقبل بالنجوم

فصورة الزنجي المعتمة تشبه الليل وظلمته وانعكاس الضوء على الغصن المحمول في يده كأنه نجوم، ونلمح في هذا النص الشعري البراعة والدقة في التشخيص الذي ينم عن مقدرة الشاعر في التصوير.

ثانياً - الاستعارة:

هي النوع الثاني من انواع البيان وتعني ((نقل العبارة عن موضع استعمالها في اصل اللغة الى غيره لغرض، وذلك الغرض اما ان يكون شرح المعنى وفضل الابانة عنه او تأكيده او المبالغة فيه او الاشارة اليه بالقليل من اللفظ، او تحسين المعرض الذي يبرز فيه))[3]، وهذا يعني انها لا تستخدم المفردة اللغوية في مكانها الحقيقي وانما تخرج بهذا الاستعمال الى معاني مجازية بعيدة لغرض اظهار المعنى جليا، وهي وسيلة بلاغية اتكأ عليها شاعرنا في تشكيل صوره الشعرية، والاستعارة

---

(١) **الديوان : ١٢١.**

(٢) **نفسه:١٢٦.**

(٣) **الصناعيتين: لأبي هلال العسكري:٢٦٨.**

تشبيه حذف منه احد طرفيه، الا انها ((اسمى من التشبيه في التصوير وخلق الصور الشعرية، لأنها تخيل. وبهذا تكتسب القدرة على التلوين والتصوير))[١].

ويقول في الوصف:[٢]

تبسم الزهر حين يبكي بأدمع ما رأين باسا

ففي قوله (تبسم الزهر) استعارة أجاد فيها الشاعر بما تتمتع من خيال واسع ساعده على خلق صور' جديدة حاول من خلالها ان يحرك الاشياء ويحولها الى عالم ملىء بالحركة والاحساس.

وقوله ايضا:[٣]

من كل جفن يسل سيفا صار له عمده رئاسا

لقد تمكن الرصافي البلنسي من تطويع الفاظه عن طريق التوسع في الاكثار من الاستعارات بحيث يبدو مفهومها اوسع فيستوعب كل ما في هذا الكون من اشياء عديمة الحركة والحس، وهو ما يعرف بالتشخيص الذي يميل اليه الشاعر في بث الروح في الجمادات . ومن ذلك قوله في وصف الجبل:[٤]

وادرد من ثناياه بما اخذت منه معاجم اعواد الدهارير

فالاستعارة في قوله (وادرد) اذ حذف المشبه وابقى المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، فالجبل شىء مادي منحه الشاعر صفة من الصفات الانسانية وهي تساقط الاسنان لكثرة تعاقب الدهور عليه، فخلق بذلك صورا جديدة ومبتكرة.

---

(١) **الشعرية: د. احمد مطلوب، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الاربعون، ج٣-٤، ١٩٨٩ : ٧٣.**

(٢) **الديوان : ١٠٠.**

(٣) **نفسه:١٠٠.**

(٤) **نفسه:٩٣.**

التشخيص :

هو فن من فنون التصوير الاستعاري، وتبرز اهميته من خلال بث الحياة في المواد الحسية الجامدة والذي ترفع فيه الاشياء الى مرتبة الانسان مستعيرة صـــفاته ومشاعره))[١]ومن ذلك قوله:

فاني ربما استسقيت يوما　　لك الحونين جفني والسحابا

فتخجل من ملوحتها دموعي　　اذا ذكرت شمائلك العذابا

فقد خلع الشاعر على دموعه صفة إنسانية وهي الخجل محاولة منه في بـــث الحركة والحياة فيها لتؤدي غاية في نفسه ويسمو في عالم فسيح مع خيالـــه ليعطـــي لعلاقته بهذا الصديق بعداً انسانياً.

ومن استعاناته بالتشخيص في رسم الصورة قوله في التهنئة:[٢]

سراء شب بها الزمان الاشيب　　وسماء مجد ويد فيها كوكب

فقد رسم الشاعر للزمان صورة انسان قد شاب رأسه من كثرة تعاقب الايـــام والدهور عليه لكنه فجأة يتحول الى شباب لولادة هذا الطفل، والملاحظ علـــى هـــذه الصورة ان الشاعر مال فيها الى نوع من التعليل الطريف وتوليد المعاني.

وقد يأتي التشخيص مقترنا بحكمة لطيفة كما في قوله:[٣]

يا صاحبي ويد الايام مثبتة　　في كل صالحة سهما من النوب

فـــ(يد الايام) استعارة تشخيصية اراد الشاعر فيها ان يجعل للأيام بداً للدلالة على غدر الزمان.

واوضح ما ورد التشخيص عند الرصافي الابيات التي قالهـــا فـــي وصـــف الجبل:[١]

---

(١) **الصورة الفنية في شعر ابي تمام: د. عبدالقادر الرباعي، نشر جامعة اليرموك- اربد، ط١، ١٩٨٠ : ١٦٩.**

(٢) **الديوان: ٣٩.**

(٣) **نفسه: ٣٩.**

محنك حلب الايام اشطرها وساقها فوق حادي العير للعير

مقيد الخطو جوال الخواطر في عجيب امريه من ماض ومنظور

قد واصل الصمت والاطراق مفتكرا بادي السكينة معفر الاسارير

كأنه مكمد مما تعبده خوف الوعيدين من دك وتسيير

فالجبل هنا رجل وقور ذاق مرارة وحلاوة الدهر حتى اصبح محنكا كثيـــرا التجارب لتعاقب الدهور عليه لكن هذا الجبل قد عرف مصيره وما ينتظره من يـــوم عصيب الا وهو الدك الذي يصيب الجبل يوم القيامة والتي اشار اليها القرآن الكريم، والشاعر في هذه الابيات يرمز الى نفسيته الحائرة المؤمنة بقضاء الله ووعده والتي يحاول من خلالها ان يجد لهذه الامة منقذا يخرجها من الفرقة والتشرد الى الوحـــدة والعيش في ظل كيان اسلامي ينشد الطمأنينة والعدل والمساواة.

وقوله:[٢]

قد يسكت السيف والاقلام ناطقة والسيف في لغة الاقلام لحان

فقد اعطى الشاعر للسيف السكوت وللقلم النطق وهي صفات انسانية .

التجسيم :

---

(١) **نفسه:٩٣.**

(٢) **الديوان: ١٣٠.**

هو ((ايصال المعنى المجرد مرتبة الانسان في قدرته واقتداره))[١]، وهو عملية معقدة يحتاج الى كثير من التركيز والانطلاق بعيدا في الخيال. فمن صور الرصافي البلنسي التي استعان بالتجسيم في رسمها، قوله في الوصف:[٢]

طائر شاد وغصن منشن والدجى يشرب صهباء الاصيل

وقوله في الرثاء:[٣]

حسب الزمان عليك ثكلا ان يرى من طول ليل في قميص حداد

وقوله في الرثاء ايضا:[٤]

قد طأطأ الجبل المنيف قذاله للجار بعدك واقشعر الوادي

وقوله في الحنين: [٥]

أكارم عاث الدهر ما شاء فيهم فبادت لياليهم فهل اشتكى الدهرا

فمعاني الدجى والزمان والجيل والدهر، قد اصبحت كالكائن الحي تمتلك قدرة الانسان على الشرب، والاحساس بالالم والايماء والابادة. ومنه قوله:[٦]

وان كان قد مدت يد البين بيننا من الارض ما يهدي المحب شهرا

فقد استعار الشاعر الايدي للموت وجعله في مرتبة الانسان في قدرته على الفناء والتدمير.

ثالثاً - الكناية:

---

(١) **الصورة الفنية في شعر ابي تمام:١٧٠.**

(٢) **الديوان:١١٨.**

(٣) **نفسه:٦٤.**

(٤) **نفسه:٦٣.**

(٥) **نفسه : ٧١.**

(٦) **نفسه:٧٠.**

ويراد بها (الايماء الى معنى من المعاني واثباته في ذهن السامع دون ذكر لفظة التصريح)[١]. والسبب راجع في ذلك الى انها (تتأى عن المباشرة والتحديد الصريح، كما يريد ان يقول ويسوق تعبيرا ظليلا يحرك الفكر ويبعث على التأمل)[٢].

والكناية حضيت اهتمام نقادنا القدامى ونالت استحسانهم، يقول عبدالقاهر الجرجاني (ان كل عاقل يعلم – اذا رجع الى نفسه- ان إثبات الصفة باثبات دليلها وايجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وابلغ في الدعوى من ان تجيء اليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا)[٣]، وهي نوع من انواع المجاز، والمعنى المراد منها بعيد عن ذهن السامع يوضحه المعنى اللغوي الظاهر اللفظ لوجود علاقة تربط بينهما[٤].

وقد وردت الكناية بأنواعها الثلاثة في شعر ارصافي البلنسي وهي:

(أ)الكناية عن صفة: وهي التي يطلب فيها الشاعر الصفة نفسها والتي يحاول فيها اثبات هذه الصفة لممدوحه كالكرم والغنى والعلم[٥]ومنه قوله[٦]:

وكفى بأن وسم الندى رسمة لم تمحها الايام من بعد

فالكناية في قوله (وسم الندى) وهي صفة دالة على ثبات فضيلة الكرم في الممدوح.

وقوله ايضا في مدح الوزير الوقشي:

---

(١) **ينظر: دلائل الاعجاز في علم المعاني:٥٢.**

(٢) **التعبير البياني (رؤية بلاغية ونقدية): د. شفيع السيد، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة ١٩٧٧ : ١٦١.**

(٣) **دلائل الاعجاز:٥٨،٥٧، وينظر جواهر البلاغة:٣٥٩.**

(٤) **ينظر : الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية، مجيد عبدالحميد ناجي، رسالة دكتوراه، كلية العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٨م : ٢٨٨.**

(٥) **ينظر: علم اساليب البيان، د. غازي يموت، دار الاصالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٣م : ٢٨٦.**

(٦)

إيه ولو بعض الحديث عن التي حيا بها ربعي أجش هزيم

فالكناية في قوله (أجش هزيم) كناية عن عطايا الممدوح وكرمه.

(ب) الكناية عن موصوف : (وهي التي يطلب بها نفس الموصـــوف، وشـــرطها ان تكون مختصة بالمكنى عنه، لا تتعداه، وذلك ليحصل الانتقال)[١] من ذلك قوله:[٢]

فمن له حد سيف او شبا قلم شراره في الوغى والفهم نيران

فالكناية في قوله (حد سيف) و (شبا قلم) فقد كنـــى الموصـــوف بالـــشجاعة والاقدام وكناه ايضا بالعلم.

وقوله[٣] ايضا:

بفطنة من وراء الغيب صادقة منها على فضلها في الحكم عنوان

فقد كنى الشاعر موصوفه بالفطنة للدلالة على علمه ودرايته.

(ج)الكناية عن نسبه: (ويراد بها اثبات امر لأمر، وبها يذكر الصفة والموصوف ولا يصرح بالنسبة الموجودة مع انها هي الموجودة)[٤] ومنها قوله:[٥]

فسرن يحملن امر الله من ملك بالله مستنصر في الله منصور

---

(١) **علم اساليب البيان:٢٨٨، وينظر جواهر البلاغة:٣٦٣.**

٢) **الديوان : ١٢٩ .**

٣) **نفسه : ١٢٨ .**

(٤) **علم اساليب البيان:٢٨٩، وينظر جواهر البلاغة:٣٦٣.**

(٥) **الديوان:٩٠.**

والشاعر اراد ان يثبت بأن النصر حليف هذا الملك لأنه يحمل امر الـــه لكنـــه لـــم يصرح بذلك بل كنى عنه بطلب النصر من الله وقوله:[1]

الى الجوزاء فارق ودع اناسا مراقيهم عريش وسرير

واراد الشاعر ان يدلل على مكانة الممدوح العالية، فلم يصرح بذلك وانما بين مكانة الناس دونه، وهي كناية عن نسبة العلو والرفعة لممدوحه والخـــذلان والـــذل لأعدائه.

---

(١) **الديوان** :٨٤.

٤ - الطباق والمقابلة :

١-الطباق :

يعد الطباق في نظر البلاغيين العرب واحدا من السمات البديعية التي يلجأ اليها الشعراء ليكسبوا اشعارهم نوعا من التنميق والتجميل وهو عندهم (الجمع بين الشيء وضده في جزء من اجزاء الرسالة او الخطبة او البيت من بيوت القصيدة)[١] وهو يساعد على زيادة جمع شتات البيت الشعري والتحام اجزائه برابط المعنى المشترك الذي تثيره علاقة التضاد، وهو على نوعين: طباق الإيجاب وطباق السلب وكلا النوعين موجود في شعر :

١-**طباق الايجاب**: وهو ما لم يختلف به الضدان ايجابا وسلبا [٢] الرصافي البلنسي، ومن ذلك قوله:[٣]

واني وان كنت الخلى لشيق[٤] اليك على بعد المنازل والغرب

فقد طابق الشاعر بين لفظتي (البعد-القرب) طباق ايجاب خلق الشاعر فيها نوعا من الموازنة الطريفة والمحببة التي تمثل مشاعر الانسان الفياضة تجاه رابطة الاخوة والصداقة.

ومن طباق الايجاب قوله:[٥]

سيان فيهم ليلة ونهارها ما اشبه التأويب[٦] بالاساد[٧]

---

(١) **الصناعتين:٣٠٧، وينظر العمدة٢ : ١٥، وينظر جواهر البلاغة:٣٨١.**

(٢) **جواهر البلاغة:٣٨٢.**

(٣) **الديوان:٤١.**

(٤) **لشيق: كثير الشوق.**

(٥) **الديوان:٦٤.**

(٦) **التأويب: سير النهار.**

(٧) **الاساد:سير الليل.**

فالبيت اشتمل على اكثر من صيغة للطباق في قوله (ليله-نهار)(التأويب – الآساد) فجميع الاشياء اصبحت واحدة، فالليل يشبه النهار، وسير النهار يشابه سير الليل فلا فرق بينهما في نظر الشاعر ، لذلك استوت عند هؤلاء الموتى هذه الاشياء.

ومن طباقه الرائع قوله:[١]

معاهد قد ولت اذا ما اعتبرتها وحسن الذي يحلو من العيش قد مرا

فطباق الايجاب في قوله (يحلو-مرا) لقد سعى الشاعر من خلال هذا الاسلوب تقوية المعنى وتجميله من خلال الجمع بين الشيء وضده.

ومن جميل طباقه قوله:[٢]

محيا خليل غاض ماء حياته وساكن قصر صار مسكنه القبرا

فطباق الايجاب حاصل في قوله (قصر-قبر) فقد تظافر الطباق مع الكناية (غاض ماء حياته) التي بمعنى الموت، في تحديد ملامح الصورة وحسن تنسيقها، وكذلك قوله:[٣]

بأطيب منها في الانوف وغيرها تجاذبها سرا بنو الدهر او جهرا

ففي لفظتي (سرا-جهرا) طباق موجب جعل من الصورة التي رسمها لقصيدته وكأن رائحتها قد علقت في نفوس المتلقين مما جعل هذه الصورة تزيينية ممتعة. ومن طباقه الموجب قوله:[٤]

وبرد نسيم انثني عند ذكره على زفرات تصدع الكبد الحرى

---

(١) **الديوان:**٧٣.

(٢) **نفسه** :٧٢.

(٣) **نفسه:**٧٦.

(٤) **نفسه:**٧٥.

فطابق بين (برد-حر) ليعمق صورة الحنين الى الوطن من خـــلال اظهـــار الشوق الذي يلتهب في نفسه عند مرور الريح عليه. وقوله:[١]

من الاولى خضعوا له قسرا له وعنو لأمره بين منتهي ومأمور

فطباق الايجاب في قوله (منهي ومأمور) وكأنه من خلال الجمع بين المعنـــى وضده يرسم صورة بالغة الدقة لشعار الموحدين، وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويطابق الشاعر مطابقة جميلة في قوله:[٢]

من بعد ما عاندوا امرا فما تركوا اذ امكن العفو ميسورا لمعسور

فطابق الشاعر بين (ميسور-معسور) مطابقة توحي للمتلقي بـــأن الممـــدوح يتصف بالعفو عند المقدرة.

طباق السلب :

هو ((ان يجمع في الكلام بين الثبوت والانتفاء))[٣].

فمن طباق السلب قوله:[٤]

يقولون طال الليل والليل لم يطل وهل فيه بين العاشقين تماري

فطباق السلب حصل بين لفظتي (طال-لم يطل) وتكرار كلمة الليل يعطي قوة للبيت وفي نفس الوقت يعبر عن حالة العاشق النفسية، فالليل بالنسبة للهائم طويـــل تكثر فيه الهموم. ومنه قوله:[٥]

---

(١) **الديوان:٩٥.**

(٢) **نفسه .**

(٣) **التلخيص في علوم البلاغة، هامش : ٣٥٠، وينظر جواهر البلاغة، هامش :٣٨٢.**

(٤) **الديوان:٨٥.**

(٥) **نفسه:١٢٣.**

ماتوا ولكن لم يمت بك فخرهم فالمجد حي والعظام رميم

فالبيت فيه نوعين من الطباق، فالاول طباق السلب في قوله (ماتوا-لم يمت) وطباق ايجاب بين لفظتي(حي-رميم) مما يجعل البيت اكثر جمالا وايحـــاءً ودلالـــة على المعنى وجعل صورته اكثر بعدا واعمق اثرا في نفس المتلقي وظهرت صورة الممدوح اكثر اصالة ينتسب الى عائلة عريقة.

وقوله:[١]

ومن دون هذا غيرة جاهلية وان هي لم تلزم فقد تلزم الحرا

وطباق السلب (لم تلزم-تلزم) عبر من خلال هذا الفن البديعي عـــن نفـــسيته التي تأبى التذلل والخضوع لأجل الكسب المادي الرخيص.

اما المقابلة: وهي ((ان يأتي المتكلم بلفظين متوافقين فاكثر ثم بأضـــدادها او غيرها على الترتيب))[٢]ومنه قوله:[٣]

وصل البيان به المدى وكلامه سهل يشق وغامض مفهوم

فقابل الشاعر بين (سهل-غامض)، و (يشق-مفهوم). وكذلك قوله:[٤]

آثارهم في الحادثين حديثة وفخارهم في الاقدمين قديم

اذ قابل بين (الحادثين-الاقدمين) و(حديثة-قديم) وهي مقابلة طريفة نلاحـــظ إحسان الشاعر وابداعه فيها وليعط للممدوح نوعا من ارتباط ماضيه بحاضره لأنـــه ورث المجد عن الاجداد العظام.

---

(١) **الديوان** :٧٧.

(٢) **انوار الربيع في انواع البديع، السيد علي صدرالدين، تحقيق د. شاكر هادي شكرــ مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ط١، ١٩٦٨ : ١ : ٢٩٨، وينظر جواهر البلاغة** :٢٢.

(٣) **الديوان**:١٢٢.

(٤) **نفسه**:١٢٣.

ومن المقابلات الرائعة البيت الذي يقول[١] فيه:

ومن لم يصخ[٢] نحوها والسيف ملتحف[٣] فسوف يقرؤها والسيف عريان

فقابل (يصخ-يقرؤ)و(ملتحف-عريان)، وقد افادت المقابلة زيادة معنى البيت ودلالته على قوة الممدوح.

---

[١]) **الديوان : ١٣٠ .**

[٢] **يصخ: يقال :صخ – يصخ ، بمعنى صوت الحجر او الحديد اذا قرع .**

[٣] **ملتحف :ملازمة الغمد .**

٤-الاقتباس والتضمين:

لقد ظل التراث العربي المشرقي المنهل العذب والمعين الذي لا ينضب يستقي منه شعراء الاندلس ثقافتهم الدينية والادبية والتأريخية حرصا منهم على اثراء شعرهم وتعميق مضامينه من خلال (الاقتباس والتضمين)، وان هذا الامر لا يعد نقصا او عيبا في الشاعر اذا احسن استخدامه، يقول ابو هلال العسكري (ـ٣٩٥هـ)((ليس لأحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم – اذا اخذوها- ان يسكوها الفاظا من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير جليتها الاولى، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها، فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها ممن سبق اليها))[١]، لذلك وظف شاعرنا الرصافي البلنسي التراث في نصوصه خير توظيف لأنه استوعب ثقافة امته ومثلها خير تمثيل في شعره.

ولقد كان للثقافة الدينية اثرها الواضح في شعره من خلال استحضار الفاظ الآيات القرآنية وايرادها ضمن سياق ابياته الشعرية، ومن ذلك قوله في الرثاء:[٢]

وشيني انتظاري كل يوم لعهدك كرة والدهر يابى

فقد اخذ لفظة (كرة) التي بمعنى (رجعة)[٣] من قوله تعالى﴿ ولو ان لنا كرة فنكون من المؤمنون﴾[٤].

---

(١) **الصناعتين:١٩٦.**

(٢) **الديوان:٣٦.**

(٣) **روائع البيان لمعاني القرآن، ايمن عبدالعزيز، دار الارقم – عمان ، ط١، (د.ت) :٣٧١.**

(٤) **سورة الشعراء، الآية:١٠٢.**

وقوله في الرثاء ايضا:[١]

واهيج ما اكون لك ادكارا اذا ما النجم صوب ثم غابا

اذ استخدم لفظة (ادكارا) بمعنى التذكر[٢] في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [٣].

ومن تضميناته اللطيفة قوله في الوصف:[٤]

يقولون لي يوما وقد مر ضاربا بمعوله ضرب المرجم بالغيب

فقد وردت لفظة (المرجم بالغيب) ((بمعنى قول بلا علم))[٥] في قول الله عز وجل ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ ﴾ [٦].

ومن التضمينات الحسنة قوله في المدح[٧]:

نعماء اعياني التماس مكانها لو قد وجدت لها وليا مرشدا

فاللفظ (وليا مرشدا) بمعنى (نصيرا وهاديا)[٨] وهو معنى جميل جاء به ليرفع من مقام ممدوحه ومنزلته، وهذا اللفظ مأخوذ من قوله عز وجل﴿ من يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً ﴾ [٩].

---

(١) الديوان:٣٦.

(٢) روائع البيان لمعاني القرآن:٢٤١.

(٣) سورة يوسف، الاية:٤٥.

(٤) الديوان:٤٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير، عني به عبدالسلام الزغبي: ٣ : ١٠٨.

(٦) سورة الكهف ، الاية :٢٢.

(٧) الديوان : ٥٤.

(٨) روائع البيان لمعاني القرآن:٢٩٥.

(٩) سورة الكهف، الآية ١٧.

وضمن الشاعر احد ابياته لفظا ورد في القرآن الكريم وهو (ضـــغث) فـــي قوله:[١]

وفي اذنك الجوزاء قرطا معلقا وللنجم في يمناك ضغث بهار

بمعنى ((حزمة من القضبان الرفيعة))[٢]، وقد ورد في قوله تعالى ﴿ وَخُـــذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [٣].

ومن شواهد تمثل القرآن الكريم في شعر شاعرنا وهو يرسم لنا صورة السفن التي تجري في البحر في قوله:[٤]

ذو المنشآت الجواري في اجريها شكل الغدائر في سدل وتضفير

فالملاحظ في النص ان الشاعر في هذا البيت يستعين في رسم معالم الصورة على الاقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْـــرِ كَالْأَعْلامِ ﴾ [٥].

ومما جاء من التضمين في شعره قوله في المدح:[٦]

فالبحر قد عاد من ضرب العصا يبسا والارض قد غرقت من فور تنور

وكما يبدو لنا من خلال هذا البيت ان الشاعر يستحضر قصتين مـــن قصص الانبياء في بيت واحد وهما قصة موسى عليه السلام التي وردت في قولـــه تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [٧]. وقصة نوح عليه السلام عندما كذبه قومه، يقول الحـــق جـــل وعـــلا

---

(١) الديوان: ٨٥.

(٢) روائع البيان:٤٥٦.

(٣) سورة ص، الآية ٤٤.

(٤) الديوان:٩١.

(٥) سورة الرحمن، الاية:٢٤.

(٦) الديوان:٩٦.

(٧) سورة الشعراء، الآية:٦٣.

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾[١]ومعنى قوله تعالى ((فار التنور)) أي نبع من تنور الخبز المعروف فاغرق قوم نوح الذين كذبوه [٢]، ونحن نرى بأن اتيان الشاعر بهذه الالفاظ التي لا يمكن لبشر ان يأتي بمثلها لأنها كلام الله تعالى الذي تحدى به البشرية قاطبة الى قيام الساعة، وليزيد شعره قوة ما بعدها قوة، وان الممدوح يتخذ من اولئك الانبياء اسوة حسنة في جهاده لأعداء الدين.

ومن تضميناته البديعة التي جاءت في شعره ((بابل)) مدينة السحر في قديم الزمان، يقول في الغزل[٣]:

هل درت بابل انا فئة تجعل السحر من السحر رقى

فهذا المكان ورد في قوله تعالى ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾[٤].

والملاحظ ان الشاعر جاء بالتضمين هنا ليبين نفسه التقية التي تبتعد عن كل شيء يجلب غضب الرب ولاسيما السحر، وان الشيء الذي يبطل السحر هو آيات الله التي حفظها قلبه وعبر عنها بقوله:[٥]

تنقش الآية في اضلاعنا فتقتينا كل شيء يتقى

والتضمينة الاخيرة جاءت في قوله:[٦]

اذا صدعت بأمر اله مجتهدا ضربت وحدك اعناق الجماهير

---

(١) سورة هود، الآية:٤٠.

٢

(٣) الديوان: ١١٢.

(٤) سورة البقرة :١١٢.

(٥) الديوان:١١٢.

(٦) نفسه : ٩٦.

فالصدع هو اظهار امر الله والجهر به[1] لكي يحل العدل والسلام ارجاء المعمورة، وقد اخذه الشاعر من قوله تعالى:﴿ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين﴾ [٢].

ومن الشخصيات التي لها مساس بالدين شخصية يوشع الذي وقفت الشمس لأجله في سبيل اكمال مهمته في القضاء على الجبابرة، وهذا الشخص هو فتى موسى عليه السلام. فقوله:[٣]

والشمس ان ذكرت موسى فما نسيت فتاه يوشع قماع الجبابير

فالشاعر اراد ان يرفع من شخصية ممدوحه ويجعل له مرتبة فوق مرتبة البشر، فقد شبه المهدي ابن تومرت بموسى (عليه السلام) وفتاه عبد المؤمن بيوشع.

والشخصية الاخرى هي شخصية لقمان الحكيم الرجل الصالح الذي اعطاه الله الحكمة من ذلك قوله:[٤]

كأنما يتعاطى فضل منطقه عند التكلم لقمان وسحبان

فقد اغدق الشاعر على ممدوحه صفة الحكمة عند التكلم. وقد وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [٥].

١

(٢) **روائع البيان** : ٢٦٧.

(٣) **الديوان** : ٩٧.

(٤) **نفسه**:١٢٨.

(٥) **سورة لقمان، الآية**:١٢.

والشخصية الاخيرة هي شخصية سليمان عليه السلام الذي علمه الله لغة الطير والحيوان، يقول:[١]

استغفر الله الا قصة سلفت قد كان فهمها يوما سليمان

وقد ورد التفهيم لسليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ففهمنها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما﴾ [٢].

يتبين مما سبق ان الشاعر قد اكثر من التظمين والاقتباس من القرآن الكريم لأنه احسن ما يكسب به الكلام طلاوة[٣]

اما الموروث الادبي فقد ظهر جليا عند الشاعر من خلال تأثره بالمناهج الشعرية القديمة لأنه امر طبيعي ان يتأثر الشاعر بأسلافه ويستفيد منهم ويبدأ من حيث انتهوا لأجل تعميق وتطوير اشعاره لأنها الاساس الذي ينطلق منه الشاعر في سبيل انضاج تجربته الابداعية.

فالموروث الشعري يتجلى صداه على الشاعر من خلال الاخذ من الشعر القديم ابتداء من الجاهلية وانتهاء بالعصر العباسي عن طريق التضمين، ومن شواهد ذلك قوله:[٤]

مطاع كأن الله اعطاه وحده من الامر ما لم يعطه السبعة الشهبا

فقد اخذ (السبعة الشهبا) من قول ابي تمام في فتح عموريه:[٥]

والعلم في شهب الارماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب

---

(١) **الديوان:١٢٩.**

(٢) **سورة الانبياء، الآية:٧٩.**

٣

(٤) **الديوان:٣٤.**

(٥) **ديوان ابي تمام: بشرح التنزيري، تحقيق محمد عبد عزام ، دار المعارف – مصر (د.ت) : ٤١.**

وقوله:[١]

غادوا بجلبتهم مكناسة فغدت بغر تلك الحلى معسولة الحلب

من قول ابي تمام ايضا في فتح عموريه:[٢]

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحلب

وقد يميل الشاعر الى تضمين ابياته الفاظا من الشعر الجاهلي حرصا منه على محاكاة النماذج الاصيلة للشعر العربي ولكي لا يقطع حلقة الوصل بتراثه الخالد، من ذلك قوله:[٣]

خليلي عوجا بي عليها فانه حديث كبرد الماء في الكبد الحرى

فقد وردت لفظة خليلي عند امرىء القيس بقوله: [٤]

خليلي مرا بي على ام جندب نقضي لبانات الفؤاد المعذب

ولفظة (عوجا) من قول امرىء القيس:[٥]

عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

ويبدو ان الرصافي البلنسي قد استحسن فكرة (التصبر والثبات امام نوائب الدهر) التي وردت عند الشاعر ذي الرمة، فضمنها في شعره فقال: [٦]

غض عبرتيك ولا تجزع لفادحة تعرو فكل سبيل من سبيل أب

---

(١) **الديوان:٤٦.**

(٢) **ديوان ابي تمام: ٤١.**

(٣) **الديوان:٦٧.**

(٤) **ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهمي، دار المعارف – القاهرة ١٩٨٤، ط٤ : ٤١.**

(٥) **نفسه:١١٤.**

(٦) **الديوان:٤٨.**

اما ذو الرمة فيعبر عن ذلك فيقول:[١]

اعاذل قد جربت في الدهر ما كفى ونظرت في اعقاب حق وباطل

فايقن قلبي انني تابع أبـــــــي وغائلي غول القرون الاوائل

والملاحظ ان التعبير عن هذه الفكرة لم يرق الى مستوى تعبير ذي الرمة.

ولم يقتصر تأثر شاعرنا بالشعراء المشارقة فحسب وانمـــا تـــأثر بـــشعراء الأندلس الذين سبقوه ومنهم ابن حربون، اذ يقول:[٢]

وكم ود لك عندي لست اكفرها امطيتها من ثنائي ظهر طيار

فقال الرصافي:[٣]

عجبت من معشر تمطى مآثرهم من الثناء عليها ظهر طيار

وكذلك تأثر بابن خفاجة في وصفه للجبل والتي شهد له فيه فقال في وصـــف الجبل:[٤]

من مشامخ الانف سحنائه طلس له من الغيم حبيب على مزرور

وقول ابن خفاجة في وصفه الجبل:[٥]

وارعن طماح الذؤابة باذخ يطاول اعنان السماء بغارب

---

(١) **ديوان شعر ذي الرمة، عني بتصحيحه كاريل هنري هيس مكارتني، طبع على نفقة كمبرينج ١٩١٩ : ٥٠١.**

(٢) **نفح الطيب : ٤ : ١٦٨ .**

(٣) **الديوان: ٩٨ .**

(٤) **نفسه : ٩٢ .**

(٥) **ديوان ابن خفاجة:٥٠ .**

ومن الشخصيات الادبية التي وردت في شعره شخصية الشاعر ((تأبط شرا))[١]احد الشعراء الصعاليك، وقد اتخذه فناعا يتحرك به وفق رؤية خاصة، يقول:[٢]

واني متى اسأل بهم كل راكب ليظهر لي خيرا تأبط شرا

ومن الشعراء الآخرين الذين ذكرهم في شعره شخصية (السري الرفاء)[٣] وقد ذكره في موضع الحنين لأن كلا الشاعرين قد تغربا عن وطنه فهما يشتركان في الحنين الى فترة الصبا، وهناك رابطة اخرى ربطت بين الشاعرين وهي مهنة الرفو التي عمل فيها كلا الشاعرين، يقول: [٤]

و كالرصافة من منزل سقته السحائب صوب الولي[٥]

احن اليها ومن لي بها وابن السريّ من الموصل

والامثال رافدا آخرا من روافد ثقافة الشاعر، وقد لاحظ ابن رشيق ان الامثال في الشعر((تستحسن، ونكت تستظرف مع القلة وفي الندرة فاما اذا كثرت فهي دالة على الكلفة))[٦]، وشاعرنا لم يكثر الامثال في شعره خوفا على شعره من التكلف، ومن ذلك قوله: [٧]

---

(١) **((تأبط شرا)) هو شاعر من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي اسمه ثابت بن جابر بن سفيان، اما لقبه فقد جاء عندما سألت عنه امه فقالت (لقد تأبط شرا وخرج وكان قد وضع تحت ابطه سيكنا، او سيفا او جفر سهامه). ينظر خزانة الادب: ١ : ١٣٣، وينظر معجم القاب الشعراء، د. سامي مكي العاني، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٧١ : ١٣.**

(٢) **الديوان:٧٢.**

(٣) **السري الرفاء : هو احمد الكندي شاعراً مطبوع كثيرة السرقة عذب الالفاظ مليح المآخذ كثير الافتتان في التشريعات، ينظر معجم المؤلفين لأبن النديم ٤ : ١٩٥، وينظر معجم القاب الشعراء : سامي مكي العاني: ١٠٧.**

(٤) **الديوان:١١٨.**

(٥) **الولي: الدفعة الثانية من المطر.**

(٦) **العمدة : ١ : ٢٨٥.**

(٧) **الديوان : ٣٧.**

لعلك والعلوم معنيات نسيت هناك بالعتم الايابا

وهو مأخوذ من المثل القائل (رضيت من الغنيمة الاياب)[١].

وقوله: [٢]

عليا خص الضريح وانما نعم القوير يا بوس الانجاد

وفيه اشارة الى المثل القائل (عسى الضويرأ بؤساً)[٣]

وهو يضرب للرجل يقال له لعل الشر جاء من قبلك.

هذه اهم الوسائل البلاغية التي ساعدت على تشكيل صوره المختلفة والتي وجدت صداها في شعره، وقد اجاد الشاعر فيها اجادة موفقة ساعدته كثيرا في الارتقاء بصوره نحو مصاف الشعراء البارعين الذين اعتنوا برسم صورهم وتنميقها بالاتكاء على اساليب البلاغة العربية.

---

(١) **مجمع الامثال للميداني: قدم طبع المصحف الشريف–بميدان الجامع الازهر،مصر١٣٥٢هـ، ج٢، : ٣٨.**

(٢) **الديوان : ٦٥.**

(٣) **مجمع الامثال: ١ : ٤٧٧.**

المبحـث الثالـث
الموسيقى والاوزان

اولاً – الموسيقى الخارجية:

يعد الوزن من اهم دعائم الشعر التي لا يمكن الاستغناء عنها بل هو ((اعظم اركان حد الشعر واولاها به خصوصية))[1]. اما قضية ارتباط الوزن بالمعنى فهي قضية شائكة اختلف فيها النقاد والباحثون قديما وحديثا، ولسنا معنيين بالحديث عن هذه الظاهرة وما يهمنا هو ميل الشاعر الى النظم في هذا البحر او ذاك، ومن خلال دراستنا لأشعار الرصافي البلنسي، وجدناه قد احسن في اختياره لأوزانه حسب ما يقرره العروضيون، فقد جاءت اشعاره على الاوزان الآتية:

البحر	عدد الابيات	عدد مرات استخدامه	النسبة المئوية
الطويل	١٧٧	٢١	%٢٤,٥١
الكامل	٢٠٧	١٩	%٢٨,٦٧
البسيط	١٨٢	١٦	%٢٥,٢٠
الوافر	٧٦	٨	١٠,٥٢
الرمل	٣٥	٢	%٤,٨٤
الخفيف	٢٢	٦	%٣,٠٤
المتقارب	١٢	٤	%١,٦٦
الرجز	٢	١	%١,٢٧
السريع	١	١	%١,٣٨
الكامل المجزوء	٨	١	%١,١٠٨

وتبين لنا من الجدول السابق ان البحر الطويل قد احتل المرتبة الاولى فتصدر الاوزان التي نظم فيها الرصافي البلنسي اذ استعمله احدى وعشرين مرة، ويبدو ان

---

[1] **العمدة : ١ : ١٣٤،**

شغفه بهذا البحر متأت من إنه بحر يتسم ((بالجلالة والنبالة والجد، ولو قلنا إنه بحر العمق لأستغنينا بهذه الكلمة عن غيرها))[١]، لهذا وجدنا إن القصائد التي نظم عليها هذا البحر تميل الى ((الفخاممة والابهة من حيث شرف اللفظ وهدوء النفس واستثارة الخيال وتخير المعاني))[٢]. والرصافي البلنسي من شعراء الاندلس الذين اجادوا النظم على هذا الوزن، فجاء عنده بنسبة ٥١. ٢٤ % من مجموع البحور. وقد استخدمه في أغراض شتى منها المديح والرثاء والاخوانيات والوصف... الخ. من ذلك قوله[٣] في المدح :

فتى اريحي الطبع مهما بلوته بلوت الكريم الحر والسيد الندبا

فقد اتاحت تفعيلات البحر المختلفة نوعا من الفخامة والجلال للألفاظ وزاد من نغماتها الموسيقية الهادئة والتي ساعدت كثيرا في تزيين صورة الممدوح واظهار خصاله الحميدة. ومن جميل استخدامه لهذا البحر في الاخوانيات قوله[٤](من الطويل):

ومهوى جناح للصبا يمسح الربى خفي الخوافي والقوادم خفاق

فقد ساعد هذا البحر على توضيح صورة الحنين الى موطن الصبا لما فيه من جدة في تعميق واظهار العواطف الجياشة. وقوله[٥] في الوصف (من الطويل):

محل ابن رزق[٦] جر فيه ذيوله من المزن ساق بحسن الجر والصبا

---

(١) **المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها، عبدالله الطيب المجذوب، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، ط١، ١٩٥٥م، ١ : ٤١٤.**

(٢) **نفسه : ١ : ٤١٤.**

(٣) **الديوان : ٣٤. وينظر كذلك الصفحات ٦٧، ٧٩، ٨٤، ٨٥، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١١٢.**

(٤) **نفسه : ١١٣، وينظر كذلك ١١٤، ١١٥، ١٢٤.**

(٥) **نفسه : ١٣٣.**

٦) **ابن رزق : هو الوزير ابو عمران موسى ابن رزق من النبهاء والادباء في مالقة وكان كريماً عالي الهمة ، جميل العشرة ، وكان الشعراء يجتمعون عنده ليلاً ونهاراً**

فقد وظف الشاعر امكانية البحر الطويل لخدمة غرض الوصف من خلال تفعيلاته التي تناسب كل الموضوعات، فضلا عن الايقاع ذي النغمة الموحية بالجلال.

اما بحر الكامل فقد جاء بالمرتبة الثانية بعد الطويل وهو مكانه المناسب حسب تحديد د.ابراهيم انيس[١]، اذ تكرر هذا البحر عند الشاعر تسع عشرة مرة أي بنسبة ٦٧ . ٢٨ % من مجموع البحور، وهو بحر ((فيه لون خاص من الموسيقى يجعله – إن اريد به الجد – فخما جميلا من عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله إن اريد به الغزل وما بمجراه من أبواب اللين والرقة حلوا عذبا مع صلصلة كصلصلة الاجراس))[٢]، فهو يعد من البحور الغنائية التي تحتوي الاداء الموسيقي الخالص، لذلك مال الرصافي البلنسي الى هذا البحر ((لما فيه من اظهار العواطف البسيطة كالفرح والفخر والحزن...الخ))[٣]، من ذلك قوله في رثاء شخص غرق في الماء (من الكامل)[٤]:

خاضوا عليك حشا الخليج ضنانة — بك ان تضيع الدرة البيضاء

وتبادروا بك للصريح صيانة — ان تكثر العقيانة الحمراء

لقد ساعد هذا البحر على اظهار مشاعر الحزن البسيطة وحالته النفسية القلقة وعاطفته المتأججة تجاه هذا الشخص مما حدى به الى المزج بين الالوان لأظهاره

---

(١) **ينظر موسيقى الشعر : د. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٢م : ١٩١.**

(٢) **المرشد : ١ : ٢٦٤**

(٣) **نفسه : ١ : ٢٧٧.**

(٤) **الديوان : ٣١.**

صورة المرثي بالشكل اللائق والمؤثر في نفس المتلقي، وقوله في المدح (من الكامل)[١]:

صحبتك خالدة الحياة، وكل ما يحتاز بابك جنة ونعيم

والكامل اضفى على البيت رنة موسيقية عذبة زينتها الالفاظ الفخمة الرشيقة مما عمق من صورة الممدوح الذي تقف الجنة والنعيم على بابه لجهاده ودفاعه عن حمى الاسلام لأنه سينالها بسبب هذا العمل الصالح في الآخرة.

ويأتي بعده في سلم التواتر بحر البسيط ، وهذا البحر (شديد الصلاحية للتعبير عن معاني العنف والتعبير عن معاني الرقة)[٢]، وهذا البحر كثير الشيوع في الشعر العربي وغالبا ما يقترن مع الطويل في الكثرة والانتشار او يأتي بعده بقليل[٣]، لذلك مال اليه الشاعر وجعله اطارا موسيقيا لأبياته، فقد ورد هذا البحر في شعر الشاعر ست عشرة مرة وشكلت نسبته ٢٥,٢٠ % من مجموع البحور من ذلك قوله[٤] في الغزل (بسيط):

ياراكباً واللوى شمال عن قصده والغضا يمين

نجداً على انه طريق تقطعه للصبا عيون

وحيي عني ان جزت حياً امضى مواضيهم الجفون

وقوله في المدح (بسيط)[٥]:

---

(١) **الديوان : ١٢٤.**

(٢) **المرشد : ١ : ٤٦٢.**

(٣) **شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي ، عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة، بغداد، ط١، ١٩٧٥ : ١٣٨.**

(٤) **الديوان : ١٣١ .**

(٥) **نفسه : ١٣٠.**

موت العدا بالظبا دين وان مطلت به سيوفك فالايام ضمان

فقد استخدم الشاعر بحر البسيط في معنى من معاني العنف فعبر به عن قتل الاعداء بسيف الممدوح وكأنهم مدينون له بعدم طاعتهم له حتى لو قصرت سيوفه عن النيل منهم، فالايام ستحفظ ذلك الدين لهذا الممدوح وسيعيد الكرة عليهم من جديد.

وحل بحر الوافر بعده بالمرتبة الرابعة ودار في شعره ثماني مرات وشكل نسبة ١٠% من مجموع بحوره وهذا البحر ((يمتاز بالرقة بتدفقه وتلاحق اجزائه، وسرعة نغماته، فهو وزن خطابي ان صح التعبير، يشتد اذا شددته ويرق اذا رققته))[١] ((واحسن ما يصلح هذا البحر في الاستعطاف والبكائيات واظهار الغضب ف معرض الهجاء والفخر، والتفخيم في معرض المدح))[٢] واستخدمه في المديح والرثاء والوصف والغزل. من ذلك قوله (من الوافر)[٣]:

[...] بفمي من على اذا انبعثت شبيبته انبعاثا
لعشر من منيته خوال ملأن جوى ضلوعي واكتراثا

وقوله في المدح (وافر)[٤]:

وجذم في الخلافة مستقر تمر على اصالته الدهور
وحكم تحته امر مطاع يحط به عن الجيش الامير

فالوافر قد اضفى على البيتين نبرة خطابية تهز السامع اليها وتحرك حواسه وتزيد اعجابه بهذا الامير الذي يقف بشموخ وبسالة امام عوادي الدهر ثابتا لا يتزعزع، وبذلك يعطيه نوعاً من التفخيم والاجلال.

---

(١) **شرح تحفة الخليل : ١٥٣.**

٢

(٣) **الديوان : ٥٠.**

(٤) **نفسه : ٨٢.**

اما بحر الخفيف فكان الخامس في تسلسله عند الشاعر، اذ استخدمه ست مرات أي بنسبة٠٤. ٣% من بحور الرصافي البلنسي واستعمله في الرثاء[١]، والغزل[٢]، والوصف[٣] والاخوانيات[٤].

اما بقية البحور فقد استخدمها الشاعر في الموضوعات نفسها، فالرمل فقد ورد عنده مرتين، مرة نظم عليه قصيدة تتألف من ثلاثين بيتا في موضوع الغزل ومنها قوله (رمل)[٥]:

وحلى نجد ستجزي ذكرها　　اوسعتنا في الهوى مرتفقا

ما حلا بعدكم العيش لنا　　مذ تباعدتم ولا طاب البقا

ويعقب الرمل في شعره استعمال بحور السريع والرجز ومجزوء الكامل اذ استعمل كلا منها مرة واحدة، كما وان الشاعر لم ينظم على بحور الهزج والمضارع والمقتضب والمجتث والمتدارك والمديد، ولعل السبب راجع في ذلك – برأينا- الى قلة النظم عليها في عصر الموحدين بل وفي كل عصور الادب العربي، ويبدو ان ميله الى البحور الشائعة كالطويل والكامل والبسيط والوافر كان تقليدا لشعراء المشرق، ولأن كل بحر منها يصلح لمختلف اغراض الشعر، فالعرب ((كانوا يمدحون ويفاخرون او يتغزلون في كل بحور الشعر التي عاشت عندهم))[٦]. لهذا يمكن القول بان ابيات الشاعر جاءت متوازنة محكمة النغم تتعاقب بايقاعات لينة رقيقة تجذب اليها الاسماع وتريح الأنفس الشجية، واختياره للبحر المناسب يأتي بحسب المناسبة والظرف الذي يعيشه ساعة نظمه القصيدة، فاوزانه تبعا لذلك تأتي

---

(١) **الديوان : ٥٢.**

(٢) **نفسه : ٦٦، ١٠٦-١٠٧.**

(٣) **نفسه : ٧٨، ١٠٢.**

(٤) **نفسه : ٧٩.**

(٥) **نفسه : ١١٢.**

(٦) **موسيقى الشعر: ابراهيم انيس : ١٧٧.**

تارة عذبة رشيقة وتارة اخرى تنبض بالحماس والفروسية والقوة مرتبطة بـــشجاعة الممدوح وقوته.

والجدول الآتي يبين خلاصة بالبحور التي استعملها الشاعر في شعره والتـــي بلغت سبعا وخمسين قصيدة ومقطوعة والقوافي.

ت	صدر البيت	الكلمة الاخيرة	القافية	البحر	عدد الابيات
١	خاضوا عليك حشا الخليج ضنانة	البيضاء	الهمزة	الكامل	٣
٢	ومهدل الشطين تحسب انه	لصفائه	الهمزة	الكامل	٣
٣	خليل ما ادري اذا ما اختل شملنا	نهبا	اباء	الطويل	٩
٤	يقولون لي يوما وقد عن جائزا	السربا	الباء	الطويل	٤
٥	رمى الموت ان السهم حابا	أصابا	الباء	الوافر	٢٦
٦	سراء شب بها الزمان الاشيب	كوكب	الباء	الكامل	٨
٧	اتتني من تلك السجايا بنفحة	عجبي	الياء	الطويل	٨
٨	حيا وحياة سرمد وتحية	الشعب	الباء	الطويل	٣
٩	يقولون لي يوما وقد مر ضاربا	الغيب	الباء	طويل	٤
١٠	يا عمرو ابن عمير من كدى يمن	وبي	الياء	البسيط	٣١
١١	وروض جلا حدا العين به	مشربه	الباء	المتقارب	٤
١٢	عفا الله عني اني امرؤ	بابها	الباء	المتقارب	٤
١٣	[...] يغمي من علي	انبعاثا	الثاء	الوافر	٤
١٤	نشوان ما فوق الكثيب مهفهف	رماحه	الحاء	الكامل	٣
١٥	في ليلة سدكت بالارض فحمتها	مصابيح	الحاء	البسيط	٣

١٦	ادرها فالغمامة قد أجالت	البطاح	الحاء	الوافر	٤
١٧	قصير الانابيب لكنه	الرماح	الحاء	المتقارب	٣
١٨	ايدا تفيض وخاطرا متوقدا	الندى	الالف	الكامل	٣٢
١٩	الاجرع تحتله هند	الرند	الدال	الكامل	٤٦
٢٠	ابني البلاغة قيم حفل النادي	أياد	الدال	الكامل	٤٩
٢١	لا ومسك اللمى وورد الصدود	الصدود	الدال	الخفيف	٥
٢٢	خليلي ما للبيد قد عبقت نشرا	سكرا	الراء	الطويل	٤٨
٢٣	سقى العهد من نجد معاهده بما	الفطرا	الراء	الطويل	٧
٢٤	حياني على المدى بتحية	نضرا	الراء	الطويل	٢٠
٢٥	بنفسي من لا اسميه الا	اشارة	الراء	الخفيف	٥
٢٦	عذيري من جذلان بيدي كآبة	صفر	الراء	الطويل	٤
٢٧	اذا كان الذي يعرومهما	الصدور	الراء	الوافر	٣١
٢٨	بعيشك هل ابصرت من قبل احرفا	الزهر	الراء	الطويل	٣
٢٩	وفي اذنك الجوزاء قرطا معلقا	بهار	الراء	الطويل	١١
٣٠	لو جئت نار الهدى من جانب الطور	نور	الراء	البسيط	٦٢
٣١	وارض شلب وما شلب وان ولدت	أغمار	الراء	البسيط	١١
٣٢	هذه مساعي ابن حربون وكيف بها	سار	الراء	البسيط	٣
٣٣	وذي حنين يكاد يشجوا	اختلاسا	السين	البسيط	٤

٣٤	ادرها على امن فما ثم من باس	الآس	السين	الكويل	٣
٣٥	ومجدين للسرى قد تعاطو	كؤوس	السين	الخفيف	٣
٣٦	سلام ابا بكر عليك ورحمة	مختص	الصاد	الطويل	١٧
٣٧	ما مثل موضعك ابن رزق موضع	بتدفع	العين	الكامل	٦
٣٨	طرقت مطلع الثريا وولت	الوقوع	العين	الخفيف	٥
٣٩	انظر الى نقش البديع	الربيع	العين	البسيط	٥
٤٠	ولم ار مثل صفار تصدى	السيوف	الفاء	الوافر	٥
٤١	يا وردة جادت بها يد متخفى	ناسقي	الياء	الكامل	٤
٤٢	ذات الجناح تقلبي	الحقوق	القاف	الكامل المجزوء	٨
٤٣	ايها الامل خيمات النقى	الحدقا	القاف	الرمل	٣٠
٤٤	دعاك خليل والاصيل كانه	الباقي	الياء	الطويل	٩
٤٥	ومنضومة سبعا وعشرين درة	رحيقها	القاف	طويل	٥
٤٦	قالوا وقد اكثروا في حبه عذلي	متبذل	اللام	البسيط	١١
٤٧	وعشى رائق منظره	الشمول	اللام	الرمل	٥
٤٨	واقول ان لم افه بثنائكم	ونمام	الميم	الكامل	٤
٤٩	لمحلك الترفيع والتعظيم	التكريم	الميم	الكامل	٣٢
٥٠	سبقت ولكن في الفضائل كلها	او الرغم	الميم	الطويل	١١
٥١	من عاند الحق لم يعضده برهان	وسلطان	النون	البسيط	٣٣
٥٢	يا راكبا واللوى شمال	يمين	النون	البسيط	٦

٥٣	يا صاحبي على النوى ولأنتما	الاخوان	النون	الكامل	٤
٥٤	تفاحة اهديت اليه	وجنتيه	الياء	البسيط	٦
٥٥	محل ابن رزق جر فيه ديوله	السقيا	الياء	اطويل	٥
٥٦					
٥٧					

ثانيا - حروف الروي: ان الشاعر الحاذق الذي يريد لشعره الخلود في ذاكرة الزمن عليه ان يغوص في اعماق اللغة ويتحول بين حروفها الجميلة لينتقي منها الروي المناسب لوزنه وقافيته، وان يختار ما يناسب نفسيته وغرضه، فكلما كانت القافية جادة كانت القصيدة اكثر جدا وكلما كانت القافية مستهجنة كانت القصيدة مستهجنة مستكرهة[١].

والجدول الآتي يوضح انتشار حروف الروي في المقطعات والقصائد فقط.

ت	حرف الروي	عدد الابيات	النسبة المئوية
١	**الراء**	**٢٠٥**	**٣٠,٣٢٥**
٢	**الدال**	**١٠٠**	**١٤,٧٩٢**
٣	**الباء**	**٦٨**	**١٠,٠٥٩**
٤	**الياء**	**٥٤**	**٧,٩٨٨**
٥	**الميم**	**٤٧**	**٦,٩٥٢**
٦	**القاف**	**٤٣**	**٦,٣٦٠**
٧	النون	٤٠	٥,٩١٧
٨	الألف	٣٢	٤,٧٣٣
٩	**الصاد**	**١٧**	**٢,٥١٤**

[١] **ينظر المرشد :١ : ٣ - ١٢٨**

١٠	العين	١٦	٢,٣٦٦
١١	اللام	١٦	٢,٣٦٦
١٢	الحاء	١٣	١,٩٢٣
١٣	السين	١٠	١,٤٧٩
١٤	الهمزة	٦	٠,٨٨٧
١٥	الفاء	٥	٠,٧٣٩
١٦	الثاء	٤	٠,٥٩١
المجموع		٦٧٦	

ثالثا - القافية:

وهي ركن اساسي من اركان البيت الشعري فهي ((شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية))[١]، وهي ((بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الاذان في فترات زمنية مختلفة))[٢]، وهي تساعد كثيرا على اكتمال النص الشعري من جوانبه الايقاعية، ولهذا يقول صاحب نظرية الادب ((القافية ظاهرة بالغة التعقيد فلها وظيفتها الخاصة في التطريب كإعادة (او ما يشابه الاعادة) للاصوات))[٣]. وقد اشترط النقاد العرب في القافية ((ان تكون عذبة الحرف سهلة المخرج))[٤].

والقوافي نوعان:

القافية المقيدة : ((هي التي يكون رويها ساكنا))[٥]، وهذا النوع من القوافي قليلة الانتشار في الشعر العربي [٦] ، وفي شعر شاعرنا ايضا اذا نظم عليها احد عشر بيتا أي بنسبة ١,٤% من مجموع قوافيه وهي نسبة قليلة لا تكاد تذكر اذا ما قارناها بالقوافي المطلقة، ولعل الشاعر قد احس بالتقييد لقريحته الشعرية من جراء النظم على هذه القافية فلجأ الى القافية المطلقة، ومن انواع القافية المقيدة التي وردت عند الشاعر القافية المقيدة ((المتواترة)) وهي عبارة عن سكونين يفصل بينهما حرف متحرك[٧]، ومن ذلك قوله [٨]من البسيط:

---

(١) **العمدة : ١ : ١٥١.**

(٢) **موسيقى الشعر، د. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٢، ٢٤٦.**

(٣) **نظرية الادب : ٢٠٨.**

(٤) **نقد الشعر : ٤٢.**

(٥) **علم القافية، د. ضياء خلوصي، مطبعة المعارف – بغداد ١٩٦٣م : ٨ .**

(٦) **ينظر موسيقى الشعر:٢٦٠.**

(٧) **علم القافية : ٩ .**

(٨) **الديوان : ١١٤-١١٥.**

وجدول كاللجين سائل صافي الحشا ازرق الغلائل

عليه شكل صنوبري يفتل من مائه خلاخل

اذا جاءت القافية في كلمة (غلائل – خلائل) ساكنة مقيدة قبلها حرف متحرك قبله سكون ، والنوع الآخر من القوافي المقيدة التي جاءت عنده هي القافية المردوفة)) وهي القافية المحتوية علىحرف مد قبل الروي))[١] ومن ذلك قوله[٢] (من الكامل المجزوء):

ذات الجناح تقلبي بجوانح القلب الخفوق

وسليها بأرق من عطفي قضيبهما الوريق

فقد اعطت القافية المردوفة ايقاعا جميلا ساهم في تحسين صورة البيت الشعري . اما القافية المطلقة فهي ((القافية التي يكون رويها متحركا))[٣]، وشغلت هذه القافية مساحة واسعة من شعر الرصافي البلنسي لما فيها من حرية للشاعر في اختياره للروي المناسب لغرضه ، وجاءت هذه القافية بانواعها عند الشاعر ، فالقافية المطلقة المجردة من الردف[٤] والتأسيس كقوله في الوصف (من الكامل)[٥]:

وعشية ليست رداء شحوبها والجو بالغيم الرقيق مقنع

بلغت بنا امد السرور تألقا والليل نحو فراقنا يتطلع

فابلل بها رمق الغبوق فقد اتى من دون قرص الشمس ما يتوقع

فقد زادت القافية المطلقة من جمالية البيت وزادت من نغماته الموسيقية . وربما يكون روي القافية المطلقة موصولا بالف الاطلاق من ذلك قوله: [٦]

---

(١) **علم القافية : ٩.**

(٢) **الديوان : ١٠٩-١١٠.**

(٣) **علم اقافية : ٨.**

(٤) **الردف : هو حرف مد او بين يقع قبل الروي.**

(٥) **الديوان : ١٠٦.**

(٦) **نفسه : ٦٩.**

محل اغر العهد لم نبد ذكره　　على كبد الا امترى ادمعا حمرا

وقوله (من الطويل)[١]:

سقى العهد من نجد معاهده　　يغار عليها الدمع ان تشرب القطرا

وورد نوع آخر من القوافي عند الشاعر الا وهي القافية المؤسسة التي تأتي بعد الف، يفصلها عن الروي حرف متحرك يسمى بـ (الدخيل[٢]) كقوله[٣] (من الخفيف):

اجعل العلم اولا　　واجعل الشعر آخرا

فاذا ما فعلت ذا　　كنت لا شك شاعرا

وقوله (من الكامل)[٤]:

اقوى محل من شبابك اهل　　فاقمت اندب منه رسما عافيا

فقد جاءت القافية المطلقة المؤسسة الموصولة بالف الاطلاق اذ وقع الحرف الدخيل الفاء بين الروي والف التأسيس مما اعطى للبيت ضربات موسيقية رائعة، زادت من جمال البيت وحددت المعنى تحديدا كاملا.

والنوع الاخير من القافية المطلقة التي وردت عند الشاعر هي القافية المردوفة)) وهي القافية التي تأتي بعد حرف مد او لين [٥] من ذلك قوله [٦] (من البسيط):

يسل مقوله ان شام منصله　　وللخطاب كما للحرب اوطان

---

(١) **الديوان : ٧٤.**

(٢) **ينظر علم القافية : ١٠.**

(٣) **الديوان : ٧٩ .**

(٤) **نفسه : ١٣٣ .**

(٥) **ينظر علم القافية : ٣٤.**

(٦) **الديوان : ١٣٠.**

وقوله (من البسيط)[1]

فكن من الظفر الاعلى على ثقة منك الضبا ومن الاعناق اذعان

فالقافية المردوفة في البيتين قد اضفت نوعا من الايقاع الموسيقي العذب على هذين البيتين ووضحت صفات الممدوح وهي العلم والشجاعة وطاعة الرعية له.

من خلال ما تقدم وجدنا بان قوافي الرصافي البلنسي جميلة رشيقة عذبة تشتمل على الايقاع والموسيقى تطرب النفوس وتمنحها نشوة الاستمتاع والارتياح،وقوافيه شأنه شأن الشعراء الاخرين موزعة بين التقييد والاطلاق.

---

[1] **الديوان** :

الموسيقى الداخلية :

تؤلف الموسيقى الداخلية وحدة النص الموسيقية والصوتية بمشاركة الموسيقى الخارجية من خلال النغم الايقاعي الذي تحدثه الالفاظ، وهي موسيقى((خفية تتبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات وكأن للشاعر اذنا داخلية وراء اذنه الظاهرة تسمع كل شكله وكل حرف وحركة بوضوح تام))[١]، ((فالايقاع الداخلي للألفاظ، والجو الموسيقي الذي تحدثه عند النطق بها، يعتبر من اهم المنبهات المثيرة للأنفعالات الخاصة المناسبة، كما ان له ايحاء خاصا لدى مخيلة المتلقي والمتكلم على السواء))[٢]. وللرصافي البلنسي اذن موسيقية جعلته ينوع موسيقاه الداخلية في : الجناس، التكرار، ورد الاعجاز على الصدور، الترصيع، التدوير.

اولاً - الجناس :

هو التماثل بين لفظتين تماثلاً تاماً او جزئياً مع الاختلاف في المعنى [٣]، يلجأ اليه الشعراء لخلق نوع من الانسجام بين الالفاظ من خلال اثارة هذه الالفاظ للتناغم الموسيقي والتماثل في الصورة، وهو نوعان :

أ - **الجناس التام** : وهو ((ان تتفق الكلمتان في لفظهما ووزنهما وحركتهما ولا يختلفان الا من جهة المعنى))[٤] ونماذج هذا النوع تكاد تكون محدودة عند الشاعر من ذلك قوله: [٥]

---

(١) **في النقد الادبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف- مصر، ط٣، ١٩٦٢م : ٩٧ة.**

(٢) **الاسس النفسية لأساليب البلاغة العربي : ٣٨.**

(٣) **فنون بلاغية : د. احمد مطلوب، دار البحوث العلمية، ط١، ١٩٧٥م : ٢٢٤.**

(٤) **فنون بلاغية :**

(٥) **الديوان : ٨٦.**

وقالوا: تجلى بالمشيب عذاره فقلت: تجلى بالمشيب عذاري

فجانس الشاعر بين (عذار-عذار) فالاولى بمعنى الشعر النابت في العارضين والثانية شدة العزم والاصرار.

ومن استعماله للجناس التام قوله: [1]

وارحموا في غسق الظلماء بات بالدمع يبل الغسقا

فالجناس حاصل بين)غسق – الغسقا) فالاولى بمعنى الظلام والثانية بمعنى الخد للدلالة على ما يعانيه الشاعر من الآم الحب والهوى بسبب جفاء الحبيب له.

ب-الجناس الناقص : وهو ما اختلف فيه ((اللفظان في الهيئة دون الصورة))[2]. وقد نال هذا النوع من الجناس الحصة العظمى من اشعاره وهو على انواع[3] منها :

١-الجناس المضارع ((وهو ان يجمع بين كلمتين لا اختلاف بينهما الا في حرف واحد))[4]، من ذلك قوله:[5]

اذا جن ليل الحب لم يدر نائم به ما يقاسي هائم ويداري

اذ جانس بين (نائم – هائم) و (يدري – يداري) فاختلفت كل من الكلمتين واختلفتا في المعنى، فكلمة نائم تعني النوم، وهائم تدل على الحب والشوق . اما كلمة : يدري فيعني المعرفة بالشيىء، ويداري تعني الاهتمام الزائد بالشيء مما اعطى الجناس الناقص قوة معنوية للابيات ساعد في اظهار الايقاع الداخلي لها، وقوله[6]:

---

(١) **الديوان : ١١١.**

(٢) **مفتاح العلوم للسكاكي : مطبعة التقدم العلمية بمصر ١٣١٩هـ : ١٨١.**

(٣) **فنون بلاغية : ٢٢٥.**

(٤) **المصدر نفسه:٢٢٨.**

(٥) **الديوان : ٨٥.**

(٦) **نفسه : ٦١ .**

فعلت كرائمهم بهم وعلا [فوق] السماك النهد والجهد

فالجناس حاصل بين (النهد – الجهد).

وقوله[1]:

ما زال يقضمها التقوى بموقدها صوام هاجرة قوام ديجور

فالجناس الناقص كان في لفظتي (صوام – قوام) ، فالاولى تدل على المبالغة أي بمعنى كثير الصوم والثانية تدل على المبالغة ايضا بمعنى كثير القيام في الليالي المظلمة وهي صفات للمتقين مما حفز الشاعر على خلق اجواء موسيقية في اشعاره ساعدته على توضيح المعنى المراد وهو ابراز صورة عبدالمؤمن والصاق التقــوى بشخصه والتي تدل على ان الممدوح قريب الى نفسية الشاعر التقية الورعة نظــرا لما تتمتع به من صفات الزهد والورع.

ومن جناس المضارع قوله:[2]

فان يكن بيد المهدي قائمه فموضع الحد منه جد مشهور

والجناس الناقص حصل بين لفظتي (حد-جد) فاختلفت اللفظتان بحرف واحد جاء في بداية الكلمة فقد زاد الجناس هنا من ايحاء البيت الــشعري علــى شــجاعة الممدوح ورسم صورة له بالغة الدقة فكان هذا الممدوح هو الجزء القاطع من السيف بيد مؤسس دولة الموحدين المهدي ابن تومرت.

ومنه ايضا قوله: [3]

---

(1) **الديوان** :٨٨.

(2) **نفسه**:٩٦.

(3) **نفسه**:٦٠.

حمدوا الى جد واعقبهم حمد بأحمد ما له حد

فالجناس الناقص في قوله (جد-حد) و (حمدوا-حمد-احمد)، فالحمد جاء بمعنى الثناء هنا، اما كلمة احمد فتعني الشخص الممدوح وهو الوزير احمد الوقشي ويظهر في هذا البيت التكلف والصنعة كما اشار اليهما د. محمد مجيد السعيد[١].

٢ –الجناس المطلق : ويعني ((ان تختلف الاحرف وتتفق الكلمتان في اصل واحد يجمعهما الاشتقاق))[٢] ومثل ذلك قوله: [٣]

خليلي ان اصدر اليها فانها هي الوطن المحبوب اوكلته الصدرا

اذا جانس بين ((اصدر – الصدرا)) فالاولى تدل على الخروج والثانية تدل على الصدر الذي يحوي القلب المشتاق ، لذا اراد الشاعر التعبير عن حبه وحنينه الى بلدته التي ملأت قلبه شوقا وحبا، وقد ساعد الجناس على احداث هذا التناغم الموسيقي في البيت الشعري. وكذلك قوله: [٤]

ومن سابق هذا اذا شاء غاية شأي غير مجهود جياد العلا خضرا

والجناس المطلق في قوله (شاء – شأي) فالاولى بمعنى أراد ، والثانية بمعنى الانطلاق من الجري .

وقوله:[٥]

حتى لقد خلتني شعشعت بينهم خمرا فمن مخمور وخمار

فالجناس حاصل بين (مخمور – خمار) فالاولى تعني الشخص الذي غلبه الخمر والثانية تعني المدمن على الخمر.

---

(١) **ينظر الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٣٤١.**

(٢) **فنون بلاغية : ٢٢٥.**

(٣) **الديوان : ٧١.**

(٤) **نفسه :**

(٥) **نفسه : ٩٩.**

ويرد نوع آخر من الجناس الناقص عند الشاعر الا وهو الجناس المختلف وهو ((ان تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها[١] وهو قليل عند الشاعر من ذلك قوله:

غزيل لم تزل في الغزل جائلة بنانه جولان الفكر في الغزل[٢]

فالجناس الناقص في قوله (الغزل-الغزل) فالاولى تعني الصوف والثانية تعني التشبيب والحب.

من الامثلة السابقة نلحظ ان الشاعر استعان بالجناس كوسيلة فنية جميلة اجاد فيها غاية الاجادة. وحقق بذلك انطباعا موسيقيا داخليا في الابيات الشعرية جعلت المتلقي يحس ويتذوق حلاوة الالفاظ التي تفيض بالجرس الموسيقي الاخاذ.

ثانيا : التكرار هو ((تناوب الالفاظ واعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغما موسيقيا يتقصده الناظم في شعره او نثره))[٣]، وقد عرفت القصيدة العربية منذ زمن بعيد هذه الوسيلة اللغوية والايحائية والتي تؤدي وظيفة تعبيرية تساعد على زيادة فعالية القصيدة[٤]، وقد لجأ شاعرنا الرصافي البلنسي الى هذا الاسلوب حرصا منه على إعطاء قصيدته قيمة صوتية عالية، ونعم موسيقى تتلذذ له الاسماع وتنشرح له القلوب، وورد هذا الاسلوب عند نقادنا الاوائل فعينوا المواضع التي يستحسن فيها والمواضع التي يستقبح فيها، يقول ابن رشيق ((اكثر ما يقع التكرار في الالفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الالفاظ اقل، فاذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه))[٥].

---

(١) **فنون بلاغية : ٢٢٥.**

(٢) **الديوان : ١١٧ .**

(٣) **جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر - بغداد، ١٩٨٠م : ٢٣٩.**

(٤) **بناء القصيدة الحديثة، علي عشري زايد، مكتبة دار العروبة – الكويت، ١٩٨١م : ٦٠.**

(٥) **العمدة : ٢ : ٧٣-٧٤.**

وجاء التكرار عند الشاعر بصور متعددة منها : تكرار الحروف في كل بيت شعري من خلال ما يحدثه من ايقاع موسيقي جذاب ، ومن هذه الحروف التي تكررت في شعره هي (السين – والصاد) والتي تسمى بالحروف الصفيرية[١] من ذلك قوله [٢]:

فلما انطوى ذاك الاصيل وحسنه　　على ساعة من انسنا صحت الرؤيا

فتكرر حرف الصاد مرتين وحرف السين ثلاث مرات مما اعطى للبيت نغمة موسيقية صاخبة. ومن تكراره للكاف والنون قوله: [٣]

وكنت اراني في الكرى وكأنني　　اناول كالدينار من ذهب الدنيا

فتكرار حرف النون ثماني مرات فضلا عن تكراره للكاف اربع مرات قد احدث جوا موسيقيا مزدحما بالحركة والايقاع ساعد كثيرا في تحديد ملامح الصورة الشعرية لهذا البيت.

ويتكرر عنده حرف الفاء في قوله: [٤]

ومستفهم لي كيف كان ورودها　　فقلت له: ورد الشفاء على السقم

فقد صدقت رؤياي رقعتك التي　　كست عقبي من سؤدد ضخم

فالقاف والراء قد تكررا اربعة مرات في البيتين مما افاد في توزيع الموسيقى على هذين البيتين وترابط الالفاظ فيما بينهما وقوله:[٥]

---

(١) **الاصوات اللغوية :دكتور ابراهيم انيس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦١ م .**

(٢) **الديوان : ١٣٣.**

(٣) **نفسه.**

(٤) **نفسه : ١٢٥.**

(٥) **الديوان : ٤٠.**

يحلو على طرف اللسان كأنما عسل وماء لفظها المستعذب

بلغت بك الايام قاصية المنى مما تحاوله الكرام وتطلب

ان الشاعر مال في هذين البيتين الى تكرار حرف الميم والتاء، فالاول تكرر سبعة مرات، والثاني اربعة مرات، ويومي ذلك الى تناغم موسيقي جميل داخل فضاء البيت الشعري ينسجم وصورة البيتين الجميلة التي ترسم صورة هذا المولود، الذي يحمل كل صفات الانسان الحميدة وهو غاية ما يتمناه كل كريم.

ويرى الباحث ان الشاعر في ميله لتكرار الحروف قد جاء من اجل غاية معينة هو ابراز الموسيقى الناشئة عن هذا التكرار فهو لم يكرر حروف معينة وانما حاول ان يكرر اكبر قدر ممكن من الحروف دون ان يؤثر ذلك على المعنى. مما يؤكد براعته اللغوية والفنية.

والنمط الآخر للتكرار عند الشاعر هو تكرار الالفاظ من ذلك قوله: [1]

لاو سهم جاء من نحوكم انه اقتل سهم فوقا

فتكرار كلمة (سهم) في صدر البيت وعجزه قد ملأ البيت الشعري موسيقى عذبة حسنت كثير من صورة البيت ووضحت ما يعانيه الشاعر من الوجد والشوق وما يتعرض له قلبه من الصد من قبل الحبيب والذي سبب له هذه الجراحات العميقة التي تفوق وقع السهام

وقوله في الرثاء:[2]

جارا لأفراد هنالك جيرة سقيا لتلك الجيرة الافراد

فتكرر لفظ (الجار) ثلاث مرات ولفظ (الافراد) مرتين،قد احدثت موسيقى داخلية عذبة ساعدت ابراز المعنى وهو اشارة الشاعر الى ما يتمتع به الجار في

---

(1) **نفسه : ١١٢.**

(2) **نفسه : ٦٤ .**

الاسلام من منزلة عالية ، التي توجب الانسان الاحتفاظ بجزء من الوفاء للجار حتى بعد وفاته ، وقد لمسنا هذا الوفاء عند الشاعر بالدعاء لهذا الفقيد بالسقيا .

ثالثاً - رد الاعجاز على الصدور :

يتميز الشعر العربي بميزة اختلف بها عن الشعر في اللغات الاخرى الا وهي نظام الشطرين، الصدر والعجز، وهذا المصطلح يعني ان يأتي الشاعر بكلمة او قافية في نهاية البيت الشعري ويشتقه من كلمة في صدره، ويلجأ اليه الشاعر لتحقيق تماسكا وقوة في النظم، وتوحيد نغمته الموسيقية والايقاعية من خلال تكراره لكلمات معينة بين صدر البيت وعجزه وتكراره لأصوات هذه الكلمات، اذ (يكسب البيت الذي فيه ابهة، ويكسوه رونقا وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة)[١]، وهو من الفنون البديعية التي شاعت في شعر الرصافي البلنسي بصوره المتنوعة فمنها :

١ -ما يوافق آخر كلمة في الشطر الثاني، للكلمة الاولى في الشطر الاول ومن ذلك قوله: [٢]

بجسر معان والرصافة إنه　　على القطر ان يسقي الرصافة والجسرا

فكلمة (جسر) في صدر البيت وافقت الكلمة نفسها في نهاية البيت مما اعطت البيت الشعري ايقاعا داخليا تولد نتيجة لتكرار الكلمتين في اول البيت ونهايته، وقوله:[٣]

داره القلب وهو يحتل اخرى　　قدس الله حيثما حل داره

فالكلمة الاولى وافقت الكلمة الاخيرة في عجز البيت، وهذا ما يسمى (بالتوشيح) الذي اشار اليه قدامة بن جعفر بقوله ((ان يكون اول البيت شاهدا بقافيته،

---

(١) **العمدة : ٢ : ٣.**

(٢) **الديوان : ٦٨.**

(٣) **نفسه : ٧٨.**

ومعناها متعلقا به حتى ان الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها، اذا سمع اول البيت عرف آخره وبانت له قافيته))[١] ومنه قوله: [٢]

ومن المتمم في الزمان صنيعة الا كريم شأنه التتميم

فالبيت يدل على ان اكمال الاعمال العظيمة من شأن الكرماء، فليس كل انسان يستطيع حمل اعباء هذه المهمة الا هذا الممدوح، لذلك كان ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى ابيت ائتلافا متناسقا.

٢-ما يوافق اخر كلمة في عجز البيت آخر كلمة في صدره ومنه قوله: [٣]

قد رزقناها وكانت عيشةٍ قلما فاز بها من رزقا

وكذلك قوله: [٤]

ما ان يني تعب الاطراف مشتغلا افديه من تعب الاطراف مشتغل

فالموافقة حاصلة بين آخر كلمة في عجز البيت وبين آخر كلمة في صدره،وترافق مع التكرار في احداث ايقاعا واضحا على البيت الشعري مما أعطاه نوعا من الرقة والعذوبة التي توافق مقام الغزل. وكذلك قوله:[٥]

هيهات ابغي سواه في الهوى بدلا اخرى الليالي وهل في الحب من بدل

فلفظة بدل في نهاية البيت الشعري وافقت كلمة بدل في نهاية صدر البيت مما خلق هذا التوافق نوعا من الموسيقى الداخلية ساعدت على تناسق البيت واكسبته رونقا وجمالا.

---

(١) **نقد الشعر** : ١٦٦.

(٢) **الديوان** : ١٢٢.

(٣) **نفسه** : ١٢٢.

(٤) **نفسه** : ١١٧.

(٥) **نفسه** : ١١٦.

٣-ما يوافق كلمة في نهاية عجز البيت كلمة في حشوه ومنه قوله: [١]

تصدى بها الركب المغرب غدوة فقلت: امن دارين مدلج الركب؟

فقد وافقت كلمة (الركب) في نهاية العجز نفس الكلمة في حشو البيت مما زاد من ترنم البيت وايقاعه.

---

[١] **الديوان : ٤١.**

رابعاً - الترصيع:

(هو جعل البيت الشعري مسجوعا او شبيه بالمسجوع)[١]، وسمي بالترصيع ((من قولهم رصعت العقد اذا فصلته))[٢]، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن الاثير وهو يعني عنده المساواة بين الالفاظ في الوزن والقافية)[٣]، وعلى هذا الاساس يكون الترصيع نمطا موسيقيا يعطي البيت الشعري نغمات موسيقية منبعثة من السجع مما يدخل البهجة في النفس فتطرب له الاسماع، لذلك اولع شاعرنا الرصافي البلنسي بهذا الاسلوب ليخلق موسيقى داخلية مصطنعة في حشو البيت لكي ينال استحسان المتقي واعجابه، من ذلك قوله: [٤]

لمحلك الترفيع والتعظيم ولوجهك التقديس والتكريم

فكلمة (لمحلك) تقابل بالوزن كلمة (لوجهك) وكلمة (الترفيع) تقابل كلمة (التقديس) وكلمة (التعظيم) تقابل كلمة (التكريم) وعلى هذا النحو تجري ابيات الرصافي البلنسي، وكذلك قوله:[٥]

انيق كريعان الحياة التي ظلت طليق كريان الشباب الذي مرا

وله كذلك :

لا ولا البدر مثل صبح المحيا لا ولا الند[٦] مثل ختم النهود[٧]

---

(١) **العمدة : ٢ : ٢٥.**

(٢) **الصناعتين : ٣٩٠.**

(٣) **ينظر المثل السائر : ١ : ٢٦٤.**

(٤) **الديوان : ١٢٠ .**

(٥) **الديوان : ١٢٠.**

(٦) **نفسه**

(٧) **نفسه : ٦٦.**

فالتواتزن بين الالفاظ قد خلق موسيقى داخلية وايقاعا لاجـذابا منبعثـا مـن السجع مما اكسب البيت الشعري قدره النفاذ الى اذهان وعقـول المتلقـين جعلـتهم يعيشون اجواء من الطرب والسرور.. وقوله [1]:

غصن بان وزهر روض جمال ريم انس وبدر افق سعود

فالعذوبة ورشاقة الالفاظ قد بدت واضحة وفاضت منها الموسيقى في اكثـر من جانب، فقد احدث الترصيع ترددا نغميا مع تكرار (النون) ثلاث مـرات سـاعد على ايجاد نغما ايقاعيا رائعا دللت على اقتدار الشاعر وبراعته في النظم.

وقوله:[2]

فارسل الماء عن فراق وارسل الريح عن رقيب

فالالفاظ متطابقة في الوزن والقافية مما اعطى البيت الشعري شحنة موسيقية جميلة، وعلى هذا المنحى يمضي الشاعر في ترصيعه.

نستشف من الامثلة السابقة ان شاعرنا يمتلك موهبة عروضية عالية جعلتـه يضع الالفاظ في مكانها الصحيح اللائق مما يدل علـى براعـة الـشاعر وتفننـه وعبقريته في حسن استعماله للالفاظ واستغلاله لإيحاءاتها التعبيرية عـن خلجـات نفسه.

---

(1) **نفسه** : ٦٧.

(2) **نفسه** : ٤٨.

خامساً - التدوير:هو (ان يستدعي وزن البيت ان يكون بعض حرف من كلمة في آخر الشطر الاول داخلة في وزن الشطر الثاني) [١]

ويحاول الشاعر من خلال هذا الاسلوب ان يجعل للبيت الشعري موسيقى داخلية تتولد من خلال دوران الالفاظ فيه، فالبيت الشعري في هذا الفن عبارة عن وحدة متصلة لا يمكن فصل الشطر الاول عن الثاني من جهة المعنى ونحن لم نجد تدويرا في مطالع القصائد عند الرصافي البلنسي وانما جاء التدوير عنده في ابياته الداخلية لكي يجعل المعنى متصلا ومسترسلا في البيت الثاني فلا يحرم المتذوق من متعة التشويق في قراءة اكبر عدد من الابيات دون قيود ومن ذلك قوله: [٢]

وتساقطي بالسرحتيـ ـين تساقط الدمع الطليق

وقوله:[٣]

نعم الحديث الحلو تملكه الـ ـركبان حيث رمى بها الوخد

وقوله:[٤]

ولقد أراني بالبلاد و آمال البلاد ببابه وفد

وقوله:[٥]

يا دار دار امير المؤنين بسفـ ـح الطود ، طود الهدى، بوركت في الدور

لقد افاد التدوير في الابيات السابقة استكمال معاني الابيات وذلك بارتباط الشطر الاول بالشطر الثاني برابطة المعنى فضلا عن الموسيقى المتولدة عن هذا الارتباط.

---

(١) **الشعر والنغم ، د - رجاء عبير ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .**

(٢) **الديوان : ١١٠ .**

(٣) **نفسه : ٦٠ .**

(٤) **نفسه : ٦١.**

(٥) **الديوان : ٨٨.**

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة مع الرصافي البلنسي والتي وجدناه فيها علماً بارزاً من اعلام الشعر العربي في الأندلس، وله – كما رأينا في مختلف فصول الدراسة – جضه الوافر من الاصالة والشاعرية، وبراعته في الوصف والتصوير ، واسلوبه الخاص في التعبير عن خلجات نفسه، وعلى الرغم من حياته القصيرة، الا انها مليئة بالتجارب والمشاهد والخبرات، والتيارات الثقافية التي انعكست على شعره. كما ظهر لنا ان الشاعر ولد في بداية النصف الأول من القرن السادس الهجري في بيئة اسلامية خالصة وتلقى ثقافته العربية الاسلامية في مدينة بلنسية فغلبت على شعره روح المحافظة على الاصول المشرقية والتي شملت القرآن الكريم واللغة العربية وكتب التراث. اما مكانته الشعرية والتي حضيت باهتمام النقاد والباحثين والمؤرخين القدامى والمحدثين في شعره، فقد تبعت هذه الآراء والتي وضعته في مكانه الحقيقي وارتقائه المكانة المناسبة التي يستحقها كشاعر مرموق له منزلته بين شعراء الاندلس، لأن لهذه الاحكام اهمية كبيرة كونها صادرة من علماء لهم خبرتهم في تذوق الشعر وتقويمه.

- ففي دراستنا الموضوعية وجدنا الشاعر قد طرق اغلب اغراض الشعر والتي تصدرها المدح، ففي مديحه السياسي جنح نحو حكام الموحدين والتي اظهر فيها نوعاً من التعاطف نحو هؤلاء الحكام الذين يرى الشاعر فيهم رمزا لانقاذ الوجود الاسلامي العربي في تلك البقاع التي يتربص بها الاعداء في كل لحظة، في حين كان الدافع لمدائح الرصافي البلنسي احساسه بعظم الدور الذي يودّه هؤلاء الحكام في الدفاع عن الاسلام والمسلمين وهي غاية خلقية نبيلة جسدها الشاعر في شعره مبتعدا عن المدح التكسبي الذي يبذل الشاعر فيه كرامته من اجل الحصول على المكسب الملطخ بالذل والمهانة.

- ان ابراز الفضائل والمعاني التي تناولها في مديحه هي المعاني نفسها التي تردت في الشعر العربي قديماً واقرها النقاد الاوائل والتي شملت الشجاعة والعدل

والبطولة والعلم والحلم والعقل والشرف... الخ. والسبب في ذلك برأينا ان المدح غرض تقليدي ارسيت قواعده منذ القدم فضلا عن معانيه التي حددها النقاد الاوائل، لذلك يجد الشاعر نفسه مكبلا بهذه القيود مما يجعله يدور في فلك معاني الشعراء السابقين.

- اما الوصف فقد برع الشاعر فيه وبلغ منزلةً عالية نالت استحسان النقاد لا سيما وصف الطبيعة والجديد المبتكر في وصفه هو وصف اصحاب المهن ومن خلالهم يصف هذه المهن ببراعة، والابتكار الاخر في وصفه هو وصف مظاهر الحضارة ومنها وصف الدولاب والصنوبرة والتي جعلته يتميز في هذا الجانب عن شعراء عصره.

- وفي موضوع الاخوانيات ركز الشاعر على المعاني الانسانية والاجتماعية والذاتية والتي اظهر فيها تمسكه بروابط الاخوة والصداقة والمحبة والوفاء... الخ حرصاً منه على قيام مجتمع متماسك يسوده التعاون ويعمه الامن والسلام، وهي معاني جاءت من صلب عقيدة الاسلام الحنيف.

- والغزل لم يظهر غرضاً مستقلاً عند الشاعر، فجاء غزله عفيفاً تغلب عليه الرقة، ومثل فيه دور المحب ببراعة على الرغم من انه لم تكن له علاقة عاطفية مع امرأة معينة .

- وفي غزله الغلماني كان موفقا في هذا الضرب من الشعر فأظهر تعلقه بهذا الفتى او ذاك وهذا الغزل لا ينبع من نفسية ماجنة وانما هو التقليد ومجارات الشعراء في عصر سيما وان هذه الظاهرة انتشرت بكثرة في ذلك العصر والداعي لها هو حياة اللهو والمجون بين احضان الطبيعة الساحرة.

- والرثاء لم يحظ بالنصيب الوافر، فكان غرضاً ثانوياً والذي وجدناه مجيدا في هذا الغرض الشعري ، والذي نم عن عاطفة فياضة وصدق المشاعر .

- اما الحنين فجاء عند الشاعر غرضاً آنيا املته ظروف الهجرة والبعاد عن موطن الصبا والذي بدا فيه يذرف الموع الغزار على بلنسية التي هجرها وظل يذكرها في شعره وانها لم تغب عن باله في يوم من الايام.

- واقل الاغراض في شعره هو الهجاء ويكاد لا يذكر، والسبب كما نرى نفسية الشاعر التي تأبى ذكر معايب الناس وفي هذا جانب اخلاقي يوافق الشاعر به قيم وتعاليم الاسلام التي تنهى عن هذا النوع من الشعر لما فيه من زرع الضغينة والعداوة وتفسد العلاقات ما بين افراد المجتمع.

- وفيما يخص الدراسة الفنية، فقد تناولت بناء القصيدة عند الرصافي البلنسي ووجدت انه التزم قواعد القصيدة المدحية من تشبيب ووصف الرحلة وذكر الممدوح متعرضا لمطالع قصائده، وحسن التخلص، وبعدها الخواتيم وقد الفيناها متنوعة لا تسير على نمط واحد، والنمط الاكثر وضوحاً عنده القصائد الخالية من المقدمات والسبب في ذلك الظروف العصيبة التي عاشتها الاندلس وكثرة النزاعات والحروب.

- وفي دراستنا للغة الشاعر لمسنا الامكانية الواسعة في قدرته على تطويع اللغة في اشعاره لتتصهر في هذه النصوص حاملة معها ذوق العصر وتحضره، وتكلمنا عن المعجم الشعري واختياره لألفاظه من القاموس العربي القديم، ومال في لغته نحو جزالة الالفاظ وفخامتها في موضوع المدح ورقتها المتناهية في موضوع الغزل والحنين والاخوانيات والذي مكنه من ذلك ثقافته اللغوية الواسعة وامتلاكه لخزين ثر من الالفاظ الشعرية المعبرة، ولم نجد في الفاظه أي اثر للمفردات الاعجمية مما يؤكد صفاء لغته ومتانتها.

- يمكن ان ندرج اسلوب شاعرنا تحت (الاسلوب السهل الممتنع)، فقد مزج بين الجزالة والرقة في الفاظه، وكان يبالغ في استعمال التشبيهات والاستعارات، ومن خلال دراستنا لخصائص اسلوبه تبين لنا انه كان يكثر من اساليب الاستفهام والتقديم

والتأخير ، والشرط ، والنداء ، والامر والنهي ، والدعاء، وقد وفق في استعمالها الى حد الاجادة على الرغم من اخفاقه في نزر قليل منها.

- واما الصورة الشعرية فقد اعتمد في تشكيلها على الفنون البيانية والبديعية فوجدناه في صوره الشعرية مرهف الحس يقتنص ببراعة تدل على خياله الواسع وعواطفه الجياشة فجعل من اشعاره لوحة فنية بديعة الاتقان .

- وكان المبحث الاخير قد تناول الموسيقى الشعرية والاوزان والذي سلك الشاعر فيه النهج الذي اتبعه العرضيون في النظم فجاء بحر الطويل بالمرتبة الاولى وتلاه الكامل وحل الوافر ثم تسلسلت بقية البحور وكان الشاعر واعياً في اختياره لبحوره واستخدم قوافي اللام والراء والميم والنون... الخ وهي شائعة الاستعمال في الشعر العربي .

- اما الموسيقى الداخلية والتي شملت الجناس والتكرار ورد الاعجاز على الصدور الترصيع والتدوير . والتي استطاع الشاعر من خلالها ان يخلق اجواء موسيقية جميلة ساعدت على ايجاد نوعا من التطريب داخل الابيات الشعرية.

لقد حاول البحث دراسة الشعر القديم برؤية معاصرة فينسق من تحليل النصوص والوقوف عند ابرز المحاسن والمساوىء لكي نكون موضوعيين في احكامنا مبتعدين عن التعصب الاعمى والهوى الشخصي .

وفي الختام اتمنى ان تكون هذه الدراسة فاتحة خير لدراسات اكثر عمقا، لتمهيد الطريق الى ابراز تراثنا المشرق في الاندلس على حقيقته الناصعة والتي هي ثمرة الباب وقرائح مثمرة خلقت لنفسها الاحترام والثناء فخلدت في سجل التاريخ.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم :

-اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري- د.يوسف حسين بكار، دار المعارف مصر، ط١،١٩٧١م.

-الاحاطة في اخبار غرناطة لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٤م.

-اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، لابي بكر الصنهاجي ،تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة بولس لنتر ، باريس ١٩٢٨ م .

- الاخوانيات في شعر العصر العباسي الاول ، رمضان صالح عباس ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩ م .

- الاخوانيات في الشعر الاندلسي من عصر الطوائف الى افول الحكم العربي ، عباس احمد سالمين ، كلية الاداب / جامعة بغداد ، ٢٠٠١ م .

-الادب الاندلس موضوعاته وفنونه، د. مصطفى الشكعة. دار العلم للملايين، ١٩٧٤م

-الادب العربي في الاندلس ، علي محمد سلامه، الدار العربية للموسوعات ، بيروت – لبنان ١٩٨٩م.

- الادب العربي في الاندلس ، د . عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥ م .

-الادب في ظل بني بويه، د. محمود غناوي، مطبعة الامانة – مصر ١٩٤٩.

-ادباء العرب في عصر الانبعاث، بطرس البستاني، دار المكشوف و دار الثقافة (د-ت).

-ادباء مالقة المسمى (مطلع الانوار ونزهة البصائر والابصار) لابي بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس المالقي (ت٦٣٨هـ)، تحقيق صلاح جرار، دار البشير، مؤسسة الرسالة ، عمان – الاردن ١٩٩٩م.

-الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى،للشيخ ابي العباس احمد بن خالد الناصري ،ت١٣١٥هـ) ، تحقيق جعفر الناصري، و محمد الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء، ١٩٥٤.

-الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، رسالة دكتوراه، كلية العلوم – جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.

- الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة

-الاسلام في المغرب والاندلس، ليفي بروفنسال، ترجمة السيد محمود عبدالعزيز و محمد صلاح الدين، مكتبة النهضة – مصر (د-ت).

-اشعار ابي الشيص الخزاعي، د. عبدالله الجبوري، وزارة التربية، ١٩٦٧.

-الاعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ١٩٧٩ م .

-الاعلام عن اصل مراكش واغمات في الاعلام ، تأليف عباس بن ابراهيم المراكشي ، المطبعة الجديدة ، بطالعة فاس ، ١٩٦٠ .

-الاعمى التطيلي، (دراسة موضوعية فنية) محمد عويد، كلية التربية، جامعة الانبار، ١٩٩٩م.

-اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام ، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٥٦.

-آمالي اليزيدي، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٥٨ م.

-الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحدي، د. عباس الجراري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ١٩٧٩م.

-الانيس المطرب بروض القرطاس في ملوك المغرب ومدينة فاس ، لأبن ابي زرع، طبعة فاس ١٨٨٥م.

-انوار الربيع في انواع البديع، السيد علي صدر الدين، تحقيق د. شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان – النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٨م.

-الايضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة (د-ت).

-بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، (ابو جعفر احمد بن يحيى ابو عميرة الضبي القرطبي) (ت٥٩٩هـ)، طبع في مدينة مجريط بمطابع روخس ١٨٨١م.

-بناء القصيدة في النقد العربي القديم، د. يوسف حسين بكار، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣م.

- البيان المغرب ، لابن عذارى المراكشي ، تحقيق محمد بن تاوت واميروس هوسي مراندة ، دار كراماديس للطباعة ، تطوان ، ١٩٦٠ .

- تاريخ الادب العربي ، د . عمر فروخ ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

-تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين للمستشرق يوسف اشباخ، ترجمة عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مؤسسة الخانجي – القاهرة (د-ت).

-تاريخ الاندلس، لأبن الكردبوس ووصفه لابن الشباط (نصان جديدان)، تحقيق د. احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٧١م.

-تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى، د. محمد عبدالرحيم غنيمة، تطوان ١٩٥٣م.

-تاريخ الفكر الاندلسي، أنخيل جنثالث، ترجمة د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٥م.

- تاريخ المن بالامامة على المستضعفين الذين جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين ، لابن صاحب الصلاة ، تحقيق عبد الهادي التازي ، بيروت ، ١٩٦٤ .

-تذوق الفن الشعري في الموروث النقدي والبلاغي، د. حسن البنداري، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٩م.

-التعبير البياني (رؤية بلاغية) د. شفيع السيد، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة١٩٧٧م.

-تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، عني به عبدالسلام الزغبي (د-ت).

-التكملة لكتاب الصلة، لابن الابار (ابي عبدالله محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي) (ت٦٥٨هـ)، طبع بمطابع روخس ١٨٨٦م.

-التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط١، ١٩٠٤م.

-جواهر البلاغة، احمد الهاشمي، مطبعة الاعتماد- مصر ، ط١، ١٩٤٠.

-الحلة السيراء، لابن الابار، تحقيق د. حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر (د-ت).

-الحيوان ، ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.

-خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، سوريا ١٣٠٤هـ.

-دلائل الاعجاز في علم المعاني، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٩٦١م.

-ديوان ابي تمام بشرح التبريزي، تحقيق احمد عبد عزام، دار المعارف بمصر (د-ت).

-ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٤م.

-ديوان ذي الرمة، عني بتصحيحه وتنقيحه كارل هنري، طبع على نفقة كلية كمريج، ١٩١٩م.

-ديوان الرصافي البلنسي، جمع وتقديم د. احسان عباس، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٣م.

- ديوان محمد بن عمار ، تحقيق الدكتور صلاح خالص ، مطبعة الهدى ، بغداد ١٩٥٧ م .

-الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابي الحسن علي الشنتريني الملقب ابن بسام ، القاهرة ١٩٣٩م.

-الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة بيروت (د-ت).

-رايات المبرزين وغايات المميزين، للشيخ علي بن موسى بن عبدالملك بن سعيد، تحقيق غرسيه غومس – مدريد، ط١ (د-ت).

-الرثاء، تأليف لجنة من الاقطار العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.

-الرثاء، د. شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ١٩٥٥م.

-الرثاء في الشعر العربي،محمود حسن ابو ناجي ، مكتبة الحياة، ط١، بيروت، ١٩٨١م.

-رماد الشعر، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، د.عبدالكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٨ م.

-روائع البيان لمعاني القرآن، ايمن عبد العزيز جبر، دار الارقم – مؤسسة الرسالة، عمان، (د-ت).

-الروض المعطار في خبر الاقطار، عبدالمنعم السبتي الحميري، نشر وترجمة ليفي بروفنسال، ط١، القاهرة ١٩٣٧م.

-زاد المسافر، صفوان بن ادريس، تحقيق عبدالقادر محداد، بيروت ١٩٣٩م.

- شذرات الذهب ، للمؤرخ والفقيه والاديب عبد الحي أبي العلاء بن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان . د ت .

-شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي، عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة، بغداد، ط١، ١٩٧٥م.

-الشعر الأندلسي- بحث في تطوره وخصائصه، غرسيه غومس، مكتبة النهضة، القاهرة١٩٥٢م.

-شعر الرثاء في العصر الجاهلي (دراسة فنية)، مصطفى الشورى، الدار الجامعية للطباعة والنشر – بيروت، ١٩٨٣م.

- شعر العتاب والاعتذار في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، محفوظ فرج ابراهيم رسالة ماجستير ، كلية الاداب / جامعة بغداد – ١٩٨٨ م .

-الشعر في ظل بني عباد، د. محمد مجيد السعيد، وزارة التربية، ط١، ١٩٧٢م.

-الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الاندلس، د. محمد مجيد السعيد، الدار العربية للموسوعات – بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

-الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، اليزابيث درو، ترجمة سلمى الخضراء، بيروت، منشورات دار اليقظة العربية ١٩٦٣م.

-الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة١٩٦١م.

-الشعر والشعراء في البصرة في القرن الثالث الهجري، احمد جاسم النجدي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٣م.

- الشعر والنغم ، د . رجاء عبير ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م

-الشعرية، د. أحمد مطلوب، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الاربعين، ١٩٨٩م.

-صفة جزيرة الاندلس المنتخبة من كتاب الروض المعطار، عبدالمنعم الحميري، عني بنشرها وتصحيحها ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٧.

-صلة الصلة: لابن الزبير ، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٧م.

- الاصوات اللغوية – د . ابراهيم انيس ، دار النهضة العربية ،القاهرة ، ط ٣ .١٩٦١ م.

- الصورة الشعرية ، سي دي لويس ، ترجمة ، احمد نصيف الجنابي و آخرين مراجعة د . عناد غزوان ، دار الرشاد للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٢ .

-الصورة الفنية في شعر ابي تمام، د. عبدالقادر الرباعي، جامعة اليرموك، اربد، ط١، ١٩٨٠م.

-ظهر الاسلام، أحمد امين، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، ١٩٥٩م.

-العبر في اخبار من غبر، للامام شمس الدين الحافظ الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٣م.

-عصر المرابطين والموحدين في الاندلس، محمد عبدالله عنان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.

- عصر المنصور الموحدي، محمد رشيد ملين ، مطبعة الشمال الافريقي(د . ت)

-علم اساليب البيان، غازي يموت، دار الاصالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

-علم القافية، د. صفاء خلوصي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٣م.

-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٢، ١٩٥٥م.

-عيار الشعر،لأبن طباطبا العلوي، تحقيق عباس عبدالستار، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٩٨٢م.

- الغربة والحنين في الشعر الاندلسي ، احمد محمد حاجم ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب / جامعة بغداد – ١٩٨٣ .

-فن المديح وتطوره في الشعر العربي، احمد ابو حاقة، دار الشروق، بيروت ١٩٦٢م.

-فنون بلاغية، د. احمد مطلوب، دار البحوث العلمية، ط١، ١٩٧٥م.

-فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، د. مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت ١٩٨١م.

-في الادب الاندلسي، محمد رضوان الدايه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٠م.

-في الشعر الاندلسي، عدنان صالح، دار الثقافة، الدوحة، القاهرة، ١٩٠٠م.

- قصة الادب في الاندلس ، د . عبد المنعم خفجي ، القاهرة ١٩٧٤ م .

-قلائد العقيان في محاسن الاعيان، لأبن خاقان، القاهرة ١٩٠٠م.

-كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تصنيف ابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٩٥٢م.

-لغة الشعر بين جيلين، د. ابراهيم السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

-مأسات انهيار الوجود العربي في الاندلس، عبدالكريم التواني، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، ط١، ١٩٦٧م.

-المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر (لأبي الفتح نصر الله بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الاثير)(ت٧٣٦هـ)، تحقيق احمد الحوفي و بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة (د-ت).

-مجمع الامثال ، ابو الفضل احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني، مطبعة المصحف الشريف، القاهرة.

- محاضرات في ادب الاندلس وتاريخها ، ليفي بروفنسال ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة ، وعبد الحميد العبادي ،

-المرشد في فهم أشعار العرب ، عبد الله الطيب المجذوب، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط١، ١٩٥٥م.

-مسالك الابصار وممالك الامصار، لأبن فضل الله العمري، يصدره فؤاد سزكين، وعلاء الدين جوقاشا، طبع بالتصوير عن مخطوطة ٢٣٢٧، المكتبة الوطنية، باريس، معهد تاريخ العلوم العربية الاسلامية في اطار جامعة فرانفكورت، المانيا الاتحادية، السفر السابع عشر ١٩٨٨م.

-المستدرك على ديوان الرصافي البلنسي، د. عبدالكريم الواركلي، مجلة دراسات اندلسية، العدد العاشر، ١٩٩٣م.

-المعجب في تلخيص اخبار المعرب من لدن فتح الاندلس الى نهاية عصر الموحدين، عبد الواحد المراكشي، تحقيق سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣م.

-معجم القاب الشعراء، د. سامي مكي العاني، مطبعة النعمان، النجف الاشرف١٩٧١م.

-معجم المؤلفين في اخبار العلماء والمصنفين، محمد بن اسحاق بن النديم (ت٣١٠هـ).

-المغرب، حسن محمد جوهر، صلاح العرب، دار المعارف – مصر ١٩٦٤م.

-المغرب في حلى المغرب، لأبن سعيد، تحقيق شوقي ضيف- مصر ١٩٥٥م.

- مفتاح العلوم ، للسكاكي ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، ١٣١٩ هـ .

- المفردات في غريب القرآن ، الحسن بن محمد بن مفضل الملقب بالزغب الاصفهاني ، المكتبة المرتضوية ، ١٩٦١ م .

-المقتضب من تحفة القادم، لأبن الابار، تحقيق ابراهيم الابياري، الطبعة الاميرية – القاهرة ١٩٥٧م.

-مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة ١٩٩٥م.

-ملامح الشعر الاندلسي، د. عمر الدقاق، دار الشروق، بيروت ١٩٧٥ م.

-منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحسب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م.

-موسيقى الشعر، د. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٢م.

-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

-نظرية الادب، رينيه ويلك، ارسن وارين، ترجمة محي الدين صبحي، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية، مطبعة خالد الطربيشي، ط٣، ١٩٦٢م.

-النظرية البنائية في النقد الادبي، ترجمة صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية، ط٣، ١٩٨٧م.

- نفح الطيب لغصن الاندلس الرغيد ، احمد المقري التلمساني ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

-النقد الادبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط٣، ١٩٦٢م.

-النقد الادبي عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد طاهر دروش، دار المعارف – مصر ١٩٧٩م.

-نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٤٨م.

-الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت١٩٧٠م.

- الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي .

- الوافي في نظم القوافي ، لابي البقاء الرندي ، نسخة مخطوطة برلين ، الموجودة في مكتبة المجمع العراقي تحت تصنيف ٥٦٧ / ح ق .

-وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، د. نــوري حمــود القيــسي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل١٩٧٤م.
-الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم و محمــد البجــاوي، دار الفكــر – بيــروت ١٩٦٦م.
-الوصف في الشعر العربي، عبدالعظيم قناوي، مطبعة مــصطفى بــابي الحلبي، مصر، ط١،
-الوصف في الشعر الاندلسي، رياض كريم، اطروحة ماجستير، جامعــة بغداد، كلية الآداب ١٩٨٩م.
-وفيات الاعيان، لأبن خلكان، تحقيق احسان عباس، دار صادر- بيروت (د-ت)، دمشق، المطبعة الهاشمية، ١٩٥٩م.